المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى



كلية الدعوة وأصول الدين
الدراسات العليا
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
شعبة الدعوة

فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى
وأثره في حياة الداعية

رسالة مقدمة إلى قسم الدعوة والثقافة الإسلامية لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب:

سعد بن عبد الله بن سعد القعود

الرقم الجامعي (٤٢٨٨٠٠١٦)

إشراف:

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور: محمد عبد المولى جمعة

العام الجامعي

١٤٣١ - ١٤٣٢هـ

ملخص الرسالة

- **عنوان الرسالة**: فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية.
- **اسم الباحث**: سعد بن عبد الله بن سعد القعود.
- **الدرجة**: دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير.
- **محتويات الرسالة**: اشتملت الرسالة على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة:

أما المقدمة فاشتملت على: أهمية الموضوع وسبب اختياره وخطة البحث والدراسات السابقة ومنهج البحث، وأما التمهيد فاشتمل على: التعريف بمصطلحات عنوان البحث، ومن ثم بيان أهمية فقه مقاصد الدعوة، وأما الفصل الأول من الرسالة فهو بعنوان: (أبرز مقاصد الدعوة إلى الله تعالى) وقد ذكرت فيه أهم مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأهدافها والدليل عليها من الكتاب والسنة والتي تمثلت في خمسة مقاصد وهي: مقصد تحقيق مقتضى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، ومقصد إقامة الحجة على الناس بالبلاغ المبين، ومقصد هداية الناس وإنقاذهم من النار، ومقصد إظهار الدين وإعلاء كلمة الله في الأرض وإقامة العدل ورفع الظلم، ومقصد حفظ الضروريات الخمس.

وأما الفصل الثاني فهو بعنوان: (إعداد الداعية لتحقيق مقاصد الدعوة) وقد قسمته إلى ثلاث مراحل وهي: مرحلة الإعداد التربوي والخلقي، مرحلة الإعداد العلمي، ومرحلة الإعداد العملي.

وأما الفصل الثالث فهو بعنوان: (أثر فقه مقاصد الدعوة في حياة الداعية) وقد تناولت فيه أهم الآثار الإيجابية لفهم وتحقيق فقه مقاصد الدعوة إلى الله.

وأما الفصل الرابع فهو بعنوان: (الفهم الخاطئ لمقاصد الدعوة وأثره في الدعوة إلى الله وسبل تجاوزه) وقد تحدثت فيه عن الفهم الخاطئ لنصوص الشرع الدالة على مقاصد الدعوة، والأثر السلبي لهذا الفهم الخاطئ في تطبيق وتحقيق المقاصد الدعوية، ومن ثم ذكرت سبل تجاوز المعوقات للفهم الخاطئ والتطبيق.

وأما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من هذه الدراسة ثم ختمت بذكر التوصيات.

والحمد لله رب العالمين..

المشرف:	**الباحث:**
الأستاذ الدكتور: محمد عبد المولى جمعة	سعد بن عبد الله بن سعد القعود

Summary

● Study Title: The Understanding of the purposes of the call to God and its impact in the lives of calling.
● The researcher Name: Saad bin Abdullah bin Saad al-qaoud.
● Class :Introduction to study for master degree.
● Contents of the Study: the study included an introduction, preface, four chapters and a conclusion:

The introduction wrapped myself on: The importance of the subject and why he has chosen and the research plan and the previous studies, methodology, and the boot contained a: definition of terms, title search, and then demonstrate the importance of the jurisprudence of the purposes of advocacy, the first chapter of the letter is entitled: (main purposes of the call to God) has stated the most important purposes of the call to God, objectives and evidence from the Qur'aan and Sunnah, which were represented in five purposes: the purpose of achieving the appropriate word of Tawheed or (oneness of Godhood): (there is no god but Allah), and purpose of the establishment of the argument to people communication set out, the purpose of guiding people and rescued from the fire, and destination manifest one's religion and uphold the word of God on earth, and the administration of justice and injustice, and the purpose of keeping the five basic necessities.

The second chapter is entitled: (calling for the preparation to achieve the purposes of the call) has been divided into three phases: the preparation phase, moral, educational, scientific preparation stage, and the stage of practical preparation.

The third chapter is entitled: (impact of the jurisprudence of the purposes of advocacy in the life of preacher) has dealt with the most important positive effects for understanding and achieving the purposes of the jurisprudence of the call to God.

The fourth chapter is entitled: (a misconception of the purposes of advocacy and its impact on the call to God and ways to overcome) has talked about the misconception of the texts of Islam function on the purposes of advocacy, and the negative impact of this misconception in the application and realization of the purposes missionary, and then reported ways to overcome the obstacles to understanding and the wrong application.

The conclusion and said the most important findings of this study then concluded by mentioning the recommendations.

Praise be to Allah, Lord of the Worlds ..

The researcher:
Saad bin Abdullah bin Saad Al-qaoud

The supervisor of the study:
P: Dr. Mohamed Abdul Mawla Gomaah

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ))[1].

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا))[2].

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا))[3].

أما بعد:

فإن أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشر الأمورِ محدثاتها، وكلَّ محدثَةٍ بدعة، وكُلَّ بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.. اللهمَّ ربَّ جبريل وميكائيلَ وإسرافيلَ، فاطرَ السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكمُ بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنك، إنك تهدي مَن تشاءُ إلى صراطٍ مستقيم[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢ .

(٢) سورة النساء، الآية: ١ .

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٧٠-٧١.

(٤) خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه، انظر: خطبة الحاجة – محمد ناصر الدين الألباني، ط٣ المكتب الإسلامي بيروت: ١٣٩٧ هـ ص: ١٠.

• أهمية الموضوع وسبب اختياره:

يستمد موضوع هذا البحث أهميته من أهمية الدعوة إلى الله -تعالى- نفسها حيث أن الدعوة إلى الله كما هو معلوم لها غايات عظيمة ومقاصد نبيلة، من فقد فقه تلك المقاصد والغايات تخبط في منهجه وأفسد في دعوته!!

بخلاف ما إذا كان الداعية بصيرا في مقاصد ما يدعو إليه، فقيها في أهداف دعوته، يعرف مقصد الشارع الحكيم في الأمر والنهي -المستمد من نور وهدي القرآن الكريم والسنة المطهرة- فإنه يكون على منهج واضح وطريق مستقيم مهما كثرت المعوقات وتنوعت المصاعب في وجه الدعوة واختلفت الأزمان، حتى يصبح للداعية إلى الله منهجا واضحا يحقق من خلاله غايته وهدفه من دعوة الناس إلى هذا الدين ، ولأن مقاصد الشارع الحكيم في الدعوة ثابتة لا تتغير على مر الأيام والعصور يجب على كل من يدعو إلى الله تعالى أن يعرفها حق المعرفة ويسعى لتحقيقها مهما تعددت وتنوعت الوسائل والأساليب ، فمقاصد الدعوة إلى الله الأولى هي مقاصد الدعوة اليوم وهي مقاصد الدعوة في الغد لا تتغير ولا تتبدل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

ومقاصد الدعوة وغاياتها هي لب الدعوة وروحها ولذا يقول الإمام الشاطبي[1]-رحمه الله-: "المقاصد هي أرواح الأعمال"[2] ويقول أيضا: "إن زلة العالم أكثر ما تكون عند الغفلة عن اعتبار مقاصد الشرع.."[3].

---

(١) القاسم بن فِيرّه بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي (٥٣٨ - ٥٩٠ هـ = ١١٤٤ - ١١٩٤م) : إمام القراء. كان ضريرا، ولد بشاطبة (في الأندلس) وتوفي بمصر. وهو صاحب " حرز الأماني " تعرف بالشاطبية. وكان عالما بالحديث والتفسير واللغة.. (الأعلام لخير الدين الزركلي دار العلم للملايين بيروت – لبنان ط: ١٥ ٢٠٠٢م (٥/ ١٨٠)).

(٢) الموافقات، للشاطبي، ت: عبد الله دراز، دار المعرفة - بيروت ١٤١٠هـ ٢/ ٣٤٤.

(٣) المرجع السابق ٤/ ١٧٠.

وتكمن مشكلة هذا البحث في أن كثيرا من اختلاف الدعاة إلى الله اليوم من أهم أسبابه هو: الاختلاف في النظر إلى تحقيق المقاصد الدعوية، فقد يختار بعض الدعاة مقصدا دعويا ويعمل على تحقيقه بغض النظر عن أن يكون هذا المقصد شرعيا أو غير شرعي ، وإن كان المقصد شرعيا فقد يهمل باقي المقاصد الدعوية الشرعية التي حث الشارع الحكيم إلى تحقيقها..

لذا كان من المهم أولاً تقرير المقاصد الدعوية التي دل عليها الدليل من الكتاب والسنة ولزوم مسايرتها لأبعاد العقيدة الإسلامية ووجوب تطابقها مع مبدأ العبودية والحاكمية الإلهية والتشريع الرباني وتحقيق المصالح والمنافع في الدنيا والآخرة ، بحيث تقام الحياة الدنيا للحياة الآخرة لا من حيث أهواء النفوس في جلب المصالح العادية أو درء مفاسدها العادية، كما يقرر ذلك الإمام الشاطبي –رحمه الله– في كتابه الموافقات(١).

وبهذا يستطيع الداعية إلى الله تقديم أي المقاصد أعظم وأيها أولى بالاهتمام وأيها ممكن التحقيق على حسب الاستطاعة، مما يتطلب دراسة متأنية لهذا الباب العظيم من أبواب الدعوة إلى الله تعالى، ولا سبيل لذلك إلا أن يعرف الداعية مقاصد الشارع التي دل عليها الدليل ويلتزمها ولا يحيد عنها أو يتحايل عليها بمقاصد موهومة تعود عليه بالضرر والوزر لا بالمدح والأجر..

لذا كان من الأهمية بمكان أن تدرس أصول المقاصد الدعوية دراسة علمية لكي لا يتخبط الداعية في منهجه ولا يفسد في دعوته، فرأيت اختيار هذا الموضوع الذي تقدمت به إلى قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة لأشارك به في الدراسات العلمية لمرحلة الماجستير، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) انظر: الموافقات، للشاطبي، ت: عبد الله دراز، دار المعرفة – بيروت ١٤١٠هـ ٢/ ٣٧.

- **الدراسات السابقة للبحث:**

من خلال بحثي في قاعدة بيانات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية للرسائل الجامعية والاطلاع في المكتبات العامة والخاصة والجهات العلمية والأكاديمية المعنية بالدراسات الدعوية وكذلك في مكائن البحث الأخرى كشبكة المعلومات العنكبوتية (الإنترنت) فلم أعثر على رسالة علمية أو كتب تناولت موضوع البحث أو من كتب بهذا الموضوع بالخصوص وإنما هناك بعض الكتابات والمقالات غير الموسعة والتي تسرد أهداف الدعوة إلى الله تعالى دون توسع -كمقال للعلامة الشيخ محمد إسماعيل المقدم بعنوان (أهداف الدعوة ومنطلقاتها) والمنشور في مجلة صوت الدعوة الصادرة من دار الهدى السلفية بالإسكندرية- ، أو كتب تناولت جوانب من فقه الدعوة إلى الله تعالى ومنها:

١- مجموعة الرسائل العلمية في فقه الدعوة في صحيح البخاري لمجموعة من الباحثين من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢- كتاب فقه الدعوة، للدكتور بسام العموش، الصادر من دار المأمون للنشر والتوزيع.

٣- كتاب فقه الدعوة إلى الله تعالى وفقه النصح والإرشاد، للعلامة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الصادر من دار القلم للنشر والتوزيع.

٤- كتاب فقه الدعوة الإسلامية في الغرب ووجوب تجديدها على الحكمة والوسطية والاعتدال، تأليف: علي بن أحمد بن الأمين الريسوني، المطبوع ضمن مجموعة كتب من موقع الإسلام.

٥- كتاب تأملات فى فقه الدعوة، تأليف: أ.د طلعت محمد عفيفى سالم و د. جمال عبد الستار محمد عبد الوهاب، والذي طبع تحت إشراف الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية.

٦- كتاب قواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية دراسة فقهية،

تأليف: عابد بن عبد الله الثبيتي، من إصدارات دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

٧- كتاب الدعوة الفردية قواعد وأصول، تأليف: عبد الحليم الكناني، إصدار مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة.

٨- كتاب التيسير ورفع الحرج في الدعوة الي الله، تأليف: د. جمال عبد الستار محمد، إصدار دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع.

وأما أكثر من كتب في موضوع المقاصد فإنما يدور بحثه وكتابته حول مقاصد الشريعة العامة والأحكام الفقهية من نظرة أصولية فقهية بحته، ومقصود هذه الدراسة والبحث هو المقاصد الدعوية بوجه الخصوص وأثرها في حياة الدعاة إلى الله والتي أسأل الله تعالى أن يوفقني لتقديم ما ينفع الإسلام والمسلمين ويكون زاداً للدعاة إلى الله تعالى إنه سميع مجيب.

- **خطة البحث:**

تشتمل خطة البحث على ما يلي:

المقدمة وتشتمل على: أهمية الموضوع وسبب اختياره وخطة البحث والدراسات السابقة ومنهج البحث.

ثم التمهيد ويشتمل على:

أ- التعريف بمصطلحات البحث (فقه-مقاصد-الدعوة-الأثر-الداعية).

ب- بيان أهمية فقه مقاصد الدعوة.

أما الفصل الأول فهو بعنوان: (أبرز مقاصد الدعوة إلى الله تعالى) ويشتمل على خمسة مباحث وهي:

المبحث الأول: مقصد تحقيق مقتضى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

المبحث الثاني: مقصد إقامة الحجة على الناس بالبلاغ المبين.

المبحث الثالث: مقصد هداية الناس وإنقاذهم من النار.

المبحث الرابع: مقصد إظهار الدين وإعلاء كلمة الله في الأرض وإقامة العدل ورفع الظلم.

المبحث الخامس: مقصد حفظ الضروريات الخمس.

وأما الفصل الثاني فهو بعنوان (إعداد الداعية لتحقيق مقاصد الدعوة) ويشتمل على ثلاثة مباحث وهي:

المبحث الأول: مرحلة الإعداد التربوي والخلقي.

المبحث الثاني: مرحلة الإعداد العلمي.

المبحث الثالث: مرحلة الإعداد العملي.

وأما الفصل الثالث فهو بعنوان (أثر فقه مقاصد الدعوة في حياة الداعية) ويشتمل على أربعة مباحث وهي:

المبحث الأول: إخلاص الوجهة والغاية.

المبحث الثاني: الشمولية في الفكر والعمل .

المبحث الثالث: الواقعية في الفكر والعمل .

المبحث الرابع: التفاعل والتكامل المستمر بين الدعاة .

وأما الفصل الرابع فهو بعنوان (الفهم الخاطئ لمقاصد الدعوة وأثره في الدعوة إلى الله وسبل تجاوزه) ويشتمل على ثلاثة مباحث وهي:

المبحث الأول: الفهم الخاطئ لنصوص الشرع الدالة عليها .

المبحث الثاني: أثر الفهم الخاطئ في تطبيق وتحقيق المقاصد الدعوية .

المبحث الثالث: سبل تجاوز الفهم الخاطئ وأثره.

وأما **الخاتمة** فتشتمل على:

أ- أهم النتائج.

ب- التوصيات.

- **منهجي في البحث:**

استخدمت في بحثي هذا المنهج الاستقرائي الكلي والذي يتميّز بالتركيز على معرفة كليات الشريعة ومقاصدها، ثم بناء النظر بالمنهج الاستنباطي الاجتهادي على هذه الكليات و المقاصد، ثم المنهج الوصفي، وكانت كتابتي في هذا الموضوع ضمن منهج التزمت به قدر الإمكان ويتلخص فيما يلي:

١- تأصيل الموضوع من خلال نصوص الكتاب والسنة.

٢- الحرص على تدعيم البحث بنصوص العلماء المحققين المشهود لهم بالفضل والاستئناس بها، مع تمييزها بعلامات التنصيص.

٣- الاطلاع على ما كتب حول هذا الموضوع أو ما يتعلق به والاستفادة منه.

٤- بذلت قصارى جهدي في الموضوع -على الرغم من حاجة الموضوع إلى أبحاث ودراسات أخرى-.

٥- العناية بتوثيق المعلومة من مصدرها الأصلي ما أمكن.

٦- عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها وأرقامها في الهامش.

٧- تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها المعتمدة في الهامش.

٨- ترجمت للأعلام الواردة أسماؤهم في ثنايا البحث ممن غلب على ظني عدم شهرتهم، ولم أترجم للصحابة الكرام الأعلام والأئمة الأربعة وأئمة الحديث وأصحاب الصحاح والسنن.

٩- ألحقت بالرسالة فهارس تشتمل على: فهرس للآيات القرآنية الكريمة، وفهرس للأحاديث النبوية الشريفة، وفهرس للأبيات الشعرية، وفهرس للأعلام المترجم لهم، وفهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

وفي الختام أتوجه بالشكر الخالص لله تعالى مولي النعم ومسديها، الذي وفقني وسهل لي مهمتي وأعانني وأرشدني، ثم أتوجه بوافر الشكر وجزيل الامتنان لكل من كان له الفضل علي -بعد الله تعالى- وأخص بالدعاء منهم والدي الكريمين -أمد الله في عمرهما على طاعته- كما أتوجه بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخ: أ.د محمد عبد المولى جمعه، الذي شرُفت بإشرافه على رسالتي، فجزاه الله عني خير الجزاء لما قدم لي من نصائح وإرشادات، كما أتوجه بالشكر الجزيل لجامعةِ أمِ القرى بمكة المكرمة متمثلة بعمادة كلية الدعوة وأصول الدين وأخص بالشكر فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن سعيد السرحاني عميد كلية الدعوة وأصول الدين وجميع وكلاء الكلية، وأخص كذلك الشيخ الدكتور حسن بن عايض آل عبد الهادي رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية وجميع أساتذتي الأفاضل في قسم الدعوة لما يبذلونه من عطاء متجدد في خدمة الأمة الإسلامية، فجزاهم الله عني وعن إخواني الطلاب خير الجزاء إنه سميع قريب مجيب وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

التمهيـــــــد:

ويشتمل على:

أ- التعريف بمصطلحات البحث (فقه- مقاصد – الدعوة- الأثر- الداعية).

ب- بيان أهمية فقه مقاصد الدعوة.

أ- التعريف بمصطلحات البحث:

أولاً: التعريف بمصطلح (الفقه)

تعريف الفقه في اللغة: جاء في كتاب مقاييس اللغة: "الفاء والقاف والهاء أصلٌ واحد صحيح يدل على إدراك الشيء والعلم به، تقول: فقهت الحديث أفقهه..

وكل علم بشيء فهو فقه، ثم اختص بذلك علم الشريعة فقيل لكل عالم بالحلال والحرام فقيه.."[(١)].

والفقه في الأصل الفهم -كما جاء في كتاب لسان العرب- "يقال: أوتي فلان فقها في الدين أي فهما فيه، قال الله عز وجل: ((لِّيَتَفَقَّهواْ فِي الدِّينِ))[(٢)] أي: ليكونوا علماءَ به"[(٣)].

أما تعريف الفقه في الاصطلاح: فله عدة تعريفات يتضمن بعضها بعضًا، أقربها لموضوعنا: أنه معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد[(٤)] ، فالفقه في الدعوة هو الفهم والعلم بأصول الدعوة ومقاصدها ومناهجها ووسائلها والتخطيط للدعوة إلى الله، لأن الدعوة إلى الله لا تتوقف عند حد الخطب المنبرية والدروس الدعوية ونحوها، وإنما تحتاج إلى فقه في الأصول والمقاصد والمناهج والوسائل والأساليب الدعوية.

ثانياً: التعريف بمصطلح (المقاصد الدعوية)

تعريف المقصد في اللغة: وردت كلمة مقاصد في اللغة من الفعل الثلاثي (قصد) كما جاء في كتاب مقاييس اللغة عند كلمة (قصد): "القاف والصاد والدال أصول ثلاثة يدل أحدها

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الجيل- بيروت ط:٢ ١٩٩٩م ٤/ ٤٤٢.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر- بيروت، ط:١ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ١٣/ ٥٢٢ .

(٤) الورقات، لإمام الحرمين الجويني، دار الصميعي للنشر والتوزيع - الرياض ط: ١ ١٤١٦هـ-١٩٩٦م ص: ٧.

على: إتيان شيء وأمه.. فالأصل قصدته قصدا ومقصدا.. ومن الباب أقصده السهم إذا أصابه فقتل مكانه وكأنه قيل ذلك لأنه لم يحد عنه..."[1] وجاء في كتاب لسان العرب: "والقصد: استقامة الطريق قصد يقصد قصدا فهو قاصد وقوله تعالى: ((وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ))[2] أي: على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة ((وَمِنْهَا جَآئِرٌ)) أي: ومنها طريق غير قاصد..

وطريق قاصد سهل مستقيم.. وسفر قاصد سهل قريب وفي التنزيل العزيز: ((لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ))[3] ، والقصد العدل والتوسط وفي الحديث: (القصد القصد تبلغوا)[4] أي: عليكم بالقصد من الأمور في القول والفعل وهو الوسط بين الطرفين وهو منصوب على المصدر المؤكد وتكراره للتأكيد وفي الحديث: (كانت صلاته قصدا وخطبته قصدا)[5] ، وفي الحديث: (عليكم هديا قاصدا)[6] أي: طريقا معتدلا.."[7]

أما تعريف المقصد الدعوي في الاصطلاح: فمن خلال التعريفات اللغوية السابقة لمعنى المقصد والتي تدور حول قصد الشيء وأَمِهِ، والاستقامة على الطريق والعدل والتوسط، نستنتج المعنى الاصطلاحي للمقصد الدعوي أنه: عملية بيان هدف الدعوة إلى الله تعالى وتحديد المطلب الذي يسعى الدعاة إلى الله لتحصيله، ووضعها في إطار شرعي، والعمل لتحقيقه، والاستقامة على الطريق بالضوابط الشرعية التي أمر الله بها تحقيقاً لقول الله –عز

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الجيل – بيروت ط:٢ ١٩٩٩م ٥/ ٩٥.

(٢) سورة النحل، آية: ٩.

(٣) سورة التوبة، آية: ٤٣.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق ، باب القصد والمداومة على العمل ٥/ ٢٣٧٣رقم (٦٠٩٨) .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب: الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢/ ٥٩١ رقم (٨٦٦) .

(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند في أول مسند البصريين مسند أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه ٤/ ٤٢٢رقم: (١٩٨٠١)

(٧) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر- بيروت، ط:١ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ٣/ ٣٥٣ .

وجل-: ((قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))[1].

ثالثاً: التعريف بمصطلح (الدعوة)

تعريف الدعوة في اللغة: تدور مادة كلمة (دعوة) في اللغة ما بين الطلب والنداء والإلحاح والاستمالة..

جاء في كتاب الصحاح: "دعوت فلاناً أي: صحت به واستدعيته، ودعوت الله له وعليه دعاءً و (الدعوة) المرة الواحدة.."[2].

وجاء في كتاب مقاييس اللغة: "الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك تقول: دعوت أدعو دعاء.. والدَّعوة إلى الطعام بالفتح والدِّعوة في النسب بالكسر..."[3].

وجاء في المعجم الوسيط:

"دعا إلى الشيء حثه على قصده يقال: دعاه إلى القتال و دعاه إلى الصلاة و دعاه إلى الدين و إلى المذهب حثه على اعتقاده وساقه إليه"[4].

• ولفظ الدعوة يستعمل في الخير والشر[5] كما في قوله تعالى عن المشركين: ((أُوْلَـئِكَ يَدْعُونَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ))[6] .

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٢) الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري ت: أحمد عطار دار العلم للملايين ط:١ ١٤٠٤هـ ٢/ ٢٣٣٧.

(٣) مقاييس اللغة، لابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الجيل – بيروت ط:٢ ١٩٩٩م ٢/ ٢٧٩

(٤) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى\ أحمد الزيات\ حامد عبد القادر\ محمد النجار مجمع اللغة العربية دار الدعوة ١/ ٢٨٦

(٥) أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، د حمد العمار، دار اشبيليا – الرياض، ١٩٩٦م ص: ٢٠ .

(٦) سورة البقرة ، الآية: ٢٢١.

وتطلق على الدعاء إلى أي قضية يراد إثباتها أو الدفاع عنها سواء كانت حقا أم باطلا ، فمن الحق قوله تعالى: ((لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ))[1] ، وقوله: ((وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ))[2] ، ومن الباطل: حكاية القرآن عن يوسف -عليه السلام- في قوله: ((قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ))[3].

أما تعريف مصطلح (الدعوة) في الاصطلاح: فقد عرف العلماء الدعوة إلى الله تعالى بعدة تعريفات أذكر منها ما يلي:

التعريف الأول:

ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بقوله: "الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه.. وتتضمن الأمر بكل ما أمر الله به والنهي عن كل ما نهى الله عنه.."[4].

التعريف الثاني:

"تبليغ الإسلام للناس ، وتعليمه إياهم ، وتطبيقه في واقع الحياة"[5].

---

(١) سورة الرعد ، الآية: ١٤ .

(٢) سورة يونس ، الآية: ٢٥.

(٣) سورة يوسف ، الآية: ٣٣.

(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: ابن قاسم مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة ١٩٩٥م ١٥٧/١٥.

(٥) المدخل إلى علم الدعوة، محمد البيانوني، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط:٢ ١٩٩٣م ص: ٤٠.

التعريف الثالث:

"هي الدعوة إلى توحيد الله والإقرار بالشهادتين وتنفيذ منهج الله في الأرض قولاً وعملاً كما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة"(١).

التعريف الرابع:

"قيام من له أهليّة بدعوة الناس جميعا في كل زمان ومكان لاقتفاء أثر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والتأسي به قولا وعملا وسلوكا"(٢).

ولعل أقرب وأجمع تعريف للدعوة إلى الله في الاصطلاح -والله أعلم- هو التعريف الأول الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- .

رابعاً: التعريف بمصطلح (الداعية)

تعريف مصطلح (الداعية) في اللغة:

الداعي في اللغة اسم فاعل من دعا يدعو دعوة

والداعية: الذي يدعو إلى دين أو فكرة، والهاء للمبالغة(٣)

أما تعريفه في الاصطلاح:

فيقال لمن عُرِف بالدعوة (داعية) ويطلق على الرجل والمرأة والجمع (دعاة)..

وهو المبلغ للإسلام والمعلم له والساعي إلى تطبيقه..(٤).

---

(١) الدعوة إلى الله (الرسالة –الوسيلة-الهدف)، د. توفيق الواعي، مكتبة الفلاح – الكويت، ط:١، ١٤٠٦هـ (١٩).

(٢) الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل، محمد بن سيدي بن الحبيب، دار الوفاء للنشر والتوزيع – جدة، ط:١ ١٩٨٥م ص: ٢٧.

(٣) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى \ أحمد الزيات \ حامد عبد القادر \ محمد النجار مجمع اللغة العربية دار الدعوة ص: ١/ ٢٨٧.

(٤) المدخل إلى علم الدعوة، محمد البيانوني، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط:٢ ١٩٩٣م ص: ٤٠.

خامساً: التعريف بمصطلح (الأثر)

تعريف الأثر في اللغة:

جاء تعريف الأثر في كتاب لسان العرب بأنه: "بقية الشيء والجمع آثار و أثور..

والأثر بالتحريك ما بقي من رسم الشيء ..

والتأثير إبقاء الأثر في الشيء و أثّر في الشيء ترك فيه أثرا .. والآثار الأعلام.."[١]

وجاء الأثر في المعجم الوسيط بمعنى: النتيجة وهو الحاصل من الشيء[٢].

التعريف الاصطلاحي لأثر مقاصد الدعوة :

ومن خلال هذه التعريفات اللغوية لمعنى الأثر نستنتج المعنى الاصطلاحي لأثر مقاصد الدعوة في حياة الداعية إلى الله وهو:

النتيجة الإيجابية التي يتركها فهم مقاصد الدعوة إلى الله والعمل بمقتضاها، على الداعية إلى الله وتقويم دعوته والمساهمة في استمرارها ونفعها في المدعوين .

---

(١) انظر: لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر- بيروت ، ط:١ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ٤/ ٥ .

(٢) التعريفات، للجرجاني، ت: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط:٢ ١٤٢٣هـ ص: ٣٠ .

ب- بيان أهمية فقه مقاصد الدعوة:

الدعوة إلى الله عزّ وجلّ عبادة عظيمة من أعظم العبادات التي يحبّها الله عزّ وجل ويُتقرَّب بها إليه سبحانه وأجلّها وأحسنها وأزكاها عند الله، قال تعالى:

((وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ))(١).

وهي سبيل الأنبياء والمرسلين –عليهم السلام–، ومن دعا بدعوتهم إلى يوم الدين، من العلماء الناصحين، الدعاة الصادقين، قال –عزّ وجل– مخاطباً رسوله –صلى الله عليه وسلم– ((قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ))(٢).

ولقد أُمرت هذه الأمة بما أُمر به رسولها –صلى الله عليه وسلم– فأُمرت بالقيام بدعوة البشرية إلى سبيل رب البرية، فقال تعالى: ((وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) (٣)

يقول ابن القيم –رحمه الله–: "فمقام الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد قال تعالى: ((وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا))(٤)" (٥).

ولا ريب أنّ الدعوة إلى الله في وقتنا الحاضر من أهم المطالب وأعظم المقاصد ونحن بحاجة ماسّة بل في ضرورةٍ ملحّة إلى إصلاح الأوضاع ودعوة الناس إلى العقيدة الصحيحة والوعي الشامل الكامل لأحكام هذا الدين..

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨ .

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤ .

(٤) سورة الجن، آية: ١٩.

(٥) الجواب الكافي، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت ص: ١/ ١٣٢.

والناظر في واقع الدعوة اليوم وما أثمرته من صحوة عامة وعودة إلى الدين والخير ومقارعة الفساد وأهله، ليحمد الله -عزّ وجل- على هذه النعمة العظيمة ويشكر القائمين على هذه الدعوة من علماء وطلاّب علم ودعاة وموجِّهين ومحسنين كلٌّ في مهمته وحسب ما قدّم، ويدعو لهم بالأجر الجزيل..

إن الداعية إلى الله عز وجل ينبغي عليه أن يقتدي بالرسول -صلى الله عليه وسلم- ويتأسى به في تبليغ الدعوة إلى الله تعالى والذي كان هجيّراه[1] الإرشاد إلى التيسير دون التعسير وإلى التبشير دون التنفير وإلى الألفة واجتماع الأمر وينفر عن الفرقة والاختلاف لما في الألفة والاجتماع من الجلب للمصالح والدفع للمفاسد وفي الفرقة والاختلاف من عكس ذلك كما يقرر ذلك الإمام الشوكاني -رحمه الله- بقوله: "فالعالم المرتاض بما جاءنا عن الشارع الذي بعثه الله تعالى متمما لمكارم الأخلاق إذا أخذ نفسه في تعليم العباد وإرشادهم إلى الحق وجذبهم عن الباطل ودفعهم عن البدع والأخذ بحجزهم عن كل مزلقة من المزالق مدحضة من المداحض بالأخلاق النبوية والشمائل المصطفوية الواردة في الكتاب العزيز والسنة المطهرة فيسر ولم يعسر وبشر ولم ينفر وأرشد إلى ائتلاف القلوب واجتماعها ونهى عن التفرق والاختلاف وجعل غاية همه وأقصى رغبته جلب المصالح الدينية للعباد ودفع المفاسد عنهم كان من أنفع دعاة المسلمين وأنجع الحاملين لحجج رب العالمين وانجذبت له القلوب ومالت إليه الأنفس وتذلل له الصعب وتسهل عليه الوعر وانقلب له المتعصب منصفاً والمبتدع متسنناً ورغب في الخير من لم يكن يرغب فيه.."[2] أ.هـ ، وفي كلام هذا الإمام الحصيف منهج متكامل ومقصد أسمى لجميع الدعاة إلى الله لما يؤهلهم به لدعوة الناس إلى الخير، وهذا المنهج هو من عوامل نجاح دعوتنا الإسلامية اليوم إذا تمسكنا بالسبب الذي نُصِر به الرعيل الأول، وهو ما

---

(١) معناها: العادة والدأب والديدن.

(٢) طلب العلم وطبقات المتعلمين، للشوكاني، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:١ ١٩٨٢م ص: ١٣٤ .

وصاهم به النبي –صلى الله عليه وسلم–: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مَسَكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه"[١] ، ومن ثم ردّ كل خلاف إليهما..

وفي التمسك بكتاب الله –عز وجل– وسنة نبيه –صلى الله عليه وسلم– تأصيل صحيح لمسائل الدعوة الإسلامية اليوم، والذي يجب أن يسير عليه الدعاة بمنهج واضح المعالم هو: منهج النبي –صلى الله عليه وسلم– في الدعوة إلى الله: من البدء بالعقيدة، وتحقيق العبودية لله تعالى، وتجريد القصد والمتابعة للرسول –صلى الله عليه وسلم– ، والعض على ذلك بالنواجذ.. لأننا أحياناً نشاهد في الواقع الدعوي من الأخطاء والتجاوزات ما يدل على قصر فهم بعض الدعاة لنصوص الكتاب والسنة، مما قد يتسبب في ضعف تأثير الدعوة في بعض المجتمعات، وربما أدى إلى تعطيلها !!

وإن قلة التأصيل الشرعي القائم على فهم الكتاب والسنة ومحاولة استنباط الفوائد والقواعد الدعوية على ضوءيهما قد يؤدي إلى فوضى غير محمودة..

ولا سبيل لتفادي الوقوع في مثل هذا الشطط والفوضى إلا أن يعرف الداعية مقاصد الشارع الحكيم للدعوة إليه التي دل عليها الدليل ويلتزمها ولا يحيد عنها..

شأنها شأن العبادات الأخرى التي يشترط في قبولها عند الله تعالى أن يكون فيها الإخلاص والمتابعة لما جاء به الرسول –صلّى الله عليه وسلّم– وشرعه لأمّته، وهذا هو: مفهوم التأصيل..

وإن من الأسباب التي أدت إلى تصاعد الدعوة إلى التأصيل الشرعي للقضايا المعاصرة هو: اتساع شقة الخلاف بين بعض تيارات الصحوة، فأصبح كثير من الدعاة والمفكرين يدركون الحاجة إلى وجود مرجعية ومنهج مستمد من الكتاب والسنة يحتكم إليه المختلفون لمعرفة الحق والصواب ، وعلى الرغم من أن الإنجاز في هذا الموضوع لا يزال ضعيفاً ومحدوداً،

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب: القدر، باب: بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْقَوْلِ بِالْقَدَرِ (٢/ ٤٧٧) .

إلا أن مجرد الاهتمام بهذه القضية الكبرى، وكونه شائعاً في أوساط الصحوة الإسلامية، يمكن اعتباره إنجازاً مهما للصحوة الإسلامية المعاصرة، ولعل الهجوم الشرس الذي تتعرض له الصحوة الإسلامية اليوم، ليس مرده فقط إلى سرعة انتشارها واعتبارها القوة الشعبية الأولى في العالم الإسلامي، بل وأيضًا بسبب الدعوة إلى تأصيل القضايا المعاصرة شرعياً، والدعوة إلى تغيير الحياة من جميع جوانبها داخل المجتمعات الإسلامية..

لذا فإن مثل هذه الدراسات تهدف في جملتها إلى:

١- تصحيح المسار لذوي الفهم الخاطئ.

٢- وترشيد العمل الدعوي.

٣- ورفع المستوى العلمي والدعوي، لدى الدعاة إلى الله .

٤- الحرص على التأصيل الشرعي المبني على كتاب الله وسنة نبيه ومنهج السلف الصالح..

لا كما يدعيه أصحاب الاتجاهات التجديدية المحدَثة التي خرج بها بعضهم عن أصول الإسلام وثوابته ؛ فأصبح لا يقيم وزناً للأدلة الشرعية المعتبرة، ولا ينظر في إجماع الأمة، حتى صار الإسلام في نهجهم تابعاً لا متبوعاً ؛ بدعاوى تافهة ما أنزل الله بها من سلطان !!

حتى أصبح كثير من الناس اليوم ينسى في بعض أعماله الدعوية أهمية هذا الأصل وينطلق في الدعوة من مجرد رأيه وتصوره أو من خبرات بعض الناس وآرائهم دون أن يزن ذلك بميزان الكتاب والسنة والرأي غير المبني على العلم والفقه لا شك أن صاحبه إن أصاب مرة فسوف يخطئ مرات ومرات وسيكون ضرره أكثر من نفعه بل يمكن أن نقول إن السبب الرئيس للكثير من السقطات التي تحدث في ساحة الدعوة وانحرافات الفكر والنزاعات هو الرأي الذي يُسقى بغير الشريعة وإن نبت في أرضها!![1].

---

(١) انظر: مقال لـ: د. أحمد بن محمد العيسى، مجلة البيان، ذو الحجة ١٤١٦هـ - مايو ١٩٩٦م العدد ١٠٠/ ٥٠.

وقد يصل تقديم الرأي على الكتاب والسنة بصاحبه إلى أن يرى العلم في الرأي لا في الكتاب والسنة وتنقلب رؤيته فيرى الكتاب والسنة مجرد نصوص لا تفيد يقيناً في الوقت الذي يقدّس فيه الرأي المجرد فيراه هو العلم اليقيني !!

وهذا ما تسبب في ظهور بعض الجماعات الضالة والمنحرفة بسبب الجهل بنصوص الكتاب والسنة وعدم التزامهما، ويؤكد على ذلك الإمام ابن القيم -رحمه الله- بقوله: "قال حماد بن زيد[1]: قلت لأيوب[2]: العلم اليوم أكثر أو فيما تقدم؟ فقال: الكلام اليوم أكثر والعلم فيما تقدم أكثر..

ففرّق هذا الراسخ بين العلم والكلام فالكتب كثيرة جداً والكلام والجدال والمقدرات الذهنية كثيرة والعلم بمعزل عن أكثرها وهو ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل...

ولما بعد العهد بهذا العلم آل الأمر بكثير من الناس إلى أن اتخذوا هواجس الأفكار وسوانح الخواطر والآراء علماً ووضعوا فيها الكتب وأنفقوا فيها الأنفاس فضيعوا فيها الزمان وملؤوا بها الصحف مداداً والقلوب سواداً حتى صرّح كثير منهم أنه ليس في القرآن والسنة علم، وأن أدلتها لفظية لا تفيد يقيناً ولا علماً وصرخ الشيطان بهذه الكلمة فيهم وأذن بها بين أظهرهم حتى أسمعها دانيهم لقاصيهم، فانسلخت بها القلوب من العلم والإيمان كانسلاخ الحية من قشرها والثوب عن لابسه...

---

(١) حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي، مولاهم، البصري، أبو إسماعيل (٩٨ - ١٧٩ هـ = ٧١٧ - ٧٩٥م) : شيخ العراق في عصره. من حفاظ الحديث المجودين. يعرف بالأزرق. أصله من سبي سجستان، ومولده ووفاته في البصرة. وكان ضريرا طرأ عليه العمى، يحفظ أربعة آلاف حديث. خرج حديثه الأئمة الستة (الأعلام للزركلي ٢/ ٢٧١).

(٢) أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري، أبو بكر (٦٦ - ١٣١ هـ = ٦٨٥ - ٧٤٨م) : سيد فقهاء عصره تابعي، من النساك الزهاد، من حفاظ الحديث. كان ثابتا ثقة روي عنه نحو ٨٠٠ حديث (الأعلام للزركلي ٢/ ٣٨).

ولقد أخبرني بعض أصحابنا عن بعض أتباع أتباع تلاميذ هؤلاء أنه رآه يشتغل في بعض كتبهم ولم يحفظ القرآن فقال له: لو حفظت القرآن أولاً كان أولى! فقال: وهل في القرآن علم!!

وقال لي بعض أئمة هؤلاء: إنما نسمع الحديث لأجل البركة لا لنستفيد"[1].

وقد ذكر صاحب كتاب (المدخل إلى علم الدعوة) أن أصول الدعوة هي: القرآن الكريم، والسنة، والسيرة النبوية، وسيرة الخلفاء الراشدين، أما الأصل الخامس الذي حدده فقال فيه: (وقائع العلماء والدعاة في ضوء تلك المصادر) ثم قال: "ومع أهمية هذه الوقائع وعظيم فائدتها، فإنها تعد مصدراً تابعاً يستفاد منه في ضوء المصادر الأصلية السابقة، لأنها اجتهادات بشرية تخطئ وتصيب وقد أخطأ بعض الناس حين غفلوا عن أهمية هذا المصدر، فزهدوا به، وأعرضوا عن الإفادة منه، مستغنين بزعمهم بالكتاب والسنة !!

كما أخطأ آخرون في إنزال هذا المصدر منزلة الكتاب والسنة المعصومَيْن عن الخطأ !! تقديراً بزعمهم للعلماء واحتراماً لآرائهم واجتهاداتهم، كما وقع من كلا الطرفين.. الغالي فيه والمقصِّر[2]..

- وتتضح أهمية معرفة فقه مقاصد الدعوة إلى الله وتحقيقها في ضوء منهج شرعي أصيل بحيث يمنع التحايل أو الهرب من هذه المقاصد..
- كما أن العلم بفقه مقاصد الدعوة والاعتناء بها يساعد على: سعى الناس وتسابقهم لتحصيل المصالح والتعاون على درء المفاسد.. يقول العز بن عبد السلام[3] -رحمه الله-

---

(١) الفوائد، ابن القيم، دار الكتب العلمية – بيروت ط: ٢، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م ١/ ١٠٤.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة – بيروت ط:٢ ١٩٩٣م ص: ١٤٨ .

(٣) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء (٥٧٧ – ٦٦٠هـ = ١١٨١ – ١٢٦٢م) : فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد. ولد ونشأ في دمشق، ولما سلم الصالح إسماعيل ابن العادل قلعة "صفد" للإفرنج اختيارا أنكر عليه ابن عبد السلام ولم يدع له في الخطبة، فغضب وحبسه، ثم أطلقه فخرج إلى مصر، فولاه صاحبها الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة ومكنه من الأمر والنهي. ثم اعتزل ولزم =

تعالى في بيان قصده وغايته من تأليف كتابه (قواعد الأحكام): "والغرض بوضع هذا الكتاب بيان مصالح الطاعات والمعاملات وسائر التصرفات ليسعي العباد في تحصيلها، وبيان مقاصد المخالفات ليسعى العباد في درئها، وبيان مصالح العبادات ليكون العباد على خبر منها، وبيان ما يقدم من بعض المصالح على بعض، وما يؤخر من بعض المفاسد عن بعض، وما يدخل تحت اكتساب العبيد دون مالا قدرة لهم عليه ولا سبيل لهم إليه"(١).

- ومن فوائد العلم بفقه المقاصد بالنسبة للداعية، إذ يجب عليه أن يكشف للناس عن المقاصد والأهداف باستمرار «ليتم الاقتناع بدين الله، والتزامه» .

حيث أن الطبيعة البشرية أكثر ميلا إلى ما يحقق منفعتها ويستجيب لرغباتها وحاجاتها..

- **كما أنها تفيد الداعية:** في ترتيب سلم الأوليات في الدعوة إلى الله سبحانه، فيقدم الضروريات على الحاجيات والتحسينات.. ويقدم الأصل على التابع.. ويقدم ما فيه مصلحة عامة على ما فيه مصلحة خاصة.. لا ما يفعله بعض الدعاة والمصلحين اليوم حيث راح بعضهم يشرّق ويغرب ويتقلب في متاهات علمية وعملية بلا ضابط علمي أو منهجي وأصبحت الأوليات الدعوية تُحدَّد في كثير من الأحيان بناء على الاجتهادات والأهواء الشخصية أو بناء على تجارب ورؤى قاصرة ضيقة الأفق فرأينا من يقدم ما حقه التأخير ويؤخر ما حقه التقديم وانعكس ذلك على كثير من الأعمال الدعوية المعاصرة...!!

- ومن الفوائد المتعددة بالنسبة للمسلم بوجه عام والداعية بوجه خاص كونها:

= بيته. ولما مرض أرسل إليه الملك الظاهر يقول: إن في أولادك من يصلح لوظائفك. فقال: لا. وتوفي بالقاهرة!! من كتبه "التفسير الكبير" و "الإلمام في أدلة الأحكام" (الأعلام للزركلي ٤/ ٢١).

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لأبي محمد عز الدين بن عبد السلام، الملقب بسلطان العلماء، ت: محمود بن التلاميد الشنقيطي، دار المعارف - بيروت ١/ ٩ .

أموراً إيمانية مناعية تحصينية، الغاية منها زيادة إيمان المسلم وتحصينه ضد التيارات والأفكار الضارة، من أجل تحقيق مهمة العبودية لله تعالى على أتم وجه..

• **وتكمن أهمية فقه مقاصد الدعوة كذلك:**

- أنه يمكن الداعية من القيام بمهمة تعريف عامة الناس بمقاصد الشريعة وتبسيط الأسس التي ترتكز عليها، بما يسهم في ترسيخ فهمهم وإدراكهم لهذه المقاصد.

-ويجعل منها أسلوباً وطريقة في التفكير ومعالجة الأمور الحياتية اللصيقة بهم..

فمعرفة المقاصد ضرورية للمسلم عامة ولو كان أميا..

- لتتكون عنده القناعة الكافية في دينه وشريعته ويسعى جاهدا للالتزام بأحكامها ويحذر من مخالفتها ويرفض الاستعاضة عنها، ويمتنع من التهرب منها...[١]

وثمة أمر مهم وهو: الاستمرارية في الدعوة حيث أن عدم تحديد الأهداف قد يوقع الداعية في الانحراف عن طريقه أو يجعله يتخبط في أساليبه أو يقطعه عن الاستمرار في دعوته، كما هو ملاحظ في واقع كثير من الدعاة اليوم[٢]

فاللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا..

❋ ❋ ❋

---

(١) من مقال (مقاصد الشريعة) الزحيلي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت، السنة السادسة، عدد: ٦. ١٤٠٢/ ١٤٠٣هـ.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة، محمد البيانوني، مؤسسة الرسالة - بيروت ط:٢ ١٩٩٣م ص: ٢٠٢ .

الفصل الأول:

أبرز مقاصد الدعوة إلى الله تعالى

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: مقصد تحقيق مقتضى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

المبحث الثاني: مقصد إقامة الحجة على الناس بالبلاغ المبين.

المبحث الثالث: مقصد هداية الناس وإنقاذهم من النار.

المبحث الرابع: مقصد إظهار الدين وإعلاء كلمة الله في الأرض وإقامة العدل ورفع الظلم.

المبحث الخامس: مقصد حفظ الضروريات الخمس.

المبحث الأول:
مقصد تحقيق مقتضى كلمة التوحيد
(لا إله إلا الله)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك أول مهمة على الدعاة.

المطلب الثاني: الدعوة لتحقيق التوحيد أصل رسالة الإسلام.

المطلب الثالث: بيان أهمية مقصد تحقيق التوحيد.

المطلب الأول:

الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك أول مهمة على الدعاة.

إن من أهم المقاصد وأعظم الغايات التي من أجلها يدعو الداعي إلى الله -عز وجل- ويبذل من أجلها الغالي والنفيس: تحقيق التوحيد وتجريده وهو إخلاص الدين لله بعبادته وحده لا شريك له، والنهي عن الشرك، وتحقيقه: بأن لا يدعى أحد من دونه من الملائكة والنبيين فضلا عن غيرهم، ولا يُعدل بالله تعالى مخلوقاته في شيء من ما يستحقه وحده ولا يَصرف العبدُ نوعا من أنواع العبادة لغير الله، فكل اعتقاد، أو قول، أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع الجليل الحكيم فصرفه لله وحده: توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره: شرك وكفر..، وجميع العبادة لا تصلح إلا لله وحده لا شريك له، وهذا معنى قول: (لا إله إلا الله) فإن المألوه هو المقصود المعتمد عليه، وهذا كما قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: أمر هين عند من لا يعرفه، كبير عظيم عند من يعرفه[1]، إذ أول واجب على المسلم تعلم التوحيد كما قال عز وجل: ((فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ))[2].

وفي هذا يقول الشيخ حافظ الحكمي[3] -رحمه الله-:

أول واجب على العبيد   معرفة الرحمن بالتوحيد[1].

---

(1) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، دار القاسم – الرياض، ط:٦ ١٤١٧هـ ٢/ ٢٠.

(2) سورة محمد، الآية: ١٩.

(3) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (١٣٤٢ - ١٣٧٧ هـ = ١٩٢٣ - ١٩٥٨م): فقيه أديب، من علماء (جيزان) ونشأ بدويا يرعى الغنم ثم قرأ القرآن. ولما بلغ السادسة عشرة بدأ بطلب العلم وهو يواصل رعي غنمه. ثم تفرغ للدراسة فظهر فضله، عين مديرا للمعهد العلمي فيها (١٣٧٤هـ). واستمر إلى أن توفي بمكة. من كتبه المطبوعة، وكلها رسائل: (سلم الوصول إلى علم الأصول) أرجوزة، و (معارج القبول) شرح لها و (أعلام السنة المنشورة).. (الأعلام للزركلي ٢/ ١٥٩).

ويقول الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-:

"إنَّ تأمُّلَ قِصة الوحي يبين أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أُمِرَ أولاً بالدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك، مع أنه كان عند المشركين أمور أخرى عظيمة من الظلم والعدوان، ونكاح الأمهات ووأد البنات، ومع ذلك أنذر أولاً من الشرك في عبادة الله، ودعا إلى توحيد الله -عز وجل- فإذا فهمتَ هذه المسألة فيا بشراك !!!." أ.هـ [(٢)].

وهكذا جاء في وصية النبي -صلى الله عليه وسلم- للصحابي الجليل معاذ بن جبل -رضي الله عنه- حين بعثه لليمن حيث قال له: " إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، وإذا فعلوها فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة تؤخذ من أموالهم فترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بهذا فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس"[(٣)].

ففي رواية: " إلى شهادة أن لا إله إلا الله" وفي رواية: " إلى أن يوحدوا الله" وفي رواية: " إلى أن يعبدوا الله" هذا تصرّف من الراوي بالمعنى، والمعاني كلها حق، وكلها تدل على شيء واحد، فشهادة أن لا إله إلا الله، هي توحيد الله وهي عبادة الله..

وهو أعظم شروط قبول الأعمال ولذلك فهو الشرط والأمر الذي أوجب الله على ابن آدم تعلمه والعمل به قبل تعلم الصلاة وشروطها والطهارة وشروطها ونواقضها..

وهو الشرط الذي فرض على الصحابة في مكة قبل فرض الصلاة وغيرها، ومعلوم أن الصحابة ما عُذِّبوا في مكّة ولا ابتُلوا وهاجروا وأوذوا إلا من أجله إذ لم يعذبهم قومهم ولا

(١) معارج القبول، حافظ حكمي، دار ابن القيم للنشر والتوزيع – الدمام، ط:١ ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م ١/ ٢٩.

(٢) مختصر السيرة، محمد بن عبد الوهاب، دار العربية للطباعة والنشر – بيروت ١٣٨٧هـ ص: ٢٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد ، باب: ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه و سلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ٦/ ٢٦٨٥ رقم (٦٩٣٧) ، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان ، باب: الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه والسؤال عنه ١/ ٤٦ رقم (١٧) .

آذوهم لأجل الصلاة أو الزكاة أو غيرها من الطاعات والشرائع التي لم تكن قد فرضت ولا طولبوا بها بعد وإنما طولبوا أول ما طولبوا بتحقيق ذلك الأمر العظيم لأن تلك العبادات لا تقبل بدونه ولذلك لم يكن من أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولا من طريقة دعوته هو وأصحابه أن يبدأوا في دعوة المشركين بالصلاة أو بالزكاة أو نحوها من الشرائع قبل دعوتهم لتحقيق التوحيد واجتناب عبادة الطواغيت، وهذا كله في حديث معاذ السابق حين بعثه الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى اليمن وعلّمه أسلوب الدعوة وطريقتها قال: " فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله " وفي رواية " إلى أن يوحدوا الله " " فإن هم أطاعوك لذلك فأعْلِمهم أنّ الله قد افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنّ الله قد أوجب عليهم في أموالهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردّ إلى فقرائهم... الحديث ".

فدعوة الإنسان إلى الإسلام ابتداءً لا تكون من الصلاة بل من التوحيد، ثم يؤمر إن حقق التوحيد بالصلاة والزكاة وسائر الأركان، فمن حقّق التوحيد واعتصم بالعروة الوثقى نجا وقُبلت منه الصلاة وسائر الأركان ومن تمسّك بشرائع وأركان الإسلام دون أن يتمسّك بالعروة الوثقى فهو من جملة الهالكين !!

لأن الله لم يضمن لشيء من عرى الإسلام والإيمان أن لا تنفصم إلا إذا انضمّت إليها وارتبطت بها هذه العروة الوثقى التي ضمن سبحانه أن لا تنفصم قال تعالى: ((لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ))(١).

لذلك فإنّ كثيراً ممن نصبوا وتعبوا بالعبادة في الدنيا تردّ عبادتهم على وجوههم يوم القيامة ويكون مصيرهم النار، قال تعالى: ((وُجوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ))(٢) أي في

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٥ .

(٢) سورة الغاشية، الآيات: ٢-٣.

العبادة ثم مصيرها: ((تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً)) لأن عبادتها وصلاتها وتعبها ونصبها كان هباءً منثوراً ولأنه بغير توحيد وإخلاص، وهذا معنى قوله تعالى: ((فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ))(١) ، فإن تابوا: أي من الشرك والكفر وخلعوا عبادة غير الله وحقّقوا التوحيد ومن ثم أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فقد عُصمت دماؤهم وأموالهم إلا بحقّها..

أما إقامة الصلاة دون التوبة من الشرك ودون التوحيد أو إقامة الصلاة مع نواقض لا إله إلا الله فلا تغني من الله شيئاً، وكم من مصلٍّ في زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كفر وارتدّ بكلمة من نواقض هذا التوحيد العظيم ومن أمثلة ذلك النّفر الذين خرجوا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مجاهدين في غزوة تبوك وهم من المصلِّين ومع ذلك كفروا لّما جاءوا بناقض من نواقض التوحيد والإسلام، هو استهزائهم بحفظة كتاب الله، قال تعالى: ((لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ))(٢) وكانوا يصلّون بل خرجوا للجهاد مع رسول الله !!

بل لقد نص الله -عز وجل- في كتابه العزيز على الحكمة من الخلق وجعل مقصد تحقيق التوحيد -بعبادته وحده لا شريك له- هي الغاية التي خلق الله الخلق لأجلها كما قال تعالى: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ))(٣) قال الإمام البخاري -رحمه الله- أي: ما خَلَقْتُ أَهْلَ السَّعَادَةِ من أَهْلِ الْفَرِيقَيْنِ إلا لِيُوَحِّدُونِ(٤).

وكذا قال الفرّاء(٥) ونصره ابن قتيبة(١) في مشكل القرآن(٢)..

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥ .

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٦ .

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٦ .

(٤) صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري ت: د. مصطفى ديب البغا دار ابن كثير بيروت ط:٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ٤/ ١٨٣٧.

(٥) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد أبو زكريا، المعروف بالفراء (١٤٤ - ٢٠٧ هـ = ٧٦١ - ٨٢٢م) : إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو.. (الأعلام للزركلي ٨/ ١٤٥) .

وقال العلامة السعدي[3] -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها وبعث جميع الرسل يدعون إليها وهي عبادته المتضمنة لمعرفته ومحبته والإنابة إليه والإقبال عليه والإعراض عما سواه..."[4] أ.هـ

نعم إنها غاية الغايات وأهم مهمات الدعوة إنها: توحيد الله تعالى، وإفراده سبحانه وحده بالعبادة دون أحد سواه، إنها الغاية التي ترخص في سبيلها كل الغايات والمقاصد، إنها الغاية التي ينبغي أن تكون مهمة الدعاة والمصلحين من بعدهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لا يشغلهم عنها شاغل، ولا يصرفهم عنها صارف .

* * *

---

(1) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد (٢١٣ - ٢٧٦ هـ = ٨٢٨ - ٨٨٩م) : من أئمة الأدب، ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها. من كتبه " تأويل مختلف الحديث " و " عيون الأخبار" و "مشكل القرآن" و " تفسير غريب القرآن (الأعلام للزركلي ٤/ ١٣٧).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ ٨/ ٦٠٠.

(٣) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي (١٣٠٧ - ١٣٧٦ هـ = ١٨٩٠ - ١٩٥٦م) : مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد.مولده ووفاته في عنيزة (بالقصيم) وهو أول من أنشأ مكتبة فيها (سنة ١٣٥٨) له نحو ٣٠ كتابا، منها: (تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن)و (تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن) و (القواعد الحسان في تفسير القرآن) و (الوسائل المفيدة للحياة السعيدة).. (الأعلام للزركلي ٣/ ٣٤٠).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة - بيروت ط:١ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ١/ ٨١٣.

المطلب الثاني:

الدعوة لتحقيق التوحيد أصل رسالة الإسلام.

إن المتأمل لنصوص القرآن الكريم من أوله إلى آخره ليجد التركيز العظيم على قضية مقصد تحقيق التوحيد والذي يشكل القضية الكبرى في موضوع الحوار والدعوة بين الرسل – عليهم الصلاة والسلام– وبين أقوامهم، فهو أصل رسالة الأنبياء والرسل –عليهم السلام– كما حكى الله –عز وجل– عن أنبياءه الكرام نوح وهود وصالح وإبراهيم وشعيب –عليهم السلام– بقولهم لقومهم: ((اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ))[1] ، بل هذه هي سنة الله –عز وجل– في بعثه رسله كلهم أجمعين كما قال تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ))[2] ، وقال تعالى: ((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ))[3] ، فالآيات تفيد حصر مهمة الرسل في الدعوة لهذا الأصل العظيم، فليست لهم مهمة في هذه الحياة سوى بيان هذا الأصل ودعوة الناس إليه: ((أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ))[4] ، وهكذا ينبغي أن تكون مهمة الدعاة والمصلحين من بعدهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لا يشغلهم عنها شاغل، ولا يصرفهم عنها صارف حتى يُعطوا عليها إجابة صريحة من الناس كل الناس قال تعالى: ((وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ))[5] والدعوة إلى الله تعالى تكون بالدعوة إلى توحيده وعبادته..

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٣٢.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

فمن أجل (لا إله إلا الله) وتحقيقها شرع الجهاد في سبيل الله كما قال تعالى: ((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ))[1] وفي سورة الأنفال: ((وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ))[2] وفي هذا يقول ابن عباس -رضي الله عنهما-: يعني: لا يكون شرك، وكذا قال أبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع ابن أنس والسدي ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم وقال محمد بن إسحاق بلغني عن الزهري عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا حتى لا تكون فتنة: حتى لا يفتن مسلم على دينه..

وقوله: ((وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ)) قال الضحاك عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في هذه الآية قال: يخلص التوحيد لله وقال الحسن وقتادة وابن جرير -رحمهم الله-: ((وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ)) أن يقال لا إله إلا الله..

وقال محمد بن إسحاق-رحمه الله-: ويكون التوحيد خالصا لله ليس فيه شرك ويخلع ما دونه من الأنداد..

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم-رحمه الله-: ((وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ)) لا يكون مع دينكم كفر ويشهد لهذا ما ثبت في الصحيحين عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابها على الله عز وجل)[3].

ويقول العلامة الشنقيطي[4] -رحمه الله- في كتابه الماتع أضواء البيان في تفسير قوله

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ ٢/ ٣١٠.

(٤) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (١٣٢٥ - ١٣٩٣ هـ = ١٩٠٧ - ١٩٧٣م): مفسر مدرس من علماء شنقيط (موريتانيا). ولد وتعلم بها. وحج (١٣٦٧هـ) واستقر مدرسا في المدينة المنورة ثم الرياض وأخيرا في الجامعة الإسلامية بالمدينة (١٣٨١هـ) وتوفي بمكة. له كتب، منها (أضواء البيان في تفسير القرآن) ستة أجزاء =

تعالى: ((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ)) قال: "أي: حتى لا يبقى شرك على أصحّ التفسيرين ويدلّ على صحّته قوله بعده: ((وَيَكُونَ الدِّينُ للهَّ)) لأن الدين لا يكون كلّه للهَّ حتى لا يبقى شرك كما ترى ومما يوضح هذا المعنى قوله -صلى الله عليه وسلم-: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله... الحديث)[1] فقد جعل -صلى الله عليه وسلم- الغاية التي ينتهي إليها قتاله للناس هي: (شهادة ألا إله إلاّ اللهَّ وأنّ محمّداً رسول اللهَّ) وهو واضح في أن معنى ((لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ)): لا يبقى شرك، فالآية والحديث كلاهما دالّ على أن الغاية التي ينتهي إليها قتال الكفار هي ألا يبقى في الأرض شرك إلاّ أنّه تعالى في الآية عبّر عن هذا المعنى بقوله: ((حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةً)) وقد عبّر -صلى الله عليه وسلم- عنه بقوله: (حتى يشهدوا ألا إله إلاّ اللهَّ) فالغاية في الحديث مبينة للغاية في الآية لأن خير ما يفسر به القرآن بعد القرآن السنة"[2].أ.هـ

وأصل ذلك أن نعلم أن جميع الولايات في الإسلام ومنها الدعوة إلى الله تعالى مقصودها وغايتها العظمى أن يكون الدين كله لله وهو أن يعبد الله وحده لا شريك له ويكفر بكل ما سواه من الآلهة والطواغيت على تنوع أشكالها وهذا هو التوحيد، وأن تكون كلمة الله هي العليا فإن الله سبحانه وتعالى إنما خلق الخلق لذلك وبه أنزل الكتب وبه أرسل الرسل وعليه

= منه، والسابع يطبع، و (منع جواز المجاز) و (منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات) و (دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب).. (الأعلام للزركلي ٦/ ٤٤).

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: ((فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم)) ١/ ١٧ رقم (٢٥)، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة يؤمنوا بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه و سلم وأن من فعل ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها ووكلت سريرته إلى الله تعالى وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام واهتمام الإمام بشعائر الإسلام ١/ ٥١ رقم (٢٠).

(٢) أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت ١٤١٥هـ-١٩٩٥م ٥/ ٢٨٩- ٥٦٠.

جاهد الرسول والمؤمنون..

ويؤكد هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- فيقول: "فالدعوة إلى الله تكون بدعوة العبد إلى دينه وأصل عبادته وحده لا شريك له كما بعث الله بذلك رسله وأنزل به كتبه قال تعالى: ((شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ))(١) .

وقال تعالى: ((وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ))(٢).

وقال تعالى: ((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ))(٣).

وقال تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ))(٤) وقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة عن رسول الله -صلى اله عليه وسلم- أنه قال: "إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد، الأنبياء إخوة لعلات وان أولى الناس بابن مريم.."(٥).

فالدين واحد وإنما تنوعت شرائعهم ومناهجهم كما قال تعالى: ((لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا))(٦)، فالرسل متفقون في الدين الجامع للأصول الاعتقادية والعلمية..."(٧)أ.هـ

(١) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء ، باب قول الله: ((واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها)) ٣/ ١٢٧٠ رقم (٣٢٥٩) ، وأخرجه مسلم في كتاب: الفضائل ، باب: فضائل عيسى عليه السلام ٤/ ١٨٣٧ رقم (٢٣٦٥) .

(٦) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٧) مجموع الفتاوى، لابن تيمية جمع: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة =

ومما تقدم يتبين لنا أن أصل مهمة الدعاة إلى الله وأسها: دعوة الناس لتحقيق التوحيد، بالدعوة لعبادة الله تعالى وحده ونبذ عبادة ما سواه، بل تكاد مهمة الدعاة أن تنحصر في هذه المهمة العظيمة التي نسأل الله الكريم أن يعيننا على القيام بها ونيل شرف الدلالة إليها .

* * *

= ١٩٩٥م ١٥/ ١٥٨.

المطلب الثالث:

بيان أهمية مقصد تحقيق التوحيد.

مما يبين ويجلي أهمية هذا المقصد العظيم أن الله -عز وجل- جعل الثواب الدنيوي والأخروي لمن قام بالتوحيد وحققه كما قال تعالى: ((الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ))(١) لهم الأمن في الدنيا والآخرة والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة كما وعد الله تعالى عباده الموحدين بقوله: ((مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ))(٢)، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل"(٣) وفي رواية حديث عتبان: "فإن الله حرم على النار النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله"(٤) وعند الترمذي وحسنه عن أنس -رضي قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: قال الله تعالى: (يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة)(٥).

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء ، باب قول الله: ((باب قوله : يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ..الآية)) ٣/ ١٢٦٧رقم (٣٢٥٢) ، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان ، باب: باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار ١/ ٤١ رقم (١٤٥) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: الصلاة ، أبواب استقبال القبلة، باب المساجد في البيوت ١/ ١٦٣ رقم (٤١٥) ، وأخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة ، باب: الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر ١/ ٤٥٤ رقم (٢٦٣) .

(٥) أخرجه الترمذي في أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في فَضْلِ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَمَا ذُكِرَ مِنْ =

وفي المقابل جعل الله -عز وجل- العقاب لمن ترك التوحيد واستهان به وجعل لله تعالى ندا، قال تعالى: ((إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا))[1]، وهذا خبر من الله عن نفسه سبحانه وتعالى مؤكداً بـ "إن" أنه: ((لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ)) ، مع أن رحمته وسعت كل شيء، ولكن المشرك لا يدخل فيها لعظم جريمته -والعياذ بالله- فمن مات على الشرك فإنه لا يغفر له، وهذا يدل على خطورة الشرك، فإذا كان الشرك بهذه الخطورة، فإنه يجب الحذر منه غاية الحذر، كل الذنوب مظنة المغفرة ورجاء المغفرة إلا الشرك، والشرك لا يمكن تجنبه إلا إذا عُرف وعُرف خطره.

وفي الآية الأخرى أخبر - سبحانه- أنه حرم الجنة على المشرك، قال تعالى: ((إِنَّهُ مَنْ يشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ))[2] .

والحرام: الممنوع، فلا يمكن أن يذوق المشرك طعم الجنة، أو يشم رائحة الجنة !!

وفي حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله ندا وهو خلقك)[3] والند هو المثل والشبيه ، فمن صرف شيئا من العبادات لغير الله فقد أشرك به شركا يبطل التوحيد وينافيه.

وبتحقيق التوحيد يحصل الفرق بين أهل السعادة القائمين به وأهل الشقاوة التاركين له. قال تعالى: ((وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ

= رَحْمَةِ اللهِ لِعِبَادِهِ ١٣/ ٥٦ رقم (٣٨٨٥).

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) سورة المائدة ، الآية: ٧٢.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: تفسير القرآن ، باب قوله تعالى: ((فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون)) ٤/ ١٦٢٦ رقم (٤٢٠٧) ، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان ، باب: كَوْنِ الشِّرْكِ أَقْبَحُ الذُّنُوبِ وَبَيَانِ أَعْظَمِهَا بَعْدَهُ ١/ ٢٣٨ رقم (١٢٤) .

الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ))[1].

يقول ابن القيم -رحمه الله-: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له كلمة قامت بها الأرض والسماوات وخلقت لأجلها جميع المخلوقات وبها أرسل الله تعالى رسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه ولأجلها نصبت الموازين ووضعت الدواوين وقام سوق الجنة والنار وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار والأبرار والفجار فهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب وهي الحق الذي خلقت له الخليقة وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب وعليها يقع الثواب والعقاب وعليها نصبت القبلة وعليها أسست الملة ولأجلها جردت سيوف الجهاد وهي حق الله على جميع العباد فهي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام وعنها يسأل الأولون والآخرون فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين ماذا كنتم تعبدون وماذا أجبتم المرسلين..

فجواب الأولى بتحقيق لا إله إلا الله معرفة وإقرارا وعملا وجواب الثانية بتحقيق أن محمدا رسول الله معرفة وإقرارا وانقياد وطاعة..."[2].

فحقاً إنها الغاية التي ترخص في سبيلها كل الغايات والمقاصد، إنها توحيد الله تعالى، وإفراده سبحانه وحده بالعبادة دون أحد سواه، كما قال تعالى: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ))[3] فليس لهم غاية في الوجود بل ولا عمل يشتغلون به إلا عبادة الله سبحانه وتعالى..

قال تعالى: ((وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٧.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، ت: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ط:١٤ مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م ١/ ٣٤.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ))[1] .

أي ما أمروا بشيء من التكاليف في هذا الوجود إلا بعبادة الله تعالى وحده، فالنفي الذي يتبعه استثناء ثم إثبات يفيد قمة الحصر والقصر أي هم مقصورين على العبادة وخُلقوا لأجلها لا يجوز لهم الانشغال عنها بأي شاغل، وهذا هو الدين القيم الذي يعلو ولا يُعلى عليه، والذي يجب اتباعه والدخول فيه..

وقوله تعالى: ((وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ))[2].

أي لا مألوه ولا معبود بحق في الوجود إلا الله سبحانه وتعالى عما يشركون في عبادة غيره من الطواغيت والآلهة المزعومة، فالمعبود بحق هو الله سبحانه وتعالى وهم لم يؤمروا إلا بعبادته، ومع ذلك تراهم ينصرفون ـ وكأن عقولهم وأبصارهم قد طُمست وتعطلت مهامها ـ إلى المخلوق الضعيف الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله، فيعبدونه من دون الله ويقدمون له فروض الطاعة والولاء، والتذلل والخضوع..!

والحاصل أن هذا المقصد هو أساس المقاصد الدعوية كلها وقد أوردت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وأقوال العلماء التي تدل على ذلك حتى أقدمها للدعاة إلى الله في هذا العصر ـ ليقوموا بواجبهم في تحقيق كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) والسعي لتحقيق المقاصد الدعوية الأخرى والتي أقدمها في المباحث الآتية إن شاء الله تعالى .

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة البينة، الآية: ٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣١ .

المبحث الثاني:

مقصد إقامة الحجة على الناس بالبلاغ المبين

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قيام الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

المطلب الثاني: امتثال دعاة الحق أمر الله -عز وجل- بإقامة الحجة على الناس.

المطلب الثالث: قيام الرسل -عليهم السلام- بإقامة الحجة على الناس وفشل المعرضين عنهم.

المطلب الأول:

قيام الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

اقتضت حكمة الله -عز وجل- أن لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه ببلوغ نذارة الرسل إليه كما دلت على ذلك الأدلة المتظافرة من الكتاب والسنة كما قال تعالى: ((وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً))(١).

وقال تعالى: ((رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً))(٢).

وقال: ((تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ . قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ))(٣).

وقال تعالى: ((يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي))(٤).

وقال تعالى: ((وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى))(٥).

وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: " لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين"(٦).

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٣) سورة الملك، الآية: ٨-٩.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٣٠

(٥) سورة طه، الآية: ١٣٤.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: قَوْلِ النبي - صلى الله عليه وسلم - « لاَ شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ »
=

قال الإمام ابن كثير –رحمه الله-: "إخبار عن عدله تعالى وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه .. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله –عز وجل- لا يدخل النار أحداً إلا بعد إرسال الرسول إليه" (١) .

وقال الإمام البغوي –رحمه الله-: "وذلك أن الله تعالى أجرى السنة أن لا يأخذ أحداً إلا بعد وجود الذنب، وإنما يكون مذنباً إذا أمر فلم يأتمر أو نهي فلم ينته، وذلك بعد إنذار الرسل... وفيه دليل على أن الله تعالى لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسول" (٢).

ويقول الإمام الشنقيطي –رحمه الله-: "والآيات القرآنية مصرحة بكثرة بأن الله تعالى لا يعذب أحداً حتى يقيم عليه الحجة بإنذار الرسل، وهو دليل على عدم الاكتفاء بما نصب من الأدلة، وما ركز في الفطرة، فمن ذلك قوله تعالى: ((وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً))(٣) فإنه قال فيها: حتى نبعث رسولاً، ولم يقل حتى نخلق عقولاً، وننصب أدلة، ونركز فطرة.

ومن ذلك قوله تعالى: ((رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ))(٤) فصرح بأن الذي تقوم به الحجة على الناس، وينقطع به عذرهم هو إنذار الرسل، لا نصب الأدلة والخلق على الفطرة..

ومن ذلك أنه تعالى صرح بأن جميع أهل النار قطع عذرهم في الدنيا بإنذار الرسل ولم يكتف في ذلك بنصب الأدلة، كقوله تعالى: ((كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ

= ٢٤/ ٢٦٢رقم (٧٤١٦) ، وأخرجه مسلم في كتاب: اللعان، باب: غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش ٢/ ١١٣٦رقم (١٤٩٩) .

(١) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار الفكر – بيروت ١٤٠١هـ ٥/ ٥٢.

(٢) تفسير البغوي (معالم التنزيل) لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ت: محمد النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش دار طيبة للنشر والتوزيع-الرياض ط: ٤ ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ))[1] .

وقوله تعالى: ((وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ))[2] "[3] أ.هـ

ولذا فمن كان خطؤه ناتجاً عن عدم بلوغ العلم إليه، لا العلم يصله ولا هو يستطيع أن يصل العلم، كحديث العهد بالإسلام، أو كالذي يسكن في منطقة نائية لا تتوفر فيها العلوم الشرعية كالبادية وغيرها، فهذا لو أخطأ فإنه معذور بخطئه إلى أن تقوم عليه الحجة الشرعية وتبلغه نذارة الرسل، وهي ما يسميها العلماء ببلوغ الحجة الرسالية وفي مثل هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيميه –قدس الله روحه– : "من الناس من يكون جاهلاً ببعض هذه الأحكام جهلاً يُعذر به، فلا يحكم بكفر أحد حتى تقوم عليه الحجة من جهة بلاغ الرسالة كما قال تعالى: ((رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسلِ))[4] .

وقال تعالى: ((وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً))[5].

ولهذا لو أسلم رجل ولم يعلم أن الصلاة واجبة عليه، أو لم يعلم أن الخمر يحرم، لم يكفر بعدم اعتقاد إيجاب هذا وتحريم هذا، بل ولم يعاقب حتى تبلغه الحجة النبوية ..

والصحيح الذي تدل عليه الأدلة الشرعية أ ن الخطاب لا يثبت في حق أحد قبل التمكن من سماعه، وكثير من الناس قد ينشأ في الأمكنة والأزمنة الذي يندرس فيها كثير من علوم

---

(١) سورة الملك، الآية: ٩.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٧١.

(٣) أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت ١٤١٥هـ-١٩٩٥م ٢/ ٣٣٦-٣٣٨.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

النبوات، حتى لا يبقى من يبلغ ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة، فلا يعلم كثيراً مما بعث الله به رسوله ولا يكونه هناك من يبلغه ذلك، ومثل هذا لا يكفر ولهذا اتفق الأئمة على أنه من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان، وكان حديث العهد بالإسلام فأنكر شيئاً من هذه الأحكام الظاهرة المتواترة فإنه لا يحكم بكفره، حتى يعرف ما جاء به الرسول"[١].

وإذا كان كذلك، فمعلوم أن الحجة إنما تقوم بالقرآن على من بلغه، كما في قوله تعالى: ((لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ))[٢] ، فمن بلغه بعض القرآن دون بعض، قامت الحجة عليه بما بلغه دون ما لم يبلغه وهذا من تمام حكمته –تعالى– وعدله أنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، فأرسل الله الرسل –عليهم السلام– مبشرين ومنذرين، وأقام –سبحانه– للناس أسباب الهداية باطناً وظاهراً، ولم يحل بينهم وبين تلك الأسباب، ومن حال بينه وبينها منهم بزوال عقل، أو صغر لا تمييز معه، أو كونه بناحية من الأرض لم تبلغه دعوة رسله، فإنه لا يعذبه حتى يقيم عليه حجته، فلم يمنعهم من هذا الهدى، ولم يحل بينهم وبينه، فحجته قائمة عليهم بتخليته بينهم وبين الهدى، وبيان الرسل لهم، وإراءتهم الصراط المستقيم حتى كأنهم يشاهدونه عياناً، ومن ثم من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعّد في السماء !!

نسأل الله أن يهدينا صراطه المستقيم إنه سميع قريب .

* * *

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: ابن قاسم مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة ١٩٩٥م (٤٠٦/١١).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

المطلب الثاني:

امتثال دعاة الحق أمر الله -عز وجل- بإقامة الحجة على الناس.

إن من المقاصد التي من أجلها يجتهد الدعاة إلى الله عز وجل للوصول إليها ويتسابقون ويتنافسون لنيل مرضات الله -عز وجل- لتحقيقها هي امتثال أمره بتبليغ دينه وأداء رسالته كما أمرهم الله عز وجل بها لإقامة الحجة على الناس بالبلاغ المبين، فهي مهمة الأنبياء والرسل -عليهم السلام- ومن تبعهم إلى يوم الدين بل حصر الله عز وجل في كذا ما آية من كتابه مهمة الرسل وأتباعهم في البلاغ المبين لإقامة الحجة على الناس فحسب..

قال تعالى: ((كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ...))(1).

وقال تعالى: ((رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا))(2) وقال -عز وجل-: ((فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ))(3).

قال أبو السعود -رحمه الله- في تفسيره: "أي ليست وظيفتهم إلا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا أو موضحا وإبانة طريق الحق وإظهار أحكام الوحي..."(4).

وقال تعالى: ((وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ))(5).

قال العلامة السعدي -رحمه الله- في تفسيره: "أي البلاغ المبين الذي يحصل به توضيح

---

(1) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(2) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(3) سورة النحل، الآية: ٣٥ .

(4) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، لأبي السعود بن محمد الحنفي، ت: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض ٥/ ١١٢ .

(5) سورة يس، الآية: ١٧.

الأمور المطلوب بيانها وما عدا هذا من آيات الاقتراح أو من سرعة العذاب فليس إلينا وإنما وظيفتنا التي هي البلاغ المبين قمنا بها وبيناها لكم فإن اهتديتم فهو حظكم وتوفيقكم وإن ضللتم فليس لنا من الأمر شيء..."[1].

ولقد أثنى الله تعالى على أمانة أنبيائه وشجاعتهم في تبليغ رسالاته كما أمر، رغم مقاومة الناس لهم واستهزائهم بهم، فقال عز وجل: ((الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا))[2].

يقول الإمام الطبري -رحمه الله- على قوله تعالى: ((الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ)): "إلى من أرسلوا إليه ويخافون الله في تركهم تبليغ ذلك إياهم ولا يخافون أحدا إلا الله فإنهم إياه يرهبون إن هم قصروا عن تبليغهم رسالة الله إلى من أرسلوا إليه.." أ.هـ[3].

فاختار الله رسله -عليهم السلام- واصطفاهم ليقوموا بهذه المهمة العظيمة كما أراد سبحانه واصطفاهم على الناس – كما أن الدعاة إلى الله أتباع الرسل القائمين بأمر الله هم صفوة الناس في كل زمان – ليعلم الله أن قد بلغت رسالته إلى الناس كما قال تعالى: ((عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا))[4].

وأدلة هذا المقصد الدعوي كثيرة في محكم التنزيل، نذكر منها أيضا ما ذكره الله تعالى من قول نوح -عليه السلام- لقومه: ((أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة – بيروت ط: ١ ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م ١/ ٦٩٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ ٢٢/ ١٥.

(٤) سورة الجن، الآية: ٢٦-٢٨.

تَعْلَمُونَ))[1] ، وقول هود -عليه السلام- لقومه: ((أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ))[2] ، وقوله: ((فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ))[3] ، وقول الله تعالى عنه: ((قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ))[4].

وقول الله تعالى عن شعيب -عليه السلام-: ((فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ))[5] وقوله تعالى عن مهمة جميع الرسل الذين بعثهم -عليهم السلام-: ((فَهَلْ عَلَى الرُّسلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ))[6].

وقوله: ((فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ))[7].

وقوله: ((فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ))[8].

وقوله: ((قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ))[9].

ولهذا خاطب الله عز وجل رسوله -صلى الله عليه وسلم- وهو خطاب لأتباعه من بعده الذين يحملون حمل الدعوة إلى الله – محددا له مهمته وهي: البلاغ المبين وألا يتوانَ في تبليغ الرسالة للناس -كما أراد الله عز وجل- تحسبا من أذى الكفار.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٦٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٦٨.

(٣) سورة هود، الآية: ٥٧ .

(٤) سورة الأحقاف، الآية: ٢٣.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٩٣.

(٦) سورة النحل، الآية: ٣٥.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٢٠.

(٨) سورة الشورى، الآية: ٤٨.

(٩) سورة يس، الآية: ١٦.

فقال -عز وجل-: ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ))[1]، فقام -صلى الله عليه وسلم- بتبليغ الرسالة وأداء الأمانة ونصح الأمة، فأقام الله به الحجة وأوضح المحجة، وأكمل به الدين، وأتم به النعمة، وتركنا على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه..

وفي هذا تقول أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: "من حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا -صلى الله عليه وسلم- كَتَمَ شيئا مِمَّا أَنْزَلَ عليه فَقَدْ كَذَبَ وَاللهُ يقول: ((يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ الْآيَةَ)) "[2]، والأمة كذلك تشهد له بأنه -صلى الله عليه وسلم- بلغ الرسالة كما أمره الله -عز وجل- وبين ما أنزل إليه من ربه وقد أخبر الله بأنه قد أكمل الدين وإنما كمل بما بلغه، إذ الدين لم يعرف إلا بتبليغه فعلم أنه بلغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده كما قال -صلى الله عليه وسلم-: "تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك"[3] وفي هذا يقول العلامة ابن القيم -رحمه الله-: " وقد توفى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر للأمة منه علما وعلمهم كل شئ حتى آداب التخلي وآداب الجماع والنوم والقيام والقعود والأكل والشرب والركوب والنزول والسفر والإقامة والصمت والكلام والعزلة والخلطة والغنى والفقر والصحة والمرض وجميع أحكام الحياة والموت ووصف لهم العرش والكرسي والملائكة والجن والنار والجنة ويوم القيامة وما فيه حتى كأنه رأى عين وعرفهم معبودهم وإلههم أتم تعريف حتى كأنهم يرونه ويشاهدونه

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب قول الله تعالى: ((يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته)) ٦/ ٢٧٣٨رقم (٧٠٩٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند في مسند الشاميين مسند العرباض بن سارية رضي الله عنه ٤/ ١٢٦ رقم: (١٧١٨٢).

بأوصاف كماله ونعوت جلاله وعرفهم الأنبياء وأممهم وما جرى لهم وما جرى عليهم معهم حتى كأنهم كانوا بينهم وعرفهم من طرق الخير والشر دقيقها وجليلها ما لم يعرفه نبي لامته قبله وعرفهم -صلى الله عليه وسلم- من أحوال الموت وما يكون بعده في البرزخ وما يحصل فيه من النعيم والعذاب للروح والبدن ما لم يعرف به نبي غيره وكذلك عرفهم -صلى الله عليه وسلم- أدلة التوحيد والنبوة والمعاد والرد على جميع فرق أهل الكفر والضلال ما ليس لمن عرفه حاجة من بعده، اللهم إلا إلى من يبلغه إياه ويبينه ويوضح منه ما خفي عليه وكذلك عرفهم -صلى الله عليه وسلم- من مكايد الحروب ولقاء العدو وطرق النصر والظفر ما لو علموه وعقلوه ورعوه حق رعايته لم يقم لهم عدو أبدا وكذلك عرفهم -صلى الله عليه وسلم- من مكايد إبليس وطرقه التي يأتيهم منها وما يتحرزون به من كيده ومكره وما يدفعون به شره ما لا مزيد عليه وكذلك عرفهم -صلى الله عليه وسلم- من أحوال نفوسهم وأوصافها ودسائسها وكمائنها ما لا حاجة لهم معه إلى سواه وكذلك عرفهم من أمور معايشهم ما لو علموه وعملوه لاستقامت لهم دنياهم أعظم استقامة..."[1] أ.هـ

ولقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز قصة أصحاب القرية[2] التي كانت حاضرة البحر، وكيف أن الله تعالى نهاهم عن الصيد في يوم السبت، فاحتالوا على ذلك ظلماً وعدواناً، بحبس الحيتان في أحواض على الشواطئ وصيدها في غير السبت، فوعظهم قوم منهم، ونهوهم عن

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم ت: طه عبد الرؤوف، دار الجيل - بيروت ١٩٧٣م ٤/ ٣٧٥.

(٢) لم يصح عن النبي -صلي الله عليه وسلم- تحديد اسم القرية والمهم أنها كانت قرية علي ساحل بحر، وكان عملهم صيد السمك.. قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيرا ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم وعدتهم وعصا موسى من أي الشجر كانت وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم ولا دنياهم.. ج١/ ص٥.

هذا المنكر الشنيع، ولكنهم أصروا على عدوانهم، فقامت طائفة أخرى يلومون الواعظين على تكرار وعظهم وإنكارهم، مع أن هؤلاء المعتدين لا يسمعون لهم ولا يطيعون، فأجابهم هؤلاء الدعاة بما جعله الله قرآناً متلواً، ليكون جواباً لكل من دعا إليه، ومقصداً له في دعوته، فقالوا: ((مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ))، أي: إعذاراً إلى الله، ليرى منا هذا الوعظ، وهذا الإنكار، فيعذرنا، ويرضى عنا. كما ذكروا مقصداً آخر لدعوتهم، ووعظهم لهؤلاء القوم، فقالوا: ((وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ))..(١)

فهذه القصة العظيمة التي ذكرها الله عز وجل في عدة مواضع من كتابه العزيز حيث جعلها الله عز وجل موعظة للمتقين..

قال تعالى: ((وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ))(٢) .

فكل من قرأ هذه القصة واتصف بصفة المتقين فهو ينتفع بها ويتعظ، ويعلم أهميتها في حياته خاصة وحياة المسلمين عامة..

فعلى الداعية إلى الله تعالى إن أراد أن ينتفع بالقرآن الكريم ويكون له هاديا مبينا في دعوته أن يطبق ما سمعه من قصص القرآن على ما يناسب واقعه وحياته الدعوية..

قال تعالى: ((وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ

(١) الدعوة إلى الله في ميادينها الثلاثة الكبرى، محمد حامد الغامدي،، دار الطرفين – الطائف، ط:١ ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م ص: ٤٨-٤٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٦٥-٦٦.

بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ))[1] .

يقول الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "فنص على نجاة الناهين وهلاك الظالمين وسكت عن الساكتين لأن الجزاء من جنس العمل فهم لا يستحقون مدحا فيمدحوا ولا ارتكبوا عظيما فيذموا ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم هل كانوا من الهالكين أو من الناجين على قولين.."[2]

ويقول الشيخ السعدي -رحمه الله-: "ففسقهم هو الذي أوجب أن يبتليهم الله وأن تكون لهم هذه المحنة وإلا فلو لم يفسقوا لعافاهم الله ولما عرضهم للبلاء والشر فتحيلوا على الصيد فكانوا يحفرون لها حفرا وينصبون لها الشباك فإذا جاءت يوم السبت ووقعت في تلك الحفر والشباك لم يأخذوها في ذلك اليوم فإذا جاء يوم الأحد أخذوها وكثر فيهم ذلك وانقسموا ثلاث فرق معظمهم اعتدوا وتجرؤوا وأعلنوا بذلك وفرقة أعلنت بنهيهم والإنكار عليهم وفرقة اكتفت بإنكار أولئك عليهم ونهيهم لهم وقالوا: ((لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا)) كأنهم يقولون لا فائدة في وعظ من اقتحم محارم الله ولم يصغ للنصيحة بل استمر على اعتدائه وطغيانه فإنه لا بد أن يعاقبهم الله إما بهلاك أو عذاب شديد فقال الواعظون نعظهم وننهاهم معذرة إلى ربكم أي لنعذر فيهم ولعلهم يتقون أي يتركون ما هم فيه من المعصية فلا نيأس من هدايتهم فربما نجح فيهم الوعظ وأثر فيهم اللوم وهذا هو المقصود الأعظم من إنكار المنكر ليكون معذرة وإقامة حجة على المأمور المنهي ولعل الله أن يهديه فيعمل بمقتضى ذلك الأمر والنهي.."[3] أ.هـ

لقد انقسم الناس في هذه الآيات إلى ثلاثة أقسام:

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٣-١٦٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ ٢/ ٢٥٨ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة - بيروت ط: ١ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ١/ ٣٠٦ .

١- معتدون على حدود الله واقعون في محارمه.

٢- دعاة إلى الله آمرون بالمعروف ناهون عن المنكر.

٣- فرقة سلبية مخذّلة غير واقعة في محارم الله لكنهم سكتوا ولم يقوموا بدعوة المعتدين المجرمين بنهيهم عما وقعوا فيه بل قاموا بتيئيس وتثبيط إخوانهم الدعاة الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ((لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا)).

فالمقصود الأول للداعي إلى الله تعالى إذا هو: أداء الأمانة التي تحمّلها ، بدعوة الناس إلى الحق، وإبلاغ الرسالة التي تبع الرسولَ صلى الله عليه وسلم على إبلاغها، فيصدع بالحق، وينذر الناس، ويدعو إلى الخير، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويعلم الجاهل، ويقوم بالنصيحة. فلا يدع شيئاً مما يجهله الناس من أمر دينهم وهو يعلمه إلاّ بيّنه لهم أتمّ البيان، وبلّغه إليهم أكمل البلاغ، أداءً للأمانة، ونصحاً لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامّتهم وإن كان المدعوون ممن يعرضون عن دين الله ويصدّون عن سبيله، فإنّ إبلاغه الرسالة، وأداءه الأمانة، يكون إظهاراً لحجّة الله عليهم..

قال تعالى: ((لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ))[1]

* * *

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

المطلب الثالث:

قيام الرسل –عليهم السلام- بإقامة الحجة على الناس وفشل المعرضين عنهم.

البلاغ المبين هو الحمل الذي حمّله اللهُ –عز وجل– الرسلَ وأتباعَهم من الدعاة إلى الله –عز وجل– وانتدبهم إليه..

قال تعالى: ((قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ))[(١)].

يقول السدي –رحمه الله تعالى–: ((فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ)) فيبلغ ما أرسل به إليكم ((وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ)) قال: أن تطيعوه وتعملوا بما أمركم"[(٢)].

وقال تعالى: ((رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا))[(٣)] فمن مقاصد البلاغ المبين إقامة الحجة لله على عباده، واضحة كاملة تامة حتى لا يقولوا يوم القيامة: ما جاءنا من بشير ولا نذير، أو: لم يقل النبي لنا، أو: لم يبلغنا ذلك، أو: لم نعرف ذلك، أو: كنا عن هذا غافلين.. وغير ذلك من العبارات التي توحي بعدم بلوغ البيان لهم فقطع الله عز وجل هذه الحجج بإرسال الرسل والأنبياء وأمرهم بتبليغ دين الله وشرعه وبيانه للناس أتم البيان..

وتأمل قول الله –عز وجل–: ((وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى))[(٤)].

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٤.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر – بيروت ١٩٩٣م ٦/ ٢١٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٤) سورة طه، الآية: ١٣٤.

وقوله: ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))(١).

يتضح لك جلياً أن إقامة الحجة على الناس بالبيان المبين محورٌ أصلي دائم في عمل الأنبياء والرسل -عليهم السلام- وأتباعهم من الدعاة الصادقين، فمهمة الأنبياء والرسل -عليهم السلام- ومن بعدهم من الدعاة إلى الله -عز وجل- هي: إيصال العقيدة والأحكام إلى الناس كما جاءت من عند الله من غير تحريف أو تبديل.. وبذلك يقيم الداعيةُ إلى الله عز وجل الحجةَ على الناس ويؤدي ما عليه ويكون حجة ربه على عباده..، أما استجابتهم أو عدم استجابتهم واهتداءهم أو تكذيبهم فلا يعني بالضرورة أن المبلِّغ فشل في دعوته كما يعبر عن ذلك بعض الدعاة اليوم ممن قل علمهم وساء أدبهم مع الأنبياء والرسل -عليهم السلام- فنوح -عليه السلام- في دعوته لقومه أدى رسالة ربه ونجح في تبليغ الدعوة أكبر نجاح وإنما الفشل يتوجه إلى قومه المعاندين المكذبين لأن هدايتهم وتصديقهم ليس في يده ولا يملكه وإنما هدايتهم وتصديقهم غايته ومراده ومقصوده من دعوتهم وهذا قد يتحقق وقد لا يتحقق كما قرر ذلك العلماء المحققون عند كلامهم على الإرادة الشرعية عند قول الله تعالى: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ))(٢)، فهذا مراد الله الشرعي من خلق الله تعالى الجن والإنس، وهذا قد يكون وقد لا يكون فقد يسلم الجن والإنس وقد يكفرون، ولهذا فإن الداعية إلى الله ليس مسؤولاً عن هداية الناس وإنما السؤال عن قيامه بدعوة الناس كما أمره ربه -عز وجل- ، هو من اختصاص الله -عز وجل- كما قال تعالى: ((لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذَّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ))(٣).

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٩.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

وقال تعالى: ((إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاء))[(١)]، وقال: ((فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ))[(٢)]، وقال الله تعالى: ((قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين))[(٣)]، وقال تعالى: ((وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ))[(٤)].

ومن ثم فإن لهذا المقصد ثمرة عظيمة، وهي أن الداعية إلى الله تعالى لا يصده عن دعوته شيء ألبته، فسواء استجاب له الناس، وقبلوا دعوته، أم أعرضوا عنه، ولم يستجيبوا له، وسواء ترفقوا به، وأكرموه، أو آذوه، وصدوه، وأهانوه، فهو لا ينشد رضى أحد من الناس، ولا يبالي بسخطه، إنما مقصده وغايته امتثال أمر ربّه، والسعي إلى رضوانه بتبليغ دينه، وأداء رسالته، قبل كل شيء ، قال تعالى: ((وَلاَ يَصُدّنّكَ عَنْ آيَاتِ اللهِ بَعْدَ إِذْ أُنزلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبّكَ وَلاَ تَكُونَنّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))[(٥)].

* * *

---

(١) سورة القصص، الآية: ٥٦ .

(٢) سورة الغاشية، الآيات: ٢١-٢٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤٩.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٤٠.

(٥) سورة القصص، الآية: ٨٧.

المبحث الثالث:

مقصد هداية الناس وإنقاذهم من النار

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: دلالة القرآن الكريم والسنة المطهرة على مقصد هداية الناس.

المطلب الثاني: صور من حرص الأنبياء –عليهم السلام– على هداية الناس.

المطلب الأول:

دلالة القرآن الكريم والسنة المطهرة على مقصد هداية الناس.

بعد أن تبين لنا في المبحث السابق أن من أهم مقاصد الدعوة إلى الله –تعالى– إقامة الحجة على الناس بالبلاغ المبين الواضح، رحمة من الله تعالى بعباده، فأرسل رسله وأنزل كتبه لإقامة الحجة عليهم، وقد ضمن الحكيم الخبير هذا المقصد العظيم مقصدا آخر هو مقتضى- رحمته –سبحانه- بعباده أجمعين، ألا وهو: إخراج الناس من الظلمات إلى النور وهدايتهم إلى الصراط المستقيم، فهو سبحانه عندما أمر أنبياءه ورسله –عليهم الصلاة السلام- بالبلاغ المبين لإقامة الحجة على الناس إنما أراد بذلك مع إقامة الحجة عليهم هدايتهم إلى الإسلام دين الحق الذي ارتضاه لهم شرعا وإخراجهم من ظلمات الكفر الذي لا يرضاه لهم شرعا كما قال تعالى: ((إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ))[1] .

فمن مقاصد الدعوة العظيمة التي من أجلها يدعو الداع: إخراج الناس من الظلمات إلى النور، و إرشادهم إلى الحق حتى يأخذوا به، و ينجوا من النار، و إخراج الكافر من ظلمات الكفر إلى نور الحق والصراط المستقيم، وإخراج الجاهل من ظلمات الجهل إلى نور العلم والهدى، وإخراج العاصي من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة والإتباع كما قال عز وجل: ((اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ..))[2] .

(١) سورة الزمر، الآيات: ٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

والأدلة من القرآن الكريم على هذا المقصد كثيرة نذكر منها: قول الله -عز وجل-: ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ))[1].

وقوله -عز وجل-: ((الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ))[2] .

وقوله: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ))[3].

وقوله: ((هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ))[4].

وقوله: ((رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا))[5].

ومما يدل على عظمة هذا المقصد ما جاء في الصحيحين من ضربه -صلى الله عليه وسلم- مثلا يصور مدى حرصه على هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، حيث قال: "إنما مَثَلِي وَمَثَلُ الناس كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فلما أَضَاءَتْ ما حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ

---

(١) سورة المائدة، الآيات: ١٥-١٦.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٥.

(٤) سورة الحديد، الآية: ٩.

(٥) سورة الطلاق، الآية: ١١.

الدَّوَابُّ التي تَقَعُ في النَّارِ يَقَعْنَ فيها فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فيها فَأَنَا آخذُ بِحُجَزِكُمْ عن النَّارِ وأنتم تقحمون فيها"[(١)] .

بل لقد جعل -صلى الله عليه وسلم- هداية رجل واحد على يد الداعية إلى الله خير له مما يجمعه الناس من حطام الدنيا الفاني !! قال -عليه الصلاة والسلام-: "فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لك من حُمْرِ النَّعَمِ"[(٢)].

وما دعوته -صلى الله عليه وسلم- لعمه أبي طالب وحرصه على إنقاذه من النار عند وفاته، وفرحه بإسلام اليهودي حين قال: "الحمد لله الذي أنقذه بي من النار"[(٣)] إلا خير مثال على تجسيد ذلك المقصد العظيم..

* * *

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي ٥/ ٢٣٧٩ رقم (٦١١٨)، وأخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم ٤/ ١٧٨٩ رقم (٢٢٨٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه و سلم إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله ٣/ ١٠٧٧ رقم (٢٧٨٣)، وأخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل علي رضي الله عنه ٤/ ١٨٧٠ رقم (٢٤٠٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام الله ١/ ٤٥٥ رقم (١٢٩٠).

المطلب الثاني:

صور من حرص الأنبياء - عليهم السلام- على هداية الناس .

إن المتأمل في سيرة ومنهج دعوة الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- يجد هذا المقصد واضحا جليا في طريقة دعوتهم الناس وحرصهم على هدايتهم، فهذا على سبيل المثال نوح -عليه السلام- كان في غاية الحرص على دعوة قومه وهدايتهم الصراط المستقيم، قال تعالى: ((فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً))(١) يدعوهم إلى الله من غير فتور ولا توانٍ مستخدماً جميع الأساليب الممكنة كما قال تعالى حكاية عنه: ((قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً))(٢) .

ما صده ذلك الإعراض عن الدعوة وما منعه عن الاستمرار في العمل لهذا الدين القيم!! ولم يكتفِ بتبليغهم الدعوة فقط كيفما اتفق، بل جد واجتهد واستخدم كل وسيلة شرعية ممكنة في سبيل هدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور كما حكى الله تعالى عنه: ((قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا))(٣) .

فنوع أساليب الدعوة، ودعاهم بالليل والنهار، ودعاهم جهرة ثم أسر لهم سراً وجمع لهم بين الأسلوبين في غاية الجد والنصح وتبليغ الرسالة حرصا منه على تبليغ أمر ربه وهداية قومه..

---

(١) سورة العنكبوت، الآية:١٤.

(٢) سورة نوح، الآيات:٥-٧.

(٣) سورة نوح، الآيات: ٥-٩.

ولقد ضرب نبينا وحبيبنا محمد -صلى الله عليه وسلم- الأمثلة في حرصه على هداية قومه من قريش والعرب بل والناس أجمعين وكان يدعو فوق الجبل وفي المسجد وفي الطريق وأسواق العرب ومنازل الناس وفي مواسم الحج يقوم بالدعوة إلى الله -عز وجل- في الحضر والسفر وفي الأمن والقتال والصحة والمرض وعندما يَزور أو يُزار وكان يوجه دعوته إلى من أحبوه وإلى من أبغضوه حتى أكرمه الله بالنفر الكرام من الأنصار الذين بايعوه في العقبة وكان ذلك فتحاً وانطلاقةً عظيمة في الدعوة إلى الله -عز وجل- ، هدفه عظيم وهو هداية الناس إلى دين الله وهذا هو ما يحرص عليه ويسعى في سبيل تحقيقه ويلتمس له الوسائل والطرق المناسبة رغبة منه في إخراج الناس من الظلمات إلى النور للفوز برضا خالقهم، وليس همه محصورا في إقامة الحجة على الناس فحسب وإن كان ذلك من مقاصد دعوته، بل كان صلى الله عليه وسلم حريصا جدا على هداية الناس وكان يبذل لهم كل ما يدعوهم إلى الاهتداء وكان يحزن حزنا شديدا على عدم استجابة الناس للدعوة حتى خاطبه ربه في ذلك وقال له: ((فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا))[1] وقال: ((لَعَلَّكَ بَاخِعٌ[2] نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ))[3] فلم يكن هم الرسول -صلى الله عليه وسلم- محصورا في مجرد إقامة الحجة عليهم فحسب، بل كان همه الأكبر كذلك هو: هدايتهم إلى الإيمان وإنقاذهم من النار، وقد سلك -صلى الله عليه وسلم- في ذلك كل طريق من شأنه أن يحقق هذا المقصد العظيم..

بل جاء في الصحيحين أَنَّ عَائِشَةَ -رضي الله- عنها زَوْجَ النبي -صلى الله عليه وسلم- قالت لِلنَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-: "هل أتى عَلَيْكَ يَوْمٌ كان أَشَدَّ من يَوْمِ أُحُدٍ قال لقد لَقِيتُ من قَوْمِكِ ما لَقِيتُ وكان أَشَدَّ ما لَقِيتُ منهم يوم الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي على بن عبد يا ليل

(١) سورة الكهف، الآية: ٦.

(٢) أي مهلكها .

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٣.

بن عبد كُلَالٍ فلم يُجِبْنِي إلى ما أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وأنا مَهْمُومٌ على وَجْهِي فلم أَسْتَفِقْ إلا وأنا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فإذا أنا بِسَحَابَةٍ قد أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فإذا فيها جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فقال إِنَّ اللهَّ قد سمع قَوْلَ قَوْمِكَ لك وما رَدُّوا عَلَيْكَ وقد بَعَثَ الله إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قال يا محمد فقال ذلك فِيمَا شِئْتَ إن شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عليهم الْأَخْشَبَيْنِ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله من أَصْلَابِهِمْ من يَعْبُدُ اللهَّ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئا"[(1)].

وتأمل أخي الداعية الكريم قوله –صلى الله عليه وسلم- " بَلْ أَرْجو أَنْ يخرِجَ الله من أَصْلَابِهِمْ من يَعْبُدُ اللهَّ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئا" بعد تكذيبهم له وردهم دعوته، كيف امتلأ قلبُ النبي الرحيم –صلى الله عليه وسلم- تفاؤلا وصبرا ورحمة بهداية الله -عز وجل- من يأتي من أصلابهم !!

ولا عجب والحق تبارك وتعالى برحمته رباه وأدبه كما قال تعالى: ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهّ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهّ إِنَّ اللهّ يحبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ))[(2)]، وصدق الله العظيم القائل: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ))[(3)] ، ولما تلا -عليه الصلاة والسلام- قول الله عز وجل في إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-: ((رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))[(4)] .

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق ، باب: إِذَا قَالَ أَحَدُكُم آمِين وَالْمَلَائِكَة فِي السَّمَاءِ فَوَافَقَت إِحْدَاهُمَا الأُخْرى غُفِرَ لَه مَا تَقَدَّم مِن ذَنْبِه ٤/ ١٣٨ رقم (٣٢٣١) ، وأخرجه مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: باب ما لقي النبي صلى الله عليه و سلم من أذى المشركين والمنافقين ٣/ ١٤١٧ رقم (١٧٩٥) .

(2) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(3) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(4) سورة إبراهيم ، الآية::٣٦.

وقول عيسى -عليه السلام-: ((إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))[١] رفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله ما يبكيك؟، فأتاه جبريل صلى الله عليه وسلم، فسأله، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك"[٢]، وصور حرص النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- على هداية الناس ورحمته بهم وشفقته عليهم كثيرة جدا والمطالع لسيرته -صلى الله عليه وسلم- يجد هذا جليا واضحا والحمد لله رب العالمين...

ودعاة الحق كذلك يقومون بالدعوة لإخراج من شاء الله من الظلمات إلى النور وما ذكر الله -عز وجل- قصة الرجل الذي جاء يسعى من أقصى المدينة كما في سورة "يس" إلا لتكون نبراسا للدعاة إلى الله والمؤمنين الصادقين في دعوتهم إلى الله عز وجل وحرصهم على تبليغ دينه وهداية خلقه ودلالتهم إليه !! قال عز وجل في شأنه: ((وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً))[٣] فسارع يدعوهم إلى التوحيد: ((أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ))[٤] أي: هذه الأوثان المعبودة، والأصنام المقصودة: ((لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلا يُنْقِذُونِ * إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ * إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ))[٥]، ((رَجُلٌ)) أي: تحققت فيه صفات الرجولة بأجمعها.. ((مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ)): ليس من مكان قريب، جاءهم يسعى سعياً حثيثاً ليبلغ قومه

---

(١) سورة المائدة، الآية:: ١١٨.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب دعاء النبي صلى الله عليه و سلم لأمته وبكائه شفقة عليهم ١/ ١٩١ (٢٠٢).

(٣) سورة يس، الآيات:٢٠-٢١.

(٤) سورة يس، الآية:٢٣.

(٥) سورة يس، الآيات:٢٣-٢٥.

دين الله عز وجل يقول: ((يَا قَوْمِ اتَّبِعوا الْمُرْسَلِينَ)) كان حريصاً على هداية قومه ولما مات تتابع حرصه عليهم بعد موته..ولذلك قال لما قتلوه بعدما لقي الله كما حكى الله تعالى عنه: ((قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ))[1] لا زال حريصاً عليهم بعد موته وبعد انقطاعه عن الدنيا لا زال يتمنى أن قومه يعلمون ما لقيه من الله وما غفر الله له والإكرام الذي وجده عند ربه إنه الحرص في قلب هذا الرجل الداعية على هداية قومه وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وهذا مقتضى قول النبي صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة ثلاثا، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[2] ، قال ابن رجب[3] -رحمه الله- في كتابه الماتع "جامع العلوم والحكم": قال أبو عمرو بن الصلاح[4] -رحمه الله- : "النصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلا.. فالنصيحة لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم وستر عوراتهم وسد خلاتهم ونصرتهم على أعدائهم والذب عنهم ومجانبة الغش والحسد لهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه وما شابه ذلك انتهى ما ذكره ابن الصلاح، ومن أنواع نصحهم دفع الأذى والمكروه عنهم وإيثار فقيرهم وتعليم

---

(١) سورة يس، الآيات:٢٦-٢٧.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان ، باب : بيان أن الدين النصيحة ١/ ٧٤ رقم (٥٥) .

(٣) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي، أبو الفرج، زين الدين (٧٣٦ - ٧٩٥ هـ = ١٣٣٥ - ١٣٩٣م): حافظ للحديث، من العلماء. ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق. من كتبه (شرح جامع الترمذي) و (جامع العلوم والحكم) في الحديث، وهو المعروف بشرح الأربعين، و (لطائف المعارف) و (فتح الباري، شرح صحيح البخاري) لم يتمه، و (ذيل طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى)وغيرها.. (الأعلام للزركلي ٣/ ٢٩٤).

(٤) عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) ابن عثمان بن موسى بن أبي النصر النصري الشهرزوري الكردي الشرخاني، أبو عمرو، تقي الدين، المعروف بابن الصلاح (٥٧٧ - ٦٤٣ هـ = ١١٨١ - ١٢٤٥م): أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسم الرجال، له كتاب "معرفة أنواع علم الحديث" يعرف بمقدمة ابن الصلاح، و " طبقات الفقهاء الشافعية" وغيرها.. (الأعلام للزركلي ٤/ ٢٠٧) .

جاهلهم ورد من زاغ منهم عن الحق في قول أو عمل بالتلطف في ردهم إلى الحق والرفق بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحبة إزالة فسادهم ولو بحصول ضرر له في دنياه !! كما قال بعض السلف وددت أن هذا الخلق أطاعوا الله وأن لحمي قرض بالمقاريض !!"[(١)]

• مقصد الحرص على هداية الناس يتجلى في دعوة موسى -عليه السلام- فرعونَ:

ومما يجلي هذا المقصد العظيم أيضا ويبينه ما قصه الله في محكم التنزيل عن فرعون اللعين مع موسى الكليم عليه السلام حيث أن فرعون بلغ به العتو والتكبر إلى أن قال كما حكى الله -عز وجل عنه-: ((أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى))[(٢)] ، وسخر من مقام الألوهية والربوبية فقال: ((مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ))[(٣)] ، وسخر من مقام النبوة والرسالة فقال: ((أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ))[(٤)] ، وأعمال هذا الطاغوت الجبار الظالم وأحواله لا تخفى على من عرف سيرته المظلمة، ومع هذا كله يأمر الله عز وجل نبيه موسى وأخاه هارون -عليهما السلام- أن يلينا له القول ليس لإقامة الحجة عليه فحسب بل مع تبليغه رسالة رب العالمين فلعله يهتدي ويتذكر أو أن يخشى !! قال تعالى: ((اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى))[(٥)] وقال: ((اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى))[(٦)] ، فأمر الله تعالى بمخاطبة من أخبر عن طغيانه وجبروته وظلمه -مع علمه تعالى أنه يموت على الكفر- باللين والرفق لعله يتذكر أو يخشى

---

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب،مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م ت: شعيب الأرنؤوط ١/ ٨١.

(٢) سورة النازعات، الآية: ٢٤.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٣٨.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٥٢ .

(٥) سورة طه، الآيات: ٤٤-٤٥.

(٦) سورة النازعات، الآية: ١٧-١٩.

ويهتدي، فكيف بمن هو دونه !!! هذا هو سبيل الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- بعثوا ليخرجوا من شاء الله من الظلمات إلى النور، ومن العذاب إلى الرحمة والمغفرة، ومن طاعة الشيطان والهوى إلى طاعة الله ورسوله..

* * *

المبحث الرابع:

مقصد إظهار الدين وإعلاء كلمة الله في الأرض

وإقامة العدل ورفع الظلم

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: دلالة القرآن الكريم والسنة المطهرة على مقصد إعلاء كلمة الله –تعالى- في الأرض.

المطلب الثاني: إقامة العدل ورفع الظلم أساس التمكين في الأرض

المطلب الأول:

دلالة القرآن الكريم والسنة المطهرة على مقصد إعلاء كلمة الله -تعالى- في الأرض.

إن من الأهداف الواضحة والحكم الجلية التي أبانها الله تعالى في محكم التنزيل والتي من أجلها أرسل الله -عز وجل- الرسل وأنزل الكتب وشرّع الجهاد في سبيله بعد التوحيد وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له: أن تكون كلمة الله في الأرض هي العليا ويقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي به قامت السماوات والأرض قال تعالى: ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ))(١).

وقال تعالى: ((هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ))(٢).

وقال تعالى: ((هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا))(٣).

فإظهار الدين، وإعلاء كلمة الله في الأرض، وإرغام الباطل وأهله، وإخضاعهم صاغرين ذليلين لحكم الله -تعالى- وشرعه المنزل لهو من المقاصد العظيمة التي يسعى الدعاة إلى الله لتحقيقها، ولهذه الغاية العظيمة شرع الله الجهاد في سبيله وسيلةً لتحقيق هذا المقصد العظيم حيث قال تعالى: ((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ))(٤).

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩٣.

وقال تعالى: ((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ))[(١)].

وكما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله"[(٢)].

وقال -صلى الله عليه وسلم-: "بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له"[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "والجهاد مقصوده أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون الدين كله لله؛ فمقصوده إقامة دين الله لا استيفاء الرجل حظَّه، ولهذا كان ما يصاب به المجاهد في نفسه وماله أجره فيه على الله ؛ فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة"[(٤)]..

وكما هو معلوم أن مقصد إظهار الدين وإعلاء كلمة الله تعالى في الأرض والسعي لهيمنة الكتابِ المنزلِ على محمد -صلى الله عليه وسلم- القرآنِ العظيمِ على جميع الكتب الأخرى لا يكون إلا باتحاد الكتاب الهادي -القرآن الحكيم- مع السيف الحامي -الجهاد في سبيل الله-، ولا يتأتى هذا إلا بوجود حكم على منهاج الكتاب والسنة يذود عن حما دين الله -تعالى- وحمى أهله وأتباعه ويحمل الدعوة الإسلامية ويبلغها إلى العالم أجمع، قال تعالى: ((لقد أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الْكِتَابَ وَالْمِيْزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٢) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند في مسند بني هاشم مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ٢/ ٥٠ رقم: (٥١١٥)

(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة ١٩٩٥م ١٥/ ١٧٠.

شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ))[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: " فالمقصود أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الله اسم جامع لكلماته التي تضمنها كتابه وهكذا قال الله تعالى: ((لقد أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ)) فالمقصود من إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يقوم الناس بالقسط في حقوق الله وحقوق خلقه ثم قال تعالى: ((وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ))، فمن عدل عن الكتاب قوم بالحديد ولهذا كان قوام الدين بالمصحف والسيف وقد روى[(٢)] عن جابر بن عبد الله -رضى الله عنهما- قال: أمرنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن نضرب بهذا يعنى السيف من عدل عن هذا يعنى المصحف.."[(٣)].

وقال أيضا -رحمه الله-: " فقوام الدين بكتاب يهدي وسيف ينصر: ((وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً))[(٤)] ودين الإسلام أن يكون السيف تابعاً للكتاب، فإذا ظهر العلم بالكتاب والسنة وكان السيف تابعاً لذلك كان أمر الإسلام قائماً "[(٥)].

ويقول الإمام ابن القيم -رحمه الله- مقررا هذا الأصل: " وبعثه الله تعالى – يعني النبي

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، برقم (٥٨٤٢) عن جابر بن عبد الله الأنصاري، يقول: "بعثني عثمان رضي الله عنه في خمسين فارسا إلى ذي خشب، وأميرنا محمد بن مسلمة الأنصاري، فجاء رجل في عنقه مصحف وفي يده سيف وعيناه تذرفان، فقال: إن هذا يأمرنا أن نضرب بهذا على ما في هذا، فقال له محمد بن مسلمة: اجلس فقد ضربنا بهذا على ما في هذا قبل أن تولد، فلم يزل يكلمه حتى رجع) قال الحاكم: "صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة ١٩٩٥م ٢٨/ ٢٦٤.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٣١.

(٥) مجموع الفتاوى (٢٠ / ٣٩٢ – ٣٩٣).

صلى الله عليه وسلم- بالكتاب الهادي، والسيف الناصر، بين يدي الساعة حتى يعبد سبحانه وحده لا شريك له، وجعل رزقه تحت ظل سيفه ورمحه... فإن الله سبحانه أقام دين الإسلام بالحجة والبرهان، والسيف والسنان، كلاهما في نصره أخوان شقيقان.."[1] اهـ .

"فجمع الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة بين إرسال الرسل وإنزال الكتب هداية للناس، وبين إيجاد الحديد وخَلْقه الذي يُقَوِّم به أهلُ الهدى أعداءَ الله الذين يطغون في الأرض ويعيثون فيها فساداً، فمن استجاب لهدي الله الذي تضمنه كتابه، كان من عباده المؤمنين المتقين: ((هدى للمتقين))[2] ، ومن صد عن هداه وحاد الله ورسوله ففي الحديد له رادع ومؤدب..

وقد ثبت من استقراء سنن الله في هذا الكون وفي تاريخ الأمم، أن المبادئ وقوة السلاح، لا يفترقان، إذا أريد للمبادئ أن تثبت وتسيطر على غيرها وتنتشر في الأرض، سواء كانت مبادئ هدى أم مبادئ ضلال، وأن الصراع بين تلك المبادئ: مبادئ الإسلام ومبادئ الكفر لا ينقطع وأن الحديد من وسائل حسم هذا الصراع، وفي تاريخ الرسل وأتباعهم مع أمم الكفر والطغيان شاهد، وأن من تأخر عن الأخذ بأسباب القوة المادية المستطاعة، معرض للذلة والمهانة، وإن كان صاحب حق، وهذا ابتلاء من الله لعباده المؤمنين ليبذلوا جهدهم ومقدرتهم في سبيل نصر دينه وإعلاء كلمته، ولهذا كان لابد أن يكون السيف بجانب المصحف، لإرهاب أعداء الحق، وإلا استهانت البشرية الضالة بالدعوة إلى الله وأهلها، ومن لم يُرهب عدوَّه، أرهَبَه عدوُّه.."[3]

---

(١) الفروسية، ابن القيم الجوزية، ت: مشهور بن حسن بن سلمان، دار الأندلس - السعودية - حائل ط:١، ١٤١٤-١٩٩٣ ص: ١٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢.

(٣) الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته، د. عبد الله بن أحمد القادري، دار المنارة - جدة ط: ٢ ١٤١٣هـ-١٩٩٢م ١/ ٥١٥

فالواجب على الداعية إلى الله -تعالى- أن يسعى لتحقيق هذا المقصد بما في وسعه من الوسائل الشرعية التي أمر الله بها عباده، وأن يبتغي بجهاده أن تكون كلمة الله هي العليا، والداعية إلى الله تعالى كما هو معلوم من المجاهدين في سبيل الله بل سمى الله -عز وجل- جهاده بالجهاد الكبير كما قال تعالى: ((فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا))[1].

بشرط أن يبتغي بذلك وجه الله -تعالى- ويسعى بدعوته لإعلاء كلمة الله، وإقامة سلطانه وحكمه في الأرض، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، والسعي لتطهير العالم من الفساد الأكبر الذي هو الشرك وما يتفرع منه، وإزالة أي طاغوت يحول بين الناس وبين الإسلام ودعوة الحق الخالدة..

يقول الأستاذ سيد قطب[2] -رحمه الله-: "لا جهاد ولا شهادة ولا جنة إلا حين يكون الهدف هو أن تكون كلمة الله هي العليا !! وأن تهيمن شريعته ومنهاجه في ضمائر الناس وأخلاقهم وسلوكهم ، وفي أوضاعهم وتشريعهم ونظامهم على السواء .. وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء. أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٢.

(٢) سيد قطب بن إبراهيم (١٣٢٤ - ١٣٨٧ هـ = ١٩٠٦ - ١٩٦٧م): مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط.تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤م) .. وأوفد في بعثة لدراسة (برامج التعليم) في أميركا (١٩٤٨ - ٥١) ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الانجليز، وطالب ببرامج تتمشى والفكرة الإسلامية. وبنى على هذا استقالته (١٩٥٣) في العام الثاني للثورة. وانضم إلى الإخوان المسلمين..، وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم.. وكتبه كثيرة مطبوعة متداولة، منها (الإسلام ومشكلات الحضارة) و (السلام العالمي والإسلام) و (المستقبل لهذا الدين) و (في ظلال القرآن) و (معالم في الطريق). ولما وصل خبر استشهاده إلى الغرب أقيمت على روحه صلاة الغائب وأصدر أبو بكر القادري عددا خاصا به من مجلة (الإيمان) ولما كانت النكسة (أو النكبة) عام١٩٦٧ م، قال علال الفاسي: ما كان الله لينصر حربا يقودها قاتل سيد قطب.. (الأعلام للزركلي ٣/ ١٤٧).

سبيل الله[1] .. وليس هنالك من راية أخرى ، أو هدف آخر ، يجاهد في سبيله من يجاهد ، ويستشهد دونه من يستشهد ، فيحق له وعد الله بالجنة ، إلا تلك الراية وإلا هذا الهدف ، من كل ما يروج في الأجيال المنحرفة التصور من رايات وأسماء وغايات!! ويحسن أن يدرك أصحاب الدعوة هذه اللفتة البديهية ، وأن يخلصوها في نفوسهم من الشوائب التي تعلق بها من منطق البيئة وتصور الأجيال المنحرفة ، وألا يلبسوا برايتهم راية ولا يخلطوا بتصورهم تصورا غريبا على طبيعة العقيدة ، لا جهاد إلا لتكون كلمة الله هي العليا ، العليا في النفس والضمير ، والعليا في الخلق والسلوك ، والعليا في الأوضاع والنظم ، والعليا في العلاقات والارتباطات في كل أنحاء الحياة ، وما عدا هذا فليس لله ، ولكن للشيطان ، وفيما عدا هذا ليست هناك شهادة ولا استشهاد ، وفيما عدا هذا ليس هنالك جنة ولا نصر من عند الله ولا تثبيت للأقدام ، وإنما هو الغبش وسوء التصور والانحراف.. وإذا عز على غير أصحاب الدعوة لله أن يتخلصوا من هذا الغبش وسوء التصور والانحراف ، فلا أقل من أن يخلص الدعاة إلى الله أنفسهم ومشاعرهم وتصورهم من منطق البيئة الذي لا يتفق مع البديهة الأولى في شرط الله.."[2] أ.هـ

نعم إنها الدعوة الكاملة لله تعالى وحده، يدعو الداع إلى الله تعالى بلسانه وبيانه وبيده وسنانه لإعلاء كلمة الله وحده لا شريك له، ويسعى جاهدا لإقامة شرع الله وحكمه في أرضه ما استطاع إلى ذلك سبيلا من دون وهن ولا يأس ولا خور..

قال تعالى: ((وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ))[3] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من سأل وهو قائم عالما جالسا ١/ ٥٨ رقم (١٢٣) ، وأخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ١٣/ ١٥١٢ رقم (١٩٠٤) .

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق – بيروت ط: ١١ ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م ٣/ ١٤٣٩-١٤٥١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

المطلب الثاني:

إقامة العدل ورفع الظلم أساس التمكين في الأرض.

إن العدل هو ميزان الله الذي وضعه للخلق، ونصبه لإقامة القسط، فهو إحدى قواعد الدنيا التي لا انتظام لها إلا به، ولا صلاح فيها إلا معه كما يقول الله -تعالى- : ((وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْـمِيزَانَ * أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْـمِيزَانِ * وَأَقِيموا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْـمِيزَانَ))(١)

يقول الإمام ابن كثير -رحمه الله- : " ((وَوَضَعَ الْـمِيزَانَ)) أي: العدل؛ كما قال -سبحانه-: ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهمُ الْكِتَابَ وَالْـمِيزَانَ لِيَقومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ))(٢) ، وهكذا قال ها هنا: ((أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْـمِيزَانِ)) أي: خلق السماوات والأرض بالحق والعدل لتكون الأشياء كلها بالعدل، ولهذا قال -سبحانه- : ((وَأَقِيموا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْـمِيزَانَ)) ، أي: لا تبخسوا الوزن، بل زنوا بالحق والقسط؛ كما قال -سبحانه- : ((وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْـمُسْتَقِيمِ)) "(٣)

ويقول العلامة الطاهر ابن عاشور(٤) -رحمه الله- في كتابه (التحرير والتنوير) : "والميزان هنا مراد به العدل؛ مثل الذي في قوله - تعالى -: ((وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْـمِيزَانَ))(٥) ؛ لأنه الذي وضعه الله - أي: عيَّنه - لإقامة نظام الخلق... ، وقرن ذلك مع رفع السماء تنويهاً بشأن

(١) سورة الرحمن، الآيات: ٧-٩ .

(٢) سورة الحديد، الآية: ٥٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ ٧/ ٤٩٠ .

(٤) محمد الطاهر بن عاشور (١٢٩٦ - ١٣٩٣ هـ = ١٨٧٩ - ١٩٧٣م): رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها، عين (عام ١٩٣٢) شيخا للإسلام مالكيا، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، و (الوقف وآثاره في الإسلام) و (أصول الإنشاء والخطابة) و (موجز البلاغة) وغيرها.. (الأعلام للزركلي ٦/ ١٧٤).

(٥) سورة الحديد، الآية: ٥٢ .

العدل بأن نُسِبَ إلى العالم العلوي، وهو عالم الحق والفضائل، وأنه نزل إلى الأرض من السماء؛ أي: هو مما أمر الله به، ولذلك تكرر ذكر العدل مع ذكر خلق السماء؛ كما في قوله -تعالى- : ((هوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ))[1] ، وقوله: ((وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ))[2] .... وهذا يصدِّق القول المأثور: "بالعدل قامت السماوات والأرض"[3]. وإذ قد كان الأمر بإقامة العدل من أهمِّ ما أوصى الله به إلى رسوله -صلى الله عليه وسلم- قرن ذكر جعله بذكر خلق السماء، فكأنه قيل: ووضع فيها الميزان... وقوله -تعالى- : ((وَأَقِيموا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ)) عطف على جملة ((أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ)) على احتمال كون المعطوف عليها تفسيرية... والمعنى: اجعلوا العدل ملازماً لما تقوِّمونه من أموركم؛ كما قال -تعالى- : ((وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى))[4] ، وكما قال: ((وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا))[5] ، فيكون قوله: ((بِالْقِسْطِ)) ظرفاً مستقراً في موضع الحال، أو الباء للسببية، أي: راعوا في إقامة التمحيص ما يقتضيه العدل"[6].

فالعدل إذا نظام كلّ شيء فإذا أقيم أمر الدّنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق!! ومتى لم تقم بعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يُجزى به في الآخرة كما يقرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيميّة-رحمه الله- فيقول: " وأمور الناس تستقيم في

---

(١) سورة يونس، الآية: ٥ .

(٢) سورة الحجر، الآية: ٥٨ .

(٣) لم أجد له أصلا في كتب ودواوين السنة .

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٢٥١ .

(٥) سورة المائدة، الآية: ٨ .

(٦) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت ط: ١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م ٢٧/ ٢٢٣.

الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وان كانت كافرة ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام!!"[(١)] ، لذا كان القيام بالعدل، والدفاع عنه، والأمر بالقسط وتحمل الأذى في سبيله والوقوف في وجه الظلمة والطغاة، هو من أعظم أعمال الدعاة إلى الله، وعليه مدارات التمكين في الأرض بعد تحقيق التوحيد كما قال تعالى: ((الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ))[(٢)] ، بل حذر الله -عز وجل- من تعرض لمن يأمر بالقسط من الناس وساوى بين الكفر وقتل الأنبياء وقتل الذين يأمرون بالقسط فقال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ))[(٣)] .

ولقد أمر الله -عز وجل- نبيه موسى وأخاه هارون -عليهما الصلاة والسلام- بالذهاب إلى فرعون أعتا ظلمة وطغاة الأرض إذاك لعله يتذكر أو يخشى ولرفع الظلم والهوان الذين حلا ببني إسرائيل قال تعالى: ((طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ))[(٤)] ، وقال تعالى مخاطبا لهما -عليهما

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: ابن قاسم مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة ١٩٩٥م ١٤٦/٢٨.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤١ .

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢١ .

(٤) سورة القصص، الآيات: ١-٦ .

السلام- : ((اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى * فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى * إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى))[1] فقاما -عليهما السلام- بالمهمة أتم القيام وصبرا ومن آمن معهما -وهم قليل- أجمل الصبر فكانت العاقبة النصر والتمكين والاستخلاف في الأرض كما قال تعالى: ((وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ))[2]، ومن ثم لما طال العهد وتبدلت الأحوال وتخلى بنو إسرائيل عن مهمة الأخذ على يد الظالم ومنعه عن ظلمه وتخليهم عن القيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حلت لعنة الله -عز وجل- على كفرة بني إسرائيل كما جاء ذلك في محكم التنزيل، قال تعالى: ((لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ * كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ))[3].

سنة الله -عز وجل- ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا .

* * *

(١) سورة طه، الآيات: ٤٣-٤٨ .

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧ .

(٣) سورة المائدة، الآيات: ٧٨-٨١ .

المبحث الخامس:

مقصد حفظ الضروريات الخمس

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الضروريات الخمس.

المطلب الثاني: أدلة اعتبار الضروريات الخمس.

المطلب الثالث: أهمية موضوع حفظ الضروريات الخمس للداعية إلى الله.

المطلب الأول:

تعريف الضروريات الخمس.

تعريفها لغة:

الضروريات من الضر وهو ضد النفع اسم مصدر من الاضطرار والاضطرار مصدر (اضطر) يقال: اضطره إلى كذا إذا ألجأه إليه وليس له منه بد وتطلق الضرورة على الحاجة الشديدة[1]

وفي الاصطلاح:

بلوغ الإنسان حدا إن لم يتناول الممنوع هلك أو قارب[2]

وعرفها الشاطبي -رحمه الله- تعالى بقوله: "تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام:

أحدها: أن تكون ضرورية.

والثاني: أن تكون حاجيّة.

والثالث: أن تكون تحسينية.

فأما **الضرورية:**

فمعناها أنها ما لا بدّ منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين...

---

(١) المصباح المنير، لأحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العصرية - بيروت ط ١ ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م ص: ١٨٦.

(٢) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت ط:١ ١٣٩٣هـ ص: ٨٥.

وأما **الحاجيات**:

فمعناها أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب..

وأما التحسينات:

فمعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق.. "[1].

* * *

(١) الموافقات، للشاطبي، ت: عبد الله دراز، دار المعرفة - بيروت ١٤١٠هـ ٢/ ٨ .

المطلب الثاني:

أدلة اعتبار الضروريات الخمس.

● **أدلتها:**

قال تعالى: ((قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ))[1] .

وقال تعالى: ((وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا * رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا * وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا * وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا * وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا * وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا * وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً * وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن

---

(١) سورة الأنعام، الآيات: ١٥١-١٥٣.

قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا * وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً * وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً * وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيٍّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا * ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا))[1]

جاءت الدلالة **لحفظ الدين** في قوله: ((أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا)) .

وفي قوله: ((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ)) وفي قوله: ((وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ)).

وفي قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "من بدل دينه فاقتلوه"[2].

وقوله: "لا يحل دم امرئٍ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة"[3].

وقوله لما سأله الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن ابن مسعود: أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قال: قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك، قلت: ثم أي؟ قال: ثم أن تزاني حليلة جارك"[4].

---

(١) سورة الإسراء، الآيات: ٢٣-٣٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد والسير، باب: لا يعذب بعذاب الله ٣/ ١٠٩٨ رقم (٢٨٥٤) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الديات، باب: باب قول الله تعالى: ((أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)) ٦/ ٢٥٢١ رقم (٦٤٨٤) ، وأخرجه مسلم في كتاب: القسامة والقصاص والمحاربين والديات، باب ما يباح به دم المسلم ٣/ ١٣٠٢ رقم (١٦٧٦) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: قول الله تعالى: ((باب قوله تعالى { فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون))

=

وجاءت الدلالة **لحفظ النفس** في قوله تعالى: ((وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم)) .

وقوله: ((وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ)) .

وفي قوله: ((وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا))[(١)].

وجاءت الدلالة **لحفظ العرض** (النسب والنسل) في قوله: ((وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)) وفي قوله: ((وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً)).

وجاءت الدلالة **لحفظ المال** في قوله تعالى: ((وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ)) .

وفي قوله: ((وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا)) .

وفي قوله: ((وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))[(٢)].

وفي قول المصطفى -صلى الله عليه وسلم-: (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرامٌ كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا..)[(٣)].

وجاءت الدلالة لحفظ العقل كما في ثناء الله -عز وجل- على أصحاب العقول السليمة وأمره تعالى بالتأمل والتفكر والتدبر وجعل العقل مناطا للتكليف قال تعالى: ((ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ))، وقوله: ((كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا

= ٤/ ١٦٢٦ رقم (٤٢٠٧) ، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده ١/ ٩٠ رقم (٨٦) .

(١) سورة النساء، الآية: ٩٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: الخطبة أيام منى ٢/ ٦١٩ رقم (١٦٥٢) ، وأخرجه مسلم في كتاب: القسامة والقصاص والمحاربين والديات، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ٣/ ١٣٠٥ رقم (١٦٧٩) .

الْأَلْبَابِ))[١] وقوله: ((إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ))[٢] .

وفي قوله: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))[٣].

وأجمعت الأمة على المحافظة على تلك الضروريات الخمس والسعي لما يكفل استقامتها كما دلت عليها نصوص الشريعة الكثيرة والأدلة المتنوعة، قال الشاطبي -رحمه الله-: " اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهي: الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وعلمها عند الأمة كالضروري، ولم يثبت لنا ذلك بدليل معين ولا شهد لنا أصل معين يمتاز برجوعها إليه، بل علمت ملاءمتها للشريعة بمجموع أدلة لا تنحصر في باب واحد..."[٤].

* * *

(١) سورة ص، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

(٤) الموافقات، للشاطبي، ت: عبد الله دراز، دار المعرفة - بيروت ١٤١٠هـ ١/ ٣١ .

المطلب الثالث:

أهمية موضوع حفظ الضروريات الخمس للداعية إلى الله.

إن الضرورات الخمس هي أهم ما جاءت الرسالات بحفظه، لتنظيم حياة الخلائق، وإقامة منهج الله تعالى على الأرض، وذلك من خلال الحفاظ على أصول خمسة.. يسميها علماء أصول الفقه الكُلِّيَّات الخمس، أو الضرورات الخمس.. وهي: (حفظ الدين - حفظ العقل - حفظ النفس - حفظ المال - حفظ النسل)، والشريعة لم تنزل إلا لكي تحفظ هذه الضرورات الخمس..وكل شيء من المأمورات يَصُبُّ في الحفاظ على هذه الخمس وإتمامها وإكمالها وإنمائها.. كما أن كل شيء من المنهيات يُبْعِد عنها كل خطر وشر يتسبب في تَلَفِها.. وهذه الخمس هي الأصل والحكمة لكل الأوامر والنواهي كما قرر ذلك علماء الشريعة رحمة الله عليهم أجمعين..

يقول أبو حامد الغزالي[١] -رحمه الله-: "ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم؛ فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ورفعها مصلحة.. وهذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رتبة الضرورات، فهي أقوى المراتب في المصالح"[٢]

(١) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ - ١١١١م): الشَّيْخ، الإمام، البحْر، أُعجوبَة الزَّمان، زَيْن الدّين، الشَّافعيّ، الغَزالِي، صَاحب التَّصانيف، وَالذَّكاء المُفرط.، له نحو مائتي مصنف، له أوهام لا يتابع عليها، مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف، من كتبه (إحياء علوم الدين)، و (تهافت الفلاسفة)و (فضائح الباطنية) و (التبر المسبوك في نصيحة الملوك - ط) كتبه بالفارسية، وترجم إلى العربية، و (المستصفى من علم الأصول) وغيرها.. انظر (سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٤٦) و (الأعلام للزركلي ٧/ ٢٢).

(٢) المستصفى في علم الأصول، لأبي حامد الغزالي ت: محمد الأشقر، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: ١ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ١/ ٤١٧.

ومعرفتها بالنسبة للداعية إلى الله في غاية الأهمية، وعدم العلم بوسائل حفظها والإحاطة بها يجر إلى وبال عظيم وضرر خطير في طريق دعوته ومنهجه الدعوي، فلا بد أن يكون المحرك له في دعوته للناس في أمره بالمعروف وفي نهيه عن المنكر متمشيا مع ما يحافظ على تلك الضروريات ويحققها..

والمتأمل لحال هذه الضروريات الخمس اليوم يرى عجبا في تجني القوى الشيطانية العالمية عليها على جميع الأصعدة مما يستدعي من الدعاة إلى الله مضاعفة الجهود للتصدي لأي هجوم يمس كيان هذه الضروريات وفق ما شرعه الله تعالى من الوسائل لحفظها وتكميلها..

فالدين المتمثل في العقيدة الصحيحة والشريعة الغراء تهاجم اليوم من أهل الأهواء وملل الكفر العالمي والشريعة اليوم تنحى عن واقع الناس العملي !!

والعقل البشري اليوم يمر بمعركة شرسة معنوية فكرية عن طريق فلسفة الكفر المادية وحسية ملموسة عن طريق المخدرات والمسكرات بجميع أنواعها !!

والعرض يدنس اليوم من خلال ما يبث في الفضاء المباشر، فكم من الأعراض تسلب؟! وكم من أستار العفة تهتك؟! باسم الحب والرومانسية والإباحية البهيمية !! وكم من النسل يقطع ويباد باسم ما يسمى اليوم: مؤتمرات السكان[1] والتنمية والتي ترعاها الأمم المتحدة نفسها !!

والمال اليوم يُتفنن في سرقته من خلال طرق غير تقليدية من عصابات السرقة المنظمة!! بمباركة الرأسمالية العالمية المتحكمة في اقتصاد العالم اليوم !!

وحدث ولا حرج في تعرض **النفس** البشرية في زماننا للقتل والإبادة الجماعية على أيدي

---

(١) عُقد بعضها في القاهرة، وبعضها في بكين، وبعضها في نيويورك، والتي تبيح الإجهاض الآمن لتسهيل العلاقات المحرمة، وتقرّ بالزواج المثلي بين رجلين (جريمة قوم لوط)، أو بين امرأتين (سحاق)، وتعده زواجاً مشروعاً، والتي تسمح بالعلاقات غير النظامية بين أية امرأة ورجل (زنا)..

من يسمون أنفسهم بالدول الكبرى زعموا باستخدام أبشع الأسلحة الفتاكة التي يمتلكونها فأي حقوق للإنسان سيحققون؟! وأي سلام سينشرون؟!!

وفي الجملة فإن غالب ما ذكرنا من المقاصد الدعوية السابقة ترجع إلى حفظ هذا الكليات الخمس ولكن لأهمية إبرازها وانتشار مصطلحها عند أهل العلم أفردناها بمبحث خاص وإلا فالأصل يدور مع هذه الضروريات ولكن فقه الداعية يتطلب منه التمييز بين أهم هذه الضروريات وأيها أحق بالتقديم عند التعارض وهو ما يسمى اليوم بـ "فقه الأوليات" والله أعلم وأحكم وهو المستعان وعليه التكلان.

* * *

الفصل الثاني :

إعداد الداعية لتحقيق مقاصد الدعوة

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مرحلة الإعداد التربوي والخلقي.

المبحث الثاني : مرحلة الإعداد العلمي.

المبحث الثالث : مرحلة الإعداد العملي.

• توطئة:

بعد أن استعرضنا فيما سبق أهم مقاصد وأهداف الدعوة إلى الله العامة والتي دل عليها الدليل الصحيح الصريح من الكتاب الكريم والسنة المطهرة، كان لزاما على الداعية إلى الله أن يسعى في دعوته لتحقيق مقاصد دعوة الإسلام التي أرادها الله -تعالى- ، والتي لا يتأتى ولا يتم له ذلك إلا إذا أُعد إعدادا علمياً وتربوياً وخلقياً وعملياً، وإذا أهمل هذا الجانب فإن الداعية قد يقوم بأعمال تناقض الدعوة ومقاصدها، في حين يرى أنه يؤدي واجبه على أكمل وجه، "ولئن كانت الحاجة إلى الدعاة الأكفاء ملحة دائما فإن هذه الحاجة الآن أشد ليتعلم المسلمون ما جهلوا من دينهم، وحتى يمكن مواجهة خطر التيارات المادية التي اتسع نشاطها بواسطة دعاة المذاهب البشرية، والنحل المحرفة الذين دربوا على الترويج لباطلهم في دهاء واضح، وخطة مدروسة وهدف محدد..

وليس بجائز أبدا أن يضعف صوت الحق أمام صوت الباطل، وتذاع الشبهات الملحدة في الناس ولا تجد من يتصدى لها ويهدمها بالحجة والبيان، إن إعداد الدعاة واجب يلتزم به المسلمون، وعلى الأمة أن تقوم به أداء لواجب الدعوة، ووفاء للأمانة التي لزمتهم"[(١)]

ومن هنا تتوجب العناية بتكوين الدعاة، وإعدادهم الإعداد المتكامل، وإلا أصيبت -لا قدر الله- كل مشروعات الدعوة بالخيبة والإخفاق، في الداخل والخارج ؛ لأن شرطها الأول لم يتحقق، وهو الداعية المهيأ لحمل الرسالة..

وإذا كان الأمر كذلك فإن من الواجب على المسؤولين عن الدعوة والعاملين في حقلها في كل قطر إسلامي أن يعملوا على تكوين أجيال من الدعاة ذوي كفاءات عالية ومستوى راقٍ في العلم والعمل وحمل أمانة تبليغ هذا الدين، وعليهم أن يعلموا أن هؤلاء الدعاة هم الذين

---

(١) من مقال (كيفية إعداد الداعية) للدكتور أحمد غلوش موقع: http://saaid.net

يشكلون عقول الناس إذا أتيحت لهم الفرصة الصالحة لذلك، وبقدر وعي الداعي وفطنته وإحاطته بعلوم الدين ومجريات الأحداث تكون ثقافة الأمة، ولذا ينبغي عليهم ألا يتهاونوا في تكوين الدعاة وحسن تنشئتهم علمياً وتربوياً وخلقياً وعملياً حتى لا تضيع الأمة بأسرها!!

إن تكوين الدعاة يعني تكوين الأمة، وأثر الرجل العبقري فيمن حوله كأثر المطر في الأرض، وأثر الشعاع في المكان المتألق، والأمم العظيمة ليست إلا صناعة حسنة لنفر من الرجال الموفقين..

ومن ثم فإن سبيل النهضة الناجحة لا يتمهد إلا إذا استطعنا بناء جماعات من الدعاة تكون بمثابة طلائع النور في أمة طال عليها الليل، وبوادر اليقظة في أمة تأخر بها النوم، وأمل العالم في عصر أجدبت فيه الدنيا من رسل الرحمة واليقين، وامتلأت بزبانية الأثرة والإلحاد..

إن المجتمع لا يسند جليل المهام لمغفل أو أحمق، ولا يعرف لهؤلاء في المجتمع مكان، فهل من اللائق أن ينفوا من دنيا الناس، ليتصدروا في دين الله؟ إن دين الله أرقى وأشرف من أن نتعامل معه بهذا الأسلوب[1]..

وإن عبء الدعوة ثقيل، ومهمة هداية الناس عمل جليل، ومن ثم وجب أن يختار الدعاة من بين صفوف الأمة وفق معايير معينة، وألا يترك هذا الأمر للظروف تفرضه، مما يدفع بالعجزة والقاصرين والجاهلين إلى هذا المجال الحسَّاس فيكون الضرر لا النفع.

---

(١) انظر: مع الله.. دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي، دار الكتب الإسلامية - القاهرة. ط: ٦ ١٤٠٥هـ ص:١٥

المبحث الأول:

مرحلة الإعداد التربوي والخلقي.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تربية النفس على الإخلاص والتجرد لله - عز وجل- وحده.

المطلب الثاني: أهمية العبادة في الإعداد التربوي للداعية.

المطلب الثالث: التربية بالقدوة الحسنة.

المطلب الرابع: الإعداد الخلقي وبناء شخصية الداعية.

المطلب الأول:

تربية النفس على الإخلاص والتجرد لله عز وجل وحده.

إن من أهم ما يجب على الداعية التدرب عليه هو تمرين النفس على الإخلاص لله تعالى وحده لا شريك له وتنقية النفس وتصفيتها بماء الإخلاص الصافي والذي هو روح الدين ولباب العبادة وأساس أي داع إلى الله فالمخلصون أعمالهم كلها لله، وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله، ومنعهم لله، وحبهم لله، وبغضهم لله، فمعاملتهم ظاهراً وباطناً لوجه الله وحده..

والإخلاص للداعية ألزم له من كل شيء وأهميته تفوق كل أمر، وهو استجابة لأمر الله تعالى: ((وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ))[1] وفي تركه خوف من الحرمان برد الأعمال ومنع التوفيق لأن الله -جل وعلا- قال في الحديث القدسي: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه"[2] ..

وفيه وقاية من عذاب الآخرة الذي توعد به الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- من عمل بلا إخلاص عندما ذكر أول ثلاثة تسعّر بهم النار وهم قارئ وغني ومجاهد لم يقصدوا بأعمالهم وجه الله..

فلا يقبل الله تعالى أي عمل إلا إذا كان خالصاً لوجهه الكريم، لأن الدعوة إذا أصبحت لتحقيق أغراض شخصية ومآرب دنيوية فإنها تنحرف عن مسارها وتفقد قداستها ويحرم صاحبها من أجرها وتدب المنازعات بين أصحابها لأنها لم تكن لله تعالى..

ولا بد أن تكون نية الداعي في دعوته متجردة عن الهوى وحب الشهرة أو مغالبة

---

(١) سورة البينة، الآية: ٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقاق، باب: من أشرك في عمله غير الله (وفي نسخة: باب تحريم الرياء) ٤/ ٢٢٨٩ رقم (٢٩٨٥).

الآخرين، أو مجرد تكثير الأتباع والأنصار، أو الحصول على مكاسب دنيوية، وإلا فإنها ستفقد التأثير والقبول !!

كما قال الله تعالى: ((فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا))[١]، قال ابن كثير -رحمه الله-: "وهذان ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصا لله، صوابا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٢]

وعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[٣]، والمتأمل في نصوص الدعوة الواردة في القرآن يجدها تضيف الدعوة إلى الله، مما يدل أنها لا بد أن تكون خالصة لله تعالى وحده كما قال تعالى: ((قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله))[٤]، وقال تعالى: ((فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ))[٥].

وقال تعالى: ((وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ))[٦].

ولذلك لما اعتقد المكذبون للرسل أن الأنبياء -عليهم السلام- ما خالفوا ما هم عليه إلا لطمع دنيوي، عرضوا عليهم شيئا من أمور الدنيا، فكان رد الأنبياء -عليهم الصلاة

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ ٣/ ١٣٣ .

(٣) أخرجه البخاري في باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ١/ ٣ رقم (١)، وأخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب قوله صلى الله عليه و سلم (إنما الأعمال بالنية) وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال ٣/ ١٥١٥ رقم (١٩٠٧).

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٥) سورة الحج، الآية: ٦٧.

(٦) سورة القصص، الآية: ٨٧.

والسلام- حاسما وواضحا، بأنهم لم يدعوا لأجل شيء من هذا، وإنما دعوتهم خالصة لله تعالى، ويحتسبون الأجر من عنده وحده..

وسيأتي مزيد تفصيل إن شاء الله في الفصل الثالث تحت المبحث الأول نسأل الله الإخلاص في القول والعمل والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

* * *

المطلب الثاني:

أهمية العبادة في الإعداد التربوي للداعية.

تكمن أهمية ودور العبادة في إعداد الداعية إلى الله تربوياً من كونها الغاية الكبرى التي خلق الله الخلق لأجلها، كما قال تعالى: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ))(١) ومن هنا فعلى الداعية المسلم أن يدرك ضرورة وعظم أثر الأخذ بوافر الحظ والنصيب من التعبد والتأله والتقرب إلى الله تعالى بشتى أنواع العبادات الظاهرة والباطنة في تزكية وصلاح نفسه، وذلك بإقامة الفرائض كما أمر الله تعالى، والاستكثار من النوافل، والاشتغال بالأذكار والأوراد الشرعية، وكثرة تلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار، وغير ذلك من أنواع القربات والطاعات المختلفة ، ولهذا فقد أمر الله تعالى رسوله -صلى الله عليه وسلم- وأرشده للإعداد والتزود بزاد الطاعة والتقوى ليستطيع القيام بحمل أعباء الدعوة الثقيلة، فقال -سبحانه-: ((يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً))(٢) قال صاحب الظلال -رحمه الله- "أي: قم.. قم للأمر العظيم الذي ينتظرك، والعبء الثقيل المهيأ لك.. قم فتهيأ لهذا الأمر واستعد.. وإنها لكلمة عظيمة رهيبة تنتزعه -صلى اللهّ عليه وسلم- من دفء الفراش، في البيت الهادئ والحضن الدافئ، لتدفع به في الخضم، بين الزعازع والأنواء، وبين الشد والجذب في ضمائر الناس وفي واقع الحياة سواء.. إن الذي يعيش لنفسه قد يعيش مستريحا، ولكنه يعيش صغيرا ويموت صغيرا !! فأما الكبير الذي يحمل هذا العبء الكبير.. فماله والنوم؟ وماله والراحة؟ وماله والفراش الدافئ، والعيش الهادئ؟ والمتاع المريح؟! ، ولقد عرف رسول اللهّ -صلى اللهّ عليه وسلم- حقيقة الأمر وقدّره، فقال لخديجة -رضي اللهّ عنها- وهي تدعوه أن يطمئن

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة المزمل، الآيات: ١-٥.

وينام: «مضى عهد النوم يا خديجة»[1]! أجل مضى عهد النوم وما عاد منذ اليوم إلا السهر والتعب والجهاد الطويل الشاق!!.. إنه الإعداد للمهمة الكبرى بوسائل الإعداد الإلهية المضمونة.. قيام الليل.. وكان هذا الإعداد للقول الثقيل الذي سينزله الله عليه..!!

وإن تلقي هذا الفيض من النور والمعرفة واستيعابه، لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل..

وإن التعامل مع الحقائق الكونية الكبرى المجردة، لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل..

وإن الاتصال بالملأ الأعلى وبروح الوجود وأرواح الخلائق الحية والجامدة على النحو الذي تهيأ لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل..

وإن الاستقامة على هذا الأمر بلا تردد ولا ارتياب، ولا تلفت هنا أو هناك وراء الهواتف والجواذب والمعوقات، لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل..

وإن قيام الليل والناس نيام، والانقطاع عن غبش الحياة اليومية وسفسافها والاتصال بالله، وتلقي فيضه ونوره، والأنس بالوحدة معه والخلوة إليه، وترتيل القرآن والكون ساكن، وكأنما هو يتنزل من الملأ الأعلى وتتجاوب به أرجاء الوجود في لحظة الترتيل.. واستقبال إشعاعاته وإيحاءاته.. في الليل الساجي.. إن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل، والعبء الباهظ والجهد المرير الذي ينتظر الرسول -صلى الله عليه وسلم- وينتظر من يدعو بهذه الدعوة في كل جيل! وينير القلب في الطريق الشاق الطويل، ويعصمه من وسوسة الشيطان، ومن التيه في الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير..!!"[2].

وتأمل أخي الداعية أثر إقامة الصلاة في تهذيب النفس وتربيتها في قول الله تعالى: ((اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ))[3].

---

(١) لم أجد له أصلا، ولعله من أسلوب المؤلف الأدبي -رحمه الله- حكاه بلسان الحال .

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق - بيروت، ط:١١ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م ٦/ ٣٧٤٥.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

وكذلك ما أرشد الله به عباده المؤمنين لفريضة الصيام وأثرها في تربية النفس وأن من غاياتها العظمى هو إعداد النفس الإيماني لتقوية الإرادة والصبر ومجاهدة النفس لتصل وتحقق تقوى الله –عز وجل– كما قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ))(١).

وكذلك المتأمل لعبادة الزكاة ليجد أن لها من اسمها وافر الحظ والنصيب وأنها من أعظم وسائل تزكية وتربية النفس على البذل والعطاء والشفقة والرحمة، وتطهيرها من البخل والشح ودسائس النفس السيئة، ولهذا قال الله –عز وجل–: ((خذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ))(٢).

وكذلك عبادة الحج إلى بيت الله الحرام والتي تعتبر من أهم وسائل التربية والتدريب العملي على امتثال أوامر الله –عزَّ وجلَّ–، وإعداد النفس وتربيتها على القدرة على جهاد النفس وتحمُّل المشاق، قال تعالى: ((الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ))(٣).

وإن من أعظم العبادات التي تعين في إعداد الداعية تربوياً لزوم ذكر الله –عز وجل– "منشورِ الولاية، الذي من أعطية اتصل، ومن منعه عُزل، وهو قوت قلوب القوم، الذي متى فارقها صارت الأجسام لها قبوراً، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بوراً، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منه القلوب"(٤) .

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية ت: محمد حامد الفقي دار الكتاب العربي – =

والذي هو من أكبر مقاصد تشريع العبادات كما قال تعالى: ((وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ))[(١)] ، وقد حث الله –تعالى– عبادة المؤمنين على ذكره ذكراً كثيرا، في كل وقت وعلى كل حال، كما قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا))[(٢)] وكما قال تعالى عن عباده الصالحين: ((الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ))[(٣)] لما يعلم سبحانه ما لذكره –تعالى– من تأثير في قرب العبد لربه وأنسه به ومدى تأثيره في تربية وتزكية نفس العبد الضعيف، يقول الإمام ابن القيم –رحمه الله– عن أهمية ملازمة ذكر الله –تعالى– ومدى تأثيره في قوة العبد المسكين وتزكية نفسه: "أنه –أي: ذكر الله– يورث حياة القلب وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية –قدس الله تعالى روحه– يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟.. وهو قوت القلب والروح فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار ثم التفت إلي وقال: هذه غدوتي ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي أو كلاما قريبا من هذا وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي. وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر أو كلاما هذا معناه.."[(٤)].

فاللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

= بيروت ط:٢، ١٣٩٣ – ١٩٧٣ ٢/ ٤٢٣.

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: ١ ١٤٠٥– ١٩٨٥ ١/ ٦٣.

المطلب الثالث:

التربية بالقدوة الحسنة.

لا يخفى أبداً أثر القدوة في تقبل النصيحة والأفكار ولا شك أنها من أعظم أسباب بذر المحبة في القلوب، ووجود القناعة في العقول، وكثير من المدعوين ينتفعون بسيرة الداعية إلى الله العطرة وأخلاقه الحسنة وأعماله الصالحة أكثر من انتفاعهم بأقواله والتي قد لا يفهمونها !!

قال الله تعالى: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسولِ اللهَّ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجو اللهَّ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَّ كَثِيرًا))[1] .

وهكذا كان الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- من أولهم إلى آخرهم كانوا قدوة حسنة لأقوامهم، كما قال تعالى: ((أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُّ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ..))[2]، وهذا يدل على عظم وأهمية القدوة الحسنة، ولهذا قال شعيب -عليه السلام- لقومه: ((... وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهّ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ))[3].

ولهذه الأهمية كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إذا صعد المنبر فنهى الناس عن شيء جمع أهله فقال: " إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، وأقسم بالله لا أجد أحدا منكم فعله إلا أضعفت عليه العقوبة "[4].

إن التأسي بالأفعال - بالنسبة لمن يعظَّم في الناس - سرٌ مبثوث في طباع البشر، لا يقدرون عن الانفكاك عنه بوجه ولا بحال ولا سيما عند الاعتياد والتكرار كما يقوله الإمام

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(٣) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٤) الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير الجزري، ت:عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية - بيروت ط:١ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ٢/ ٣٧.

الشاطبي –رحمه الله– كما في كتاب الموافقات[1] ، ولهذا يحذر الله –عز وجل– عباده المؤمنين وبالأخص الدعاة منهم من مخالفة فعل أحدهم قوله حيث قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ))[2] .

يقول الشيخ السعدي –رحمه الله– عند تفسير هذه الآية:

"من المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه ، وأمر نفسه ونهيها، فترك أحدهما، لا يكون رخصة في ترك الآخر، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين ، والنقص الكامل أن يتركهما، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر، فليس في رتبة الأول، وهو دون الأخير وأيضا فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة"[3].

ورحم الله ابن القيم حيث أبدع في بيان ضد هذه الحقيقة، والضد يظهر حسنه الضد عندما قال: "علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع الطريق"[4].

وفي كثير من الأحيان تكون القدوة الحسنة مغنية عن كثير من أساليب الترغيب والتشويق وأسباب تحصيل المحبة، وكذلك تعفي من الاستكثار من الاستدلال، وإقامة الحجة والمناظرة والجدال، إذ يتحقق من خلال القدوة الكثير من ذلك بشكل تلقائي وبصورة أعمق لأن المثال الحي المرتقي في درجات الكمال يثير في نفس البصير العاقل قدراً كبيراً من

---

(١) الموافقات، للشاطبي، ت: عبد الله دراز، دار المعرفة – بيروت ١٤١٠هـ ٤/٢٤٨ .

(٢) سورة الصف، الآيات: ٢-٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة – بيروت ط : ١ ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م ١/ ٥١ .

(٤) الفوائد، ابن القيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ٢، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م ص: ٦١.

الاستحسان والإعجاب والتقرير والمحبة، ومع هذه الأمور تتهيج دوافع الغيرة المحمودة والمنافسة الشريفة فيحصل التأثر والاقتداء وتكون الاستجابة قوية وهي في الوقت نفسه سهلة وتلقائية ولله در ابن القيم -رحمه الله- حيث قال: "إن الناس قد أحسنوا القول، فمن وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظه ومن خالف قوله فعله فذاك إنما يوبِّخ نفسه"[(١)]

وعندما قيل لصاحب الحسن البصري -رحمه الله-: أي شيء بلغ الحسن فيكم إلى ما بلغ وكان فيكم علماء وفقهاء؟!

قال: كان الحسن إذا أمر بشيء كان أعمل الناس به وإذا نهى عن شيء كان أترك الناس له"[(٢)].

لذا كان "صلاح المؤمن أبلغ خطبة تدعو الناس إلى الإيمان، وخلقه الفاضل هو السحر الذي يجذب إليه الأفئدة، ويجمع عليه القلوب. أتظن جمال الباطن أضعف أثراً من وسامة الملامح؟ كلا، إن طبيعة البشر محبه الإنسان والالتفات إليه"[(٣)].

فعلى الداعية إلى الله – عز وجل – أن يحرص أشد الحرص بأن يكون قدوة صالحة ذا سيرة حسنة، وعمل صالح، وخلق فاضل، حتى يقتدى بفعاله وأقواله وسيرتهم، فإن من طبيعة البشر وفطرتهم التي فطرهم الله عليها: أن يتأثروا بالمحاكاة والقدوة، أكثر مما يتأثرون بالقراءة والسماع، وما أجمل ما قاله الإمام الأوزاعي –رحمه الله- وكان إماما يقتدى به عندما بين ضريبة القدوة بقوله: "كنا نضحك ونمزح، ولما صرنا يقتدى بنا خشينا أن لا يسعنا التبسم"[(٤)].

---

(١) من بحث (مقومات الداعية الناجح)، علي بن عمر بادحدح موقع: http://www.islameiat.com

(٢) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة،بيروت ط: ٣، ١٤٠٥ هـ -١٩٨٥م ٢/ ٥٧٦.

(٣) مع الله.. دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي، دار الكتب الإسلامية، القاهرة. ط: ٦ ١٤٠٥هـ ص:٢٨٥.

(٤) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة،بيروت ط: ٣، ١٤٠٥ هـ -١٩٨٥م ٧/ ١٣٢.

المطلب الرابع:

الإعداد الخلقي وبناء شخصية الداعية.

أهمية الأخلاق في الإسلام عظيمة وتحتل المكانة العالية في الدين، فالإسلام دين الأخلاق الحميدة والآداب الرفيعة، بل كما قال بعض العلماء: الإيمان هو الخُلق، من زاد عليك في الخُلق زاد عليك في الإيمان(١)، والخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين، قال تعالى في مدح خُلُق سيد الأنبياء والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام- نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-: ((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ))(٢)، قال ابن عباس -رضي الله عنهما- و مجاهد -رحمه الله-: لعلى دينٍ عظيم وهو دين الإسلام(٣)..

فأطلق الخلق على الدين كله، وجاء في الصحيح: أن سعد بن هشام -رحمه الله- سأل عائشة -رضي الله عنها- عن خلق النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله -صلى الله عليه وسلم- كان القرآن، فقال: لقد هممت أن أقوم ولا أسأل شيئاً !!(٤) ، وقال أنس -رضي الله عنه-: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً(٥)..

---

(١) وهذا يكون بعد صحة العقيدة والتوحيد والعبادة، والعبارة قالها الإمام ابن القيم -رحمه الله- تصحيحا لعبارة أبي بكر الكتاني -رحمه الله- كما في كتاب مدارج السالكين ت: محمد حامد الفقي دار الكتاب العربي – بيروت ط:٢، ١٣٩٣ – ١٩٧٣ ٢/ ٣٠٨.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤ .

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر – بيروت ١٤٠٥هـ ٢٣/ ١٥٠.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض ١/ ٥١٢رقم (٧٤٦)

(٥) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: صفة النبي -صلى الله علي وسلم- ٣/ ١٠١٨رقم (٢٦١٦) ، وأخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز الجماعة في النافلة والصلاة على حصير وخمرة وثوب وغيرها من الطاهرات ١/ ٤٥٧رقم (٦٥٩) .

وقد بين رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- مكانة حسن الخلق بقوله: "الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ"[1]، فجعل جميع خصال البر في الالتزام بالأخلاق الحسنة !!

وقال -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله كريم يحب الكرم و يحب معالي الأخلاق و يكره سفسافها "[2] ، بل لقد قصر وحصر النبي -عليه الصلاة والسلام- مفهوم بعثته بالقيم الأخلاقية في قوله: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"[3] ...

يقول بعض العلماء: ولقد جمع الله -عز وجل- أصول الأخلاق ومكارمها في قوله: ((خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ))[4] .

وقد اعتنى العلماء -رحمهم الله تعالى- بجمع محاسن الأخلاق وبجمع مساوئها للتحذير منها وأفردوها بالمصنفات، واهتموا كذلك بالكلام عن حقيقة حسن الخلق منهم على سبيل المثال الإمام الفذ ابن القيم -رحمه الله- حيث يقول: "قيل: إن حسن الخلق بذل الندى وكف الأذى واحتمال الأذى..

وقيل: بذل الجميل وكف القبيح..

وقيل: التخلي من الرذائل والتحلي بالفضائل..

وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان لا يتصور قيام ساقه إلا عليها:

١-الصبر

٢-والعفة

٣-والشجاعة

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تفسير البر والإثم ٤/ ١٩٨٠رقم (٢٥٥٣).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين في كتاب الإيمان ١/ ١١١رقم (١٥١) وسكت عنه الذهبي.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند في مسند بني هاشم مسند أبي هريرة رضي الله عنه ٢/ ٣٨١رقم: (٨٩٣٩).

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

٤ - والعدل.

فالصبر: يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ وكف الأذى والحلم والأناة والرفق وعدم الطيش والعجلة..

والعفة: تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل وتحمله على الحياء وهو رأس كل خير وتمنعه من الفحشاء والبخل والكذب والغيبة والنميمة..

والشجاعة: تحمله على عزة النفس وإيثار معالي الأخلاق والشيم وعلى البذل والندى الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته وتحمله على كظم الغيظ والحلم فإنه بقوة نفسه وشجاعتها يمسك عنانها ويكبحها بلجامها عن النزغ والبطش..

والعدل: يحمله على اعتدال أخلاقه وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط فيحمله على خلق الجود والسخاء الذي هو توسط بين الذل والقحة وعلى خلق الشجاعة الذي هو توسط بين الجبن والتهور وعلى خلق الحلم الذي هو توسط بين الغضب والمهانة..

وسقوط النفس ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة ومنشأ جميع الأخلاق السافلة وبناؤها على أربعة أركان:

١- الجهل

٢- والظلم

٣- والشهوة

٤- والغضب..

فالجهل: يريه الحسن في صورة القبيح والقبيح في صورة الحسن والكمال نقصا والنقص كمالا..

والظلم: يحمله على وضع الشيء في غير موضعه فيغضب في موضع الرضى ويرضى في موضع الغضب ويجهل في موضع الأناة ويبخل في موضع البذل ويبذل في موضع البخل ويحجم في موضع الإقدام ويقدم في موضع الإحجام ويلين في موضع الشدة ويشتد في موضع

اللين ويتواضع في موضع العزة ويتكبر في موضع التواضع..

والشهوة: تحمله على الحرص والشح والبخل وعدم العفة والنهمة.. والدناءات كلها..

والغضب: يحمله على الكبر والحقد والحسد والعدوان والسفه.."[1]

وإذا كان سوء الخلق لا يقبل من آحاد الناس فكيف بمن هم في مقام القدوة الحسنة لغيرهم كالدعاة إلى الله !!

وكما قيل[2]: وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتماً وعويلاً

فعلى الداعية الناجح أن يتصف برحابة الصدر وسعة الخلق والإحسان إلى المدعوين ببذل الندى وكف الأذى وطلاقة الوجه ليستوعب من حوله من الناس ويستميل قلوبهم، كما قيل[3]: أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

فالداعية إلى الله يكون قدوة بحسن خلقه وتواضعه، لأن "من طبيعة الناس التي جبلهم الله عليها أنهم لا يقبلون قول من يستطيل عليهم ويحتقرهم ويستصغرهم ويتكبر عليهم، وإن كان ما يقوله حقاً وصدقاً، هكذا جبلت طبائع الناس فإنهم ينفرون عن المتكبر ويغلقون قلوبهم دون كلامه ووعظه وإرشاده، فلا يصل إليها من قوله شيء بل قد يكون ذلك سبباً إلى كرههم الحق منه ومن غيره. فعلى الداعي أن يفقه هذا الأمر جيداً وليتق الله ربه ولا يكون سبباً لنفرة الناس من الدعوة إلى الله"[4] ..

فليتنبه إخواني الدعاة لأهمية التربية الأخلاقية وأثرها الكبير -إيجابا أو سلبا- في صياغة

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي - بيروت ط: ٢، ١٣٩٣ - ١٩٧٣ ٢/ ٣٠٨.

(٢) ينسب البيت للشاعر أحمد شوقي.

(٣) ينسب البيت للشاعر أبي الفتح علي بن محمد البستي.

(٤) أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ط: ٣ ص: ٣٦٣ (بتصرف).

شخصية الداعية نفسه، ودورها في إنجاح دعوته -بإذن الله تعالى-، فإن كثيراً من الناس لا ينظرون ابتداء إلى مضمون دعوة الداعي وما يحمله من معتقدات ومبادئ وإنما ينظرون إلى خلقه أولاً، فإذا أعجبهم أخذوا عنه، وإذا لم يعجبهم تركوه ودعوته، فالأمر -وربي- بالغ الأهمية جدا، فجدير بنا معاشر الدعاة إلى الله كما أننا نتعلم العلم وكما نتعلم كيف ندعو الناس بالوسائل والأساليب المختلفة يجب علينا وجوباً عينياً أن نتعلم كيف نكتسب الأخلاق الحسنة والآداب الفاضلة، وكما أن العلم بالتعلم فكذلك الحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه ومن يتق الشر يوقه.

* * *

المبحث الثاني:

مرحلة الإعداد العلمي

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : وجوب العلم قبل القول والعمل وأهميته .

المطلب الثاني : دراسة فقه الواقع المعاصر وفهمه .

المطلب الثالث : برنامج الإعداد العلمي العام المقترح لإعداد الدعاة إلى الله تعالى .

المطلب الأول:

وجوب العلم قبل القول والعمل وأهميته

إن أول ما أنزل الله -عز وجل- على نبينه محمد -صلى الله عليه وسلم- هو قوله تعالى: ((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ))(١)، فكانت النعمة العظمى والمنة الكبرى على نبيه وعلى الناس أجمعين أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرَّفه وكرَّمه بهذا العلم الشريف كما قال تعالى ممتناً على نبيه -صلى الله عليه وسلم-: ((وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا))(٢)، فبدأ الله تعالى توجيه نبيه -صلى الله عليه وسلم- إلى العلم قبل الدعوة والعمل الصالح المقرب إليه، فجعل العلم أصلا والعمل تابعا له، والداعية إلى الله مأمور بالإعداد العلمي قبل أي إعداد كما قال تعالى: ((فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ))(٣)، فقدم العلم على القول والعمل والدعوة، وقد بوب الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- في صحيحه على هذه الآية فقال: «باب العلم قبل القول والعمل» ثم ذكر الآية، قال ابن حجر(٤) -رحمه الله-: "قال ابن المنيّر(٥) -رحمه الله-: أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يُعتبران

---

(١) سورة العلق، الآيات: ١-٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٣.

(٣) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٤) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ = ١٣٧٢ - ١٤٤٩م): من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة، تصانيفه فكثيرة جليلة، منها (لسان الميزان) تراجم، و (تقريب التهذيب)، و (الإصابة في تمييز أسماء الصحابة) و (تهذيب التهذيب)، و (بلوغ المرام من أدلة الأحكام)، و (فتح الباري في شرح صحيح البخاري)وغيرها... (الأعلام للزركلي ١/ ١٧٧).

(٥) أحمد بن محمد بن منصور (٦٢٠ - ٦٨٣ هـ = ١٢٢٣ - ١٢٨٤م): من علماء الإسكندرية وأدبائها، له كتاب (المتوارى على تراجم البخاري)، وله تصانيف على طريقة المتكلمين (من الأشاعرة)... (الأعلام للزركلي ١/ ٢٢٠).

إلا به، فهو متقدم عليهما"[1] أ.هـ

وكل دعوة لا تقوم على أساس العلم دعوة ناقصة، تُفسِدُ أكثر ممّا تُصلِح، ولهذا فقد أكّد -صلى الله عليه وسلم- على أهمية العلم وأثره في صحة العمل فقال: "من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين"[2].

قال ابن حجر -رحمه الله-: " ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين - أي: يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع - فقد حرم الخير.. وفي ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس، ولفضل التفقه في الدين على سائر العلوم"[3].

وكلما كان الداعية الصادق أكثر علمًا بالشريعة وتضلعًا منها، كان أكثر إدراكاً لمقاصدها وأسرارها ومن ثم يسعى إلى تحقيقها، أما إذا كان جاهلاً بمقاصد الدعوة فأنى يحققها، وكذلك إذا حقق مقاصدا ليست من مقاصد الدعوة الصحيحة بفهمه السقيم الناشئ عن الجهل فإنه يفسد أكثر مما يصلح وربما وقع في البدع والانحراف عن سبيل الحق..

ولا سبيل إلى تحقيق مقاصد الدعوة إلا بالعلم النافع الذي بينه سبحانه وتعالى في قوله: ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي))[4].

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير هذه الآية:

" أي: سبيل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وطريقه ومسلكه وسنته وهي الدعوة إلى شهادة ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة-بيروت، ١٣٧٩هـ ١/ ١٥٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين ١/ ١٩٧ رقم (٧١)، وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: النهي عن المسألة ٧/ ١٣٣ رقم (٩٨).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة-بيروت، ١٣٧٩هـ ١/ ١٩٨.

(٤) يوسف، الآية: ١٠٨.

وبرهان، هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي "[1].

والبصيرة من أعلى درجات العلم، كما أشار إلى ذلك ابن القيم –رحمه الله– بقوله:

" أعلى درجات العلم: البصيرة ؛ التي تكون نسبة العلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر، وهذه هي الخِصّيصة التي اختص بها الصحابة عن سائر الأمة، وهي أعلى درجات العلماء "[2].

فيجب أن يكون الداعية إلى الله على بصيرة وعلم بما يدعو إليه، وبشرعية ما يقوله ويفعله ويتركه، فإذا فقد العلم المطلوب اللازم له كان جاهلاً بما يريده ووقع في الخبط والخلط، والقول على الله ورسوله بغير علم، فيكون ضرره أكثر من نفعه، وإفساده أكثر من إصلاحه وقد يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف لجهله بما أحلّه الشرع وأوجبه وبما منعه وحرَّمه[3].

* * *

(١) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار الفكر – بيروت ١٤٠١هـ ٢/ ٦٠٨ .

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت ط: ٢، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م ٣/ ٣٥٦.

(٣) أنظر: أصول الدعوة،لعبد الكريم زيدان،مؤسسة الرسالة، ط: ٣ بيروت ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م ص: ١٣٥ .

المطلب الثاني:
دراسة فقه الواقع المعاصر وفهمه .

فقه الواقع علم جليل، تبنى عليه كثير من الأحكام، وفي ضوئه تتخذ المواقف المصيرية، وإن مما هو مقرر في قواعد الشريعة أن: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) وفي هذا يقول ابن القيم – رحمه الله –: "ولا يتمكن المفتي، ولا الحاكم، من الفتوى، والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فهْم الواقع والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع، بالقرائن، والأمارات، والعلامات، حتى يحيط به علماً.

والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع ، وهو فهم حكم الله الذي حكم به، في كتابه، أو على لسان رسوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر"[(1)].

وتعظم حاجة الداعية إلى فهم الواقع إذا علم أن من أسباب تخلف الأمة في عصرها الحاضر جهلها بواقعها، وهو كأي علم ينفع الأمة الإسلامية ويساعدها للعودة إلى عزها ومجدها وسؤددها جدير بالداعية أن يعتني به أشد العناية من غير إفراط فيه ولا تفريط !!

وفقه الواقع وإن كان مصطلحاً حادثاً لم يعرف بهذا الاسم في زمن القرون المفضلة لكنه في المعنى الإجمالي ليس علماً جديداً، بل هو مستقى من القرآن الكريم والسنة المطهرة وكلام سلف الأمة ، ففي سورة الأنعام يقول الله –عز وجل–: ((وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ))[(2)] فاستبانة سبيل المجرمين ومعرفة أهدافهم ومخططاتهم هو من صميم فقه الواقع، وهذا كثير في القرآن، كما في وصف الله –تبارك وتعالى– في آيات كثيرة لليهود وشدة

---

(1) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم ت: طه عبد الرؤوف، دار الجيل، بيروت ١٩٧٣م ١/ ٨٧.

(2) سورة الأنعام، الآية: ٥٥.

عداوتهم للمؤمنين وطرق مكرهم ووقوفهم ضد دعوة الحق وإذكاءهم للحروب والفتن مع معرفتهم بالحق معرفة تامة وجحدهم له كما قال تعالى: ((وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ))[1] .

وكما قال تعالى: ((لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ))[2] .

وكذلك مثل الآيات التي فيها تفصيل وصف أهل النفاق والشقاق المنتسبين للإسلام وفضحهم وكشف نواياهم السيئة في تخذيل المؤمنين وبث روح الهزيمة بينهم حيث قال تعالى في شأنهم: ((أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ))[3].

بل أنزل فيهم سورة سميت باسمهم "المنافقون" وفضحهم في سورة "التوبة" ليستبين سبيلهم وليحذر المؤمنون من خططهم وكيدهم ومكرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون!!

ولذا يقول ابن القيم –رحمه الله-:" فالعالمون بالله وكتابه ودينه عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية فاستبان لهم السبيلان"[4] .

وقال أيضاً:" وهذه حال المؤمن يكون فطناً حاذقاً أعرف الناس بالشر وأبعدهم منه، فإذا تكلم في الشرّ وأسبابه ظننته من شر الناس فإذا خالطته وعرفت طويته رأيته من أبرّ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٩٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨٢.

(٣) سورة محمد، الآية: ٢٩-٣٠.

(٤) الفوائد، ابن القيم، دار الكتب العلمية – بيروت ط: ٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ص: ٢٠١.

الناس.. "[1] أ.هـ

وتأمل يا رعاك الله في وصية النبي -صلى الله عليه وسلم- لمعاذ -رضي الله عنه- لما بعثه لليمن عندما قال له:" إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله.."[2] فعرفه بحال القوم حتى يستعد لهم بما يناسبهم، والواجب على الداعية أن يعرف - حقَّ المعرفة - طبيعة المُجْتَمَع الذي يُواجِهُهُ بالدَّعْوة، وبقدر معرفة الداعية بواقعه، يكون حكمه على الأحداث من حوله، وإدراكه لكيفية التعامل معها، ونظره إلى عواقبها ومآلاتها...

وأيضا مما ينبغي على الداعية الاهتمام به في ضوء فقه الواقع ما أُحدِث ويحدَث من المصطلحات الجديدة، والنوازل العصرية، وتخريجها على القواعد والأصول المعروفة في كتب الشريعة، لأنه لا يمكن أن يكون المرء فقيها بحق إلا بمعرفة هذه الأشياء كما نبه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بقوله:" لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية ترد إليها الجزئيات، ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت؟ وإلا فسيبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم"[3].

وقد طبَّق شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- ذلك في فتاوى كثيرة متعددة، ومن ذلك ما أفتى به حينما سئل عن قتال التتار مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله، فقال: "نعم، يجب قتال هؤلاء، بكتاب الله، وسنَّة رسوله، واتفاق أئمة المسلمين، وهذا مبني على أصلين: أحدهما:

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، دار ابن عفان- الخبر ط:١ ١٤١٦هـ-١٩٩٦م ٢٩٦/١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد ، باب: ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه و سلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ٦/ ٢٦٨٥ رقم (٦٩٣٧) ، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان ، باب: الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه والسؤال عنه ١/ ٤٦ رقم (١٧) .

(٣) منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام ابن تيمية، ت: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة-القاهرة ط:١ ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ٥ / ٨٣.

المعرفة بحالهم، والثاني: معرفة حكم الله في مثلهم.

فأما الأول: فكل مَن باشر القوم يعلم حالهم، ومَن لم يباشرهم يعلم ذلك بما بلغه من الأخبار المتواترة، وأخبار الصادقين، ونحن نذكر جلَّ أمورهم بعد أن نبيِّن الأصل الآخر الذي يختص بمعرفته أهل العلم بالشريعة الإسلامية فنقول:

كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة: فإنه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين..."[1] أ.هـ

"ولذلك يعظم قدر الداعية الذي يفقه واقعه ويعرف مجتمعه لأنه يتحدث إلى شرائح متنوعة في المجتمعات، ويتعرض لمواقف كثيرة ونوازل ومستجدات عظيمة، فهو يعرف ما حقه التقديم، وما حقه التأخير، ويعرف خير الخيرين، وشر الشرين؛ فمعرفة الخير من الشر في الواقع لا تحتاج إلى إعمال فكر وتعب، ولا يتميز شخص عاقل بأنه يعرف الخير من الشر؛ فهذه تدرك بمقدمات العقول قبل أواخرها، وباستطاعة كل ذي عقل أن يدركها، فهي من البدهيات، إنما الذي يحتاج إلى إعمال فكر وتعب هو معرفة خير الخيرين، وشر الشرين، وأيهما أحق بالتقديم أو التأخير.."[2]

فقلة الوعي في صفوف بعض الدعاة، وغفلتهم عن واقع الدعوة والظروف المحيطة بها من جهة، وعدم بصيرتهم بطبيعة أعدائهم وأساليب مكرهم وخداعهم من جهة أخرى، مما جعل كثيراً منهم تحرِّكهم العواطف وتخدعهم الشعارات، ويقفون مواقف شتى تجرُّهم في كثير من الحالات إلى الندم والتلاوم، وكما قيل: لستُ بالخَبِّ[3]، و لا الخَبُّ يخدعُني !!

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة ١٩٩٥م ٢٨/ ٥١٠ .

(٢) أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان مؤسسة الرسالة – بيروت، ط:٣ ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ص: ١٨٧.

(٣) أي: الخدّاع، وهو مروي من قول الفاروق عمر بن الخطاب –رضي الله- كما في كتاب: أدب الدنيا والدين تأليف الماوردي .

المطلب الثالث:

البرنامج العلمي المقترح لإعداد الدعاة إلى الله.

من خلال هذا العرض السابق يتبين لنا أهمية الإعداد العلمي للدعاة إلى الله وتأهيلهم تأهيلا علميا للقيام بأمر الدعوة إلى الله عز وجل على أكمل وجه وأتم طريقة..

فهو مطلب لا غنى عنه لأي داعية يُعِدُّ نفسه ويُهيئها لنفع أمته، ليكون بصيراً في دعوته، عالماً بما يدعو إليه، قوياً في حجته، مثمراً في عمله، ناجحاً في أسلوبه، ثابتاً في مسيرته...

وأعظم زاد للداعية في هذا الطريق هو: التوكل على الله تعالى والاستعانة به، ومن ثم يسلك طرق التعلم الصحيحة، فالجهل بالطريق وآفته يوجب التعب الكثير مع الفائدة القليلة، مستحضرا في طلبه للعلم إخلاص النية لله تعالى وحده، مستصحباً نية الثواب عند الله تعالى، متجنباً الرياء وحب الظهور وطلب المنصب والجاه، متخلقاً بأدب التواضع وخفض الجناح، متلبساً بثوب الرفق واللين، معتنياً بالقرآن الحكيم تلاوة وحفظاً وتدبراً وعملاً، مقتنياً كتب السنة والآثار وكتب العلماء الربانيين المحققين من سلف الأمة المهديين ومن سار على دربهم ونهل من معينهم أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- وتلميذه ابن القيم -رحمه الله- ومصنفات علماء دعوة التوحيد المباركة وعلى رأسهم الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- وغيرها من كتب أهل السنة والتي تقوم على تعظيم الكتاب والسنة وتقديمهما وتقتفي آثار ومنهج السلف الصالح، معتبراً البرنامج سببا لتحصيل العلم لا حول فيه ولا قوة إلا بعون الله وفضله...

والداعية من خلال هذا البرنامج المقترح يستطيع تأصيل نفسه تأصيلا علمياً عاماً بحسب قدرته واستطاعته، بحيث يلم إلماما عاما بالعلوم الآتي ذكرها والله هو المعين والهادي إلى سواء الصراط..

● **برنامج الإعداد العلمي العام:**

١- دراسة علم العقيدة الإسلامية: التي هي أساس الدين والإيمان بالله تعالى ويتحرى كتب الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة.

٢- دراسة بعض علوم اللغة العربية: التي تساعده على تدبر القرآن الكريم والسنة المطهرة، مثل: قواعد النحو والصرف - الأساليب البيانية – مفردات اللغة العربية المدونة في معاجم اللغة العربية.

٣- الدراسات القرآنية: وتبدأ بضبط تلاوة القرآن الكريم كله مجوداً – حفظ القرآن أو ما تيسر منه – تفسير القرآن – دراسة موضوعات القرآن الكريم ضمن منهج التفسير الموضوعي – دراسة كتب علوم القرآن.

٤- دراسة السنة النبوية: ويبدأ بالاطلاع على أمهات المصنفات التي دونت فيها الأحاديث النبوية وكتب السنة – دراسة علوم الحديث – دراسة كتب شروح السنة – دراسة الأحاديث التي تتعلق بالدعوة إلى الله – معرفة كتب تراجم رواة الحديث.

٥- دراسة علم الفقه وأصوله: فقه العبادات والمعاملات.

٦- دراسة علم الأخلاق لارتباطها بالإيمان.

٧- دراسة آداب البحث والمناظرة: حتى يتمكن من الداعي من المناظرة والمحاورة.

٨- دراسة الصحيح من النظريات في علم النفس والاجتماع والتربية: حتى يتمكن من مخاطبة الفرد والجماعة، ويتعرف على الصفات الإنسانية وخصائصها ويفند المخالف منها للكتاب والسنة.

٩- إتقان بعض اللغات بجانب اللغة العربية إن أمكن.

١٠- متابعة العلوم والثقافات المعاصرة.

١١- الإلمام بعلوم التاريخ.

المبحث الثالث:

مرحلة الإعداد العملي

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهمية مرحلة الإعداد العملي .

المطلب الثاني: التدريب العملي على فنون الكلام.

المطلب الثالث: الاعتناء بوسائل التأثير واستغلال وسائل الدعوة الجديدة.

المطلب الأول:

أهمية مرحلة الإعداد العملي.

تعتبر مرحلة الإعداد العملي -والتي هي بمثابة التدريب على الممارسة الفعلية لمهنة الدعوة إلى الله- مرحلة هامة وضرورية من مراحل إعداد الدعاة إلى الله، فهي المرحلة التي تمثل مختبراً عملياً، حيث يقوم الداعية بتطبيق المبادئ والقيم الدعوية بشكل عملي في الميدان الحقيقي، بحيث يتاح فيها للداعية -من خلال إطلاعي على هذا الجانب- ما يلي:

١- التحقق من صلاحية الخبرات الحقيقية والتي تعلمها نظرياً فيدرك نواحي القوة والضعف في بعض جوانبه ويكتشف الصعوبات والمشكلات والأخطاء الميدانية والتي قد تعرض له بشكل واضح لتفاديها وتصحيح ما أمكن منها.

٢- تهيئة الداعية وإعداده نفسياً وعملياً للقيام بمهمة الدعوة إلى الله على أكمل وجه وذلك تحت إشراف وتوجيه دعاة مؤهلين من نخب ما تمتلكه الساحة الدعوية المعاصرة.

٣- إتاحة الفرصة أمام الدعاة لاكتساب المهارات الدعوية اللازمة بصورة تدريجية ومنظمة للقيام بمهمة الدعوة إلى الله، وكما أن الطبيب الجراح يكتسب المهارة في إجراء الجراحات المختلفة عن طريق الممارسة المستمرة، فهكذا يكتسب الداعية أصول وقواعد مهنة الدعوة إلى الله بالممارسة المستمرة والعمل الجاد الدؤوب.

٤- تنمية القدرة على الملاحظة الهادفة التي تساعد الداعية على تطوير أساليبه الدعوية.

٥- اكتشاف الداعية قدراته و إمكانياته الذاتية من خلال مرحلة الإعداد العملية.

٦- يتدرب الداعية على ممارسة مهارات التقويم الذاتي فتنمو لديه القدرة على النقد والنقد الذاتي و تقبل نقد الآخرين برحابة صدر.

٧- يعتبر الإعداد العملي المجال المساعد الذي من خلاله يكتسب الداعية العديد من المهارات أثناء فترة إعداده العملي والتي هي بمثابة حجر الزاوية في إعداده العام بما يتاح له من

فرص الممارسة الفعلية لعملية الدعوة إلى الله .

٨- تُعد مرحلة الإعداد العملي الميدان الحقيقي الذي من خلاله ينشأ الاتجاه الفعلي للداعية نحو مدى صلاحيته لمهنة الدعوة.

على ضوء ما تقدم تكون مرحلة الإعداد العملي هي حلقة الوصل المكملة لمراحل الإعداد السابقة -العلمية والتربوية- والتي تشكل الميدان الذي يحتك فيه الداعية بالقضايا الحيوية التي سوف يتعامل معها عندما يتحمل مسئوليات المهنة الدعوية بالكامل.

* * *

المطلب الثاني:
التدريب العملي على فنون الكلام.

لقد أسهمت الكلمة في تبليغ الدعوة، والدفاع عن الإسلام ضد خصومه أعظم مساهمة، ووظف النبي -صلى الله عليه وسلم- فنون القول والكلام كلها في خدمة الدعوة إلى الله تعالى، فاستخدم -صلى الله عليه وسلم- الخطبة في الدعوة إلى الله تعالى وكانت من أهم وسائل الاتصال بالناس، حيث يعرض النبي -صلى الله عليه وسلم- من خلالها ما يدعو إليه كما هو الحال كذلك في الجمع والعيدين والحج وغيرها من مجامع الناس المختلفة..

وهذا ما نص عليه الشارع الحكيم سبحانه في محكم التنزيل بقوله: ((ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ))[1].

والمتتبع لأساليب الدعوة في القرآن الكريم يجد كثيرا من الأساليب الدعوية المختلفة والتي منها على سبيل المثال ما ذُكر في هذه الآية الكريمة مثل: الدعوة بأسلوب الحكمة والدعوة بالموعظة الحسنة والدعوة بالمحاورة والمجادلة بالتي هي أحسن..

ومما يبين مدى أهمية القول في الدعوة إلى الله قوله تعالى: ((وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ))[2]، فهو الوسيلة الأولى التي يمكن للداعية إيصال ما يريد إيصاله للآخرين عن طريقها، ولا تعتبر الوسائل الحديثة والمبتكرة للتواصل مع الغير مغنية عنه وإنما هي وسائل مساعدة ينبغي الاستفادة منها واستغلالها في مجال الدعوة إلى الله، والمتأمل في واقع بعض الدعاة اليوم يلحظ على بعضهم فقراً في الأسلوب وضعفاً في الأداء مما

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

قد يسبب نفورا لدى بعض الناس من سماع الخير أو ضعفاً في استفادتهم منه..

لذا فالواجب على الدعاة أن يعتنوا بالإعداد والتدريب العملي على مهارات القول والخطابات الدعوية المختلفة والتي نذكر منها على سبيل المثال:

١- الخطبة.

٢- المحاضرة.

٣- الموعظة القصيرة.

٤- الدروس العلمية.

٥- مهارات المناظرة والمحاورة والمناقشة والمجادلة.

٦- مهارة الاحتساب وطرقه الشرعية.

٧- مهارة المشاركة في وسائل الإعلام المختلفة.

فإذا أتقن الداعية هذه المهارات أو بعضاً منها فهو من الدعاة المؤهلين الذين يحق لهم خوض غمار الدعوة إلى الله وتبليغ هذا الدين إلى الناس أجمعين، زاده: الإخلاص لله رب العالمين، ومزاده: المتابعة للرسول الكريم عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم.

* * *

المطلب الثالث:

الاعتناء بوسائل التأثير واستغلال وسائل الدعوة الجديدة.

يختلف العصر الحديث عن غيره من العصور السابقة بما طرأ عليه من الثورات الصناعية والتقنية والمستجدات الفقهية والمتغيرات الاجتماعية والسياسية، وظهرت وسائل دعوية جديدة تتميز بقوة التأثير وقدرتها على بلوغ أكبر عدد من الناس، مما يساعد في تحقيق المقاصد الدعوية ويصب في مصلحة الدعوة، فكل وسيلة تندرج تحت أي من الوسائل المشروعة وتؤدي إلى تحقيق المقصود الدعوي دون أن يعارضها نهي شرعي فإنها تكون في دائرة المشروعية والاعتبار..

واختيار الوسيلة المناسبة سبب في تحقيق المقصود، والله تعالى قد أجرى سننه الكونية على تغير كثير من الأسباب بتغير الزمان والمكان، فقد يكون من الأسباب ما يقتضي حصول مسببات لم يكن يمكن حصولها في أزمان مضت، كما قال تعالى: ((وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ))[1] .

فقوله تعالى: ((وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)) يدخل فيه كل وسائل النقل الحديثة مما لم يكن معروفاً في السابق من طائرات وقطارات وسيارات وغيرها مما هو مباح ويندرج تحت هذه الوسائل المباحة كما أشار إلى ذلك المفسر الأصولي الطاهر بن عاشور -رحمه الله- بقوله: "فالذي يظهر لي أن هذه الآية من معجزات القرآن الغيبية العلمية، وأنها إيماء إلى أن الله سيلهم البشر اختراع مراكب هي أجدى عليهم من الخيل والبغال والحمير، وتلك العجلات التي يركبها الواحد ويحركها برجليه وتسمى "بسكلات"، وأرتال السكك الحديدية، والسيارات المسيرة بمصفى النفط وتسمى "أطوموبيل"، ثم الطائرات التي تسير بالنفط المصفى في الهواء،

---

(١) سورة النحل، الآية: ٨.

فكل هذه مخلوقات نشأت في عصور متتابعة لم يكن يعلمها من كانوا قبل عصر. وجود كل منها، وإلهام الله الناس لاختراعها هو ملحق بخلق الله، فالله هو الذي ألهم المخترعين من البشر بما فطرهم عليه من الذكاء والعلم وبها تدرجوا في سلم الحضارة واقتباس بعضهم من بعض إلى اختراعها، فهي بذلك مخلوقة لله تعالى لأن الكل من نعمته.."[1] أ.هـ

لذا فعلى الداعية الموفق أن يستغل ويستفيد من كل وسائل الاتصال بالناس الحديثة التي منّ الله بها على عباده وتفضل، إذا كانت كما أسلفت تندرج تحت أي من الوسائل المشروعة ولم تُعارَض بنهي شرعي، وحينما يتجاهل الداعية الوسائل الحديثة العصرية في دعوته فإنه يعيش خارج عصره ويقل تأثيره في الناس ، والله الهادي إلى سواء السبيل..

ومن هذه الوسائل -والتي يشترط فيها شرط الإباحة السابق- على سبيل المثال:

١- الجامعات الإسلامية والمعاهد الشرعية .

٢- شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) .

٣- الفضائيات .

٤- الصحافة بكل أنواعها .

٥- رسائل الجوال .

٦- المؤسسات العلمية والدعوية .

* * *

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت ط: ١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م ١٣/ ٨٩.

الفصل الثالث:

أثر فقه مقاصد الدعوة في حياة الداعية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تحقيق إخلاص الوجهة والغاية.

المبحث الثاني: الشمولية في الفكر والعمل.

المبحث الثالث: الواقعية في الفكر والعمل.

المبحث الرابع: التفاعل والتكامل المستمر بين الدعاة.

المبحث الأول:

تحقيق إخلاص الوجهة والغاية..

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة الإخلاص.

المطلب الثاني: إخلاص الوجهة لله –تعالى– دليل فقه الداعية.

المطلب الثالث: قاعدة نجاح الداعية إلى الله: ((يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا)).

المطلب الرابع: حبّالة الشيطان: (ترك الدعوة إلى الله مخافة الرياء!!).

المطلب الخامس: إنكار الذات في سبيل الله سمة الدعاة المخلصين.

● توطئة:

إن مما لا شك فيه أن الدعوة إلى الله تعالى من أجل وأشرف العبادات التي يتقرب بها العبد لربه عز وجل قال تعالى: ((وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ))[1].

قال الإمام ابن جرير الطبري –رحمه الله– في تفسيره:

يقول تعالى ذكره: ومن أحسن أيها الناس قولا ممن قال ربنا الله ثم استقام على الإيمان به والانتهاء إلى أمره ونهيه ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به من ذلك...

ولما تلا الحسن البصري –رحمه الله– ((وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ))قال: هذا حبيب الله هذا ولي الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب الخلق إلى الله أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا في إجابته وقال إنني من المسلمين[2]...

ولا يكمل شرف هذه العبادة ولا يتم بنيانها إلا بتجريد القصد لله تعالى، وطلب مرضاته دون ما سواه وإخلاص الدين له وهو ما أمر جميع الناس به كما قال تعالى:

((وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ))[3].

وقال تعالى: ((لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ومَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً))[4].

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٥هـ ٢٤/ ١١٧.

(٣) سورة البينة، الآية: ٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ١١٤.

يقول الشيخ ابن سعدي -رحمه الله-:

"فلهذا ينبغي للعبد أن يقصد وجه الله تعالى ويخلص العمل لله في كل وقت وفي كل جزء من أجزاء الخير ليحصل له بذلك الأجر العظيم وليتعود الإخلاص فيكون من المخلصين وليتم له الأجر سواء تم مقصوده أم لا لأن النية حصلت واقترن بها ما يمكن من العمل"[1].

وقال الله تعالى: ((فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ولا يشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً))[2]، وفي الحديث الصحيح عن أمير المؤمنين أبي حفص - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[3].

وعن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري - رضي الله عنه - قال: سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"[4].

* * *

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة - بيروت ط:١ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ١/ ٢٠٢.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٣) تقدم تخريجه (ص ٩٤).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من سأل وهو قائم عالما جالسا ١/ ٥٨ رقم (١٢٣)، وأخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ١٣/ ١٥١٢ رقم (١٩٠٤).

المطلب الأول:

حقيقة الإخلاص.

الإخلاص لغة:

قال ابن فارس[(١)] -رحمه الله-:

"الخاء واللام والصاد أصل واحد مطرد وهو تنقية الشيء وتهذيبه "[(٢)].

أما في الاصطلاح:

فقد عرفه العلماء بتعريفات كثيرة من أقربها التعريف الذي ذكره الإمام النووي -رحمه الله- عن أبي القاسم القشيري -رحمه الله- حيث يقول:

"الإخلاص إفراد الحق في الطاعة بالقصد وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شئ آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس أو محبة أو مدح من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله تعالى قال ويصح أن يقال الإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين..

وذكر النووي -رحمه الله- مقالات لبعض السلف في الإخلاص نذكر طرفاً منها للفائدة حيث قال: وعن حذيفة المرعشي[(٣)] -رحمه الله تعالى- قال: "الإخلاص استواء أفعال العبد في الظاهر والباطن"

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (٣٢٩ - ٣٩٥ هـ = ٩٤١ - ١٠٠٤م): من أئمة اللغة والأدب، أصله من قزوين، من تصانيفه (مقاييس اللغة)، و (جامع التأويل) وغيرها.. (الأعلام للزركلي ١/ ١٩٣).

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الجيل - بيروت ط:٢ ١٩٩٩م ٢/ ٢٠٨.

(٣) من أهل مرعش كان أحد العباد المذكورين، صحب سفيان الثوري وروى عنه. روى عنه يوسف بن أسباط وابن أبي الدرداء ونبهان بن المغلس، والفيض بن اسحق، ومحمد بن أبي الورد، واشتغل بالعبادة عن الرواية. (بغية الطلب في تاريخ حلب المؤلف : ابن العديم مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com)

وعن ذي النون[1] -رحمه الله- تعالى قال: "ثلاث من علامات الإخلاص استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤية العمل في الأعمال واقتضاء ثواب الأعمال في الآخرة".

وعن الفضيل بن عياض[2] -رضي الله عنه- قال:

"ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما"[3].

وعن سهل التستري[4] -رحمه الله تعالى- قال:

"نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا أن تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى وحده لا يمازجه شيء لا نفس ولا هوى ولا دنيا".

وقال أبو إسماعيل الهروي -رحمه الله-: "الإخلاص تصفية العمل من كل شوب.." [1].

---

(١) ذو النون المصري الزاهد، شيخ الديار المصرية، ثوبان بن إبراهيم، وقيل: فيض بن أحمد، وقيل: فيض بن إبراهيم النوبي الإخميمي (نسبة إلى إخميم، بلدة من ديار مصر بالصعيد)يكنى أبا الفيض، ويقال: أبا الفياض، ولد في أواخر أيام المنصور ومات في سنة خمس وأربعين ومائتين (٢٤٥هـ).(سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣٢) .

(٢) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي (١٠٥ - ١٨٧ هـ = ٧٢٣ - ٨٠٣م): شيخ الحرم المكي، من أكابر العباد الصلحاء، ولد في سمرقند، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها،ثم سكن مكة وتوفي بها. من كلامه: " من عرف الناس استراح " . (الأعلام للزركلي ٥/ ١٥٣).

(٣) واختارت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالرياض [ابن قعود، ابن غديان، عفيفي، ابن باز] : أن ترك العمل من أجل الناس رياء، ليس على إطلاقه، بل فيه تفصيل، والمعوّل على ذلك النية، وإذا وقع للإنسان حالةً ترك فيها العمل الذي لا يجب عليه لئلا يُظنَّ به ما يضره، فليس هذا من الرياء، بل هو من السياسة الشرعية، وهكذا لو ترك بعض النوافل عند بعض الناس خشية أن يمدحوه بما يضره أو يخشى الفتنة به، أما الواجب : فليس له أن يتركه إلاّ لعذر شرعي .
"فتاوى اللجنة الدائمة" (١/ ٥٣٢)

(٤) سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أبو محمد (٢٠٠ - ٢٨٣ هـ = ٨١٥ - ٨٩٦م): أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال. له كتاب في (تفسير القرآن) مختصر، وكتاب (رقائق المحبين) وغير ذلك . (الأعلام للزركلي ٣/ ١٤٣).

وقد قال ابن القيم -رحمه الله- معلقا على مقولته: "أي لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس إما طلب التزين في قلوب الخلق وإما طلب مدحهم والهرب من ذمهم أو طلب تعظيمهم أو طلب أموالهم أو خدمتهم ومحبتهم وقضائهم حوائجه أو طلب محبتهم له أو غير ذلك من العلل والشوائب التي عَقْد متفرقاتها: هو إرادة ما سوى الله بعمله كائنا ما كان.."(٢)

فالإخلاص إذن هو: أن يكون الدافع على الدعوة والعمل والباعث لها هو التقرب إلى الله -عز وجل- وحده لا شريك له والحصول على مرضاته، وليس طلبًا للرياء والسُّمْعة .

❊ ❊ ❊

(١) التبيان في آداب حملة القرآن، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، ت: محمد الحجار، دار ابن حزم -بيروت ط:٤ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ١/ ١٧ .

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي - بيروت ط: ٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ٢/ ٩٢ .

المطلب الثاني:
إخلاص الوجهة لله –تعالى- دليل فقه الداعية.

إن الداعية إلى الله تعالى حينما يتقرر عنده أن أهم المقاصد الدعوية التي من أجلها يدعو والتي أرسل الله تعالى رسله –عليهم السلام- من أجل تحقيقها هي:
تحقيق مقتضى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وهي إخلاص الدين لله وحده لا شريك له..
وعندما يتذكر أن من مقاصد دعوته تبليغ دين الله –تعالى- للناس لإقامة الحجة عليهم، فهو مبلغ عن الله –تعالى- ، وأن الهداية بيده –سبحانه- يهدي من يشاء ويضل من يشاء، إن هذا كله ليورث الداعية إلى الله الإخلاص في دعوته وتجريد الوجهة إلى من يدعو إلى سبيله والتي هي مقتضى إتباع النبي –صلى الله عليه وسلم- وبرهانه الدال على صدق الداعية !!

قال تعالى: ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))(١).

يقول الإمام ابن جرير الطبري –رحمه الله-:
"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد –صلى الله عليه وسلم- : قل يا محمد هذه الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان والانتهاء إلى طاعته وترك معصيته سبيلي وطريقتي ودعوتي أدعو إلى الله وحده لا شريك له على بصيرة بذلك ويقين علم مني به أنا ويدعو إليه على بصيرة أيضا من اتبعني وصدقني وآمن بي..
((وَسُبْحَانَ اللَّهِ)) يقول له تعالى ذكره: وقل تنزيها لله وتعظيما له من أن يكون له شريك في ملكه أو معبود سواه في سلطانه..

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

((وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) يقول: وأنا بريء من أهل الشرك به لست منهم ولا هم مني"[1].

وفي قوله تعالى: ((أَدْعُو إِلَى اللهِ)) تنبيه على الإخلاص كما يقول الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في مسائل كتابه القيم "كتاب التوحيد": "لأن كثيرا وإن دعا -في الظاهر- إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه"[2].

ويقول ابن تيمية -رحمه الله-:

" فإن الإنسان عليه أولا أن يكون أمره لله وقصده طاعة الله فيما أمره به وهو يحب صلاح المأمور أو إقامة الحجة عليه فإن فعل ذلك لطلب الرياسة لنفسه ولطائفته وتنقيص غيره كان ذلك حمية لا يقبله الله وكذلك إذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء كان عمله حابطا ثم إذا رد عليه ذلك وأوذي أو نسب إلى أنه مخطئ وغرضه فاسد طلبت نفسه الانتصار لنفسه وأتاه الشيطان فكان مبدأ عمله لله ثم صار له هوى يطلب به أن ينتصر على من آذاه وربما اعتدى على ذلك المؤذي وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة إذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه وأنه على السنة فإن أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاههم أو رياستهم وما نسب إليهم لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون الدين كله لله بل يغضبون على من خالفهم وإن كان مجتهدا معذورا لا يغضب الله عليه ويرضون عمن يوافقهم وإن كان جاهلا سيء القصد ليس له علم ولا حسن قصد فيفضي هذا إلى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله ويذموا من لم يذمه الله ورسوله وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله وهذا حال الكفار الذين لا يطلبون إلا أهواءهم ويقولون هذا صديقنا وهذا

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٥هـ ١٣/ ٧٩ .

(٢) من فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، دار البيان – بيروت ط:١ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ص: ٧٦.

عدونا وبلغة المغل هذا بال هذا باغي لا ينظرون إلى موالاة الله ورسوله ومعاداة الله ورسوله ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس، قال الله تعالى: ((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)) ، فإذا لم يكن الدين كله لله وكانت فتنة وأصل الدين أن يكون الحب لله والبغض لله والموالاة لله والمعاداة لله والعبادة لله والاستعانة بالله والخوف من الله والرجاء لله والإعطاء لله والمنع لله وهذا إنما يكون بمتابعة رسول الله الذي أمره أمر الله ونهيه نهي الله ومعاداته معاداة الله وطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله.."[1].

فالداعية إلى الله تعالى إذا المتبع للنبي -صلى الله عليه وسلم- السالك سبيله وسبيل الأنبياء والمرسلين -عليهم الصلاة السلام- قبله يدعو إلى الله وحده لا يدعو إلى نفسه أو إلى شخص معيَّن أو منهج معيَّن أو طائفة معيَّنة وإنما يقصد الدَّعوة إلى الله بالدلالة إليه تعالى وحده فحسب، ويكون همه وغايته من دعوته إخراج الناس من الظُّلُمات إلى النُّور، ونفعهم ولأن تكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر القاهر على الناس وشرعه هو المحكم في الأرض لا التحزُّب المذموم ولا الدعوة إلى حكم بشر أو سلطان ظالم ولا التّجمُّع مع الطَّوائف الأخرى المارقة من الدين[2] !!

ولا التفرق في الدين ولا الانتصار للنفس أو لكائن ما كان وإنما ينتصر للحقِّ ويتَّبعُ منهج الحقِّ هذا هو الذي يدعو إلى الله -الدَّعوة إلى الله بالإخلاص- هذا هو قصدُ الدَّاعية

---

(١) منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام ابن تيمية، ت: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة-القاهرة ط:١ ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ٥ / ٢٥٥.

(٢) ومثله من يدعو اليوم من الدعاة إلى التقريب بين أهل السنة -أهل الإسلام- وبين أهل البدع المكفرة أمثال الرافضة -عليهم من الله ما يستحقون- لأن الخلاف هنا خلاف في الأصول لا ما يدعيه بعضهم أنه خلاف في الفروع !!

فهل دعاء غير الله من فروع الشريعة ؟!! وهل تكذيب القرآن من الفروع ؟! وهل تكفير الصحابة الأطهار من الفروع؟! وهل اتهام عرض المصطفى بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه ورد سنته الثابتة عنه من فروع الشريعة ؟!! فالحذر الحذر من دعاة الضلال الذين يدعون إلى الله بغير بصيرة ولا علم .

المخلص أن يتجرد لله وحده في دعوته!!

ورحم الله الشيخ ابن عثيمين حيث يقول:

"الدعاة إلى الله ينقسمون إلى قسمين: داع يدعو إلى الله، وداع يدعو إلى غيره فالداعي إلى الله تعالى هو المخلص الذي يريد أن يوصل الناس إلى الله تعالى، والداعي إلى غيره قد يكون داعيا إلى نفسه، يدعو إلى الحق من أجل أن يعظّم بين الناس ويحترم، ولهذا تجده يغضب إذا لم يفعل الناس ما أمر به، ولا يغضب إذا ارتكبوا نهيا أعظم منه، لكن لم يدع إلى تركه.."[1] .

وروى الإمام البخاري -رحمه الله- بسنده قال:

لما كان ابن زياد[2] ومروان[3] بالشام، وثب ابن الزبير بمكة، ووثب القرّاء بالبصرة، فانطلقت مع أبي إلى أبي برزة الأسلمي حتى دخلنا عليه في داره وهو جالس في ظل عُلِّيَةٍ[4] له من قصب فجلسنا إليه، فأنشأ أبي يستطعمه الحديث، فقال: يا أبا برزة ألا ترى ما وقع فيه الناس؟ فأول شيء سمعته تكلم به: (إني احتسب عند الله أني أصبحت ساخطاً على أحياء قريش، إنكم يا معشر العرب كنتم على الحال الذي علمتم من الذِلة والقِلة والضلالة، وإن الله أنقذكم بالإسلام وبمحمد -صلى الله عليه وسلم- حتى بلغ بكم ما ترون وهذه الدنيا التي أفسدت بينكم، إن ذاك الذي بالشام والله إن يقاتل إلا على دُنيا، وإن هؤلاء الذين بين أظهركم

---

(١) القول المفيد شرح كتاب التوحيد، لابن عثيمين، دار ابن الجوزي - الرياض ط:٢ ١٤٢٤هـ (١/ ١٦٠).

(٢) عبيد الله بن زياد بن أبيه أمير العراق أبو حفص، إلي البصرة سنة خمس وخمسين وله ثنتان وعشرون سنة، وولي خراسان، كان جميل الصورة، قبيح السريرة، وقد جرت لعبيد الله خطوب، وأبغضه المسلمون لما فعل بالحسين -رضي الله عنه-، قتل عبيد الله بن زياد يوم عاشوراء سنة سبع وستين، (سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٤٥).

(٣) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، الملك أبو عبد الملك القرشي الأموي، وقيل: يكنى أبا القاسم، وأبا الحكم، وكان ذا شهامة، وشجاعة، ومكر، ودهاء، أحمر الوجه، قصيرا، أوقص (قصير العنق خلقة)، دقيق العنق، كبير الرأس واللحية، مولده بمكة، وقيل: مات بالطاعون . (سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٧٧).

(٤) هي الغرفة .

والله إن يقاتلون إلا على دُنيا، وإن ذاك الذي بمكة والله إن يقاتل إلا على الدنيا)[1].

فانظر يا رعاك الله إلى هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه كيف اعتزل في مثل تلك الحوادث عندما رأى أن حظوظ النفس حاضرة وأنها قد تسلك بصاحبها إلى الهاوية!!!

فليحذر الداعية إلى الله من حبائل الشيطان ولا يستجيب لحظوظ النفس الأمارة بالسوء، لأن النفس جبلت على حب الترأس، وحب الترفع على الناس والسعي للعز والشرف وأن يكون لها مقام في قلوبهم، حتى يكون هذا همها ومرادها فيتمكن هواها منه ويأسره في طريق دعوته إلى الله تعالى ويسيطر عليه سيطرة المقاتل على أسيره فيصبح الهوى هو المحرك له في دعوته وهو الدافع والباعث على العمل وفي الوقت نفسه تكون مقاصد دعوته تبعا لهواه التي يسعى إلى تحقيقها ومن ثم يكون الهوى هو الإله الذي يعبده، ويطوف حوله والمعصوم من عصمه الله !!

ولقد ضرب الله تعالى مثلا لمن اتبع هواه ولم يقم بما أمره الله به بالكلب الذي هو من أخبث الحيوانات وأوضعها قدرا وأخسها نفسا حينما قال عز وجل: ((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ))[2].

قال ابن القيم -رحمه الله-: "وفي تشبيه من آثر الدنيا وعاجلها على الله والدار الآخرة مع وفور علمه بالكلب في حال لهثه سر بديع وهو أن الذي حاله ما ذكره الله من انسلاخه من آياته واتباعه هواه إنما كان لشدة لهفه على الدنيا لانقطاع قلبه عن الله والدار الآخرة فهو شديد اللهف عليها ولهفه نظير لهف الكلب الدائم في حال إزعاجه وتركه واللهف واللهث شقيقان

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الفتن، باب : إذا قال عند القوم شيئا ثم خرج فقال بخلافه٦/ ٢٦٠٣رقم (٦٦٩٥).

(٢) سورة الأعراف، الآيات: ١٧٥-١٧٦.

وأخوان في اللفظ والمعنى، قال ابن جريج[1]: الكلب منقطع الفؤاد لا فؤاد له أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فهو مثل الذي يترك الهدى لا فؤاد له إنما فؤاده ينقطع قلت مراده بانقطاع فؤاده أنه ليس له فؤاد يحمله على الصبر وترك اللهث وهكذا الذي انسلخ من آيات الله لم يبق معه فؤاد يحمله على الصبر عن الدنيا وترك اللهف عليها فهذا يلهف على الدنيا من قلة صبره عليها وهذا يلهث من قلة صبره على الماء.."[2].

وروي عن ابن عباس –رضي الله عنهما- أنه قال: "الهوى إله معبود"[3].

ثم قرأ: ((أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا))[4].

وقال الشاطبي –رحمه الله تعالى-:

"مخالفة ما تهوى الأنفس شاق عليها وصعب خروجها عنه ولذلك بلغ أهل الهوى في مساعدته مبالغ لا يبلغها غيرهم وكفى شاهدا على ذلك حال المحبين وحال من بعث إليهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم- من المشركين وأهل الكتاب وغيرهم ممن صمم على ما هو عليه حتى رضوا بإهلاك النفوس والأموال ولم يرضوا بمخالفة الهوى حتى قال تعالى: ((أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ))[5]، وقال: ((إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ))[6].

---

(١) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو الوليد وأبو خالد (٨٠ - ١٥٠ هـ = ٦٩٩ - ٧٦٧م): فقيه الحرم المكي. كان إمام أهل الحجاز في عصره. وهو أول من صنف التصانيف في العلم بمكة. رومي الأصل، من موالي قريش. مكي المولد والوفاة. قال الذهبي: كان ثبتا، لكنه يدلس . (الأعلام للزركلي ٤/ ١٦٠).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم ت: طه عبد الرؤوف، دار الجيل، بيروت ١٩٧٣م ١/ ١٦٦.

(٣) عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري، دار الكتب المصرية– القاهرة، ط:٢ ١٩٩٦م ١/ ٣٧.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٤٣.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٤٣.

(٦) سورة النجم، الآية: ٢٣.

وقال: ((أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ))[1].

واتباع الناس لأهوائهم أفسد دنياهم"[2].

فإذا انقاد الداعية إلى الله لما تهواه نفسه الأمارة بالسوء فبئس ما أراد، وبئس ما سعى إليه وستكون دعوته إلى نفسه وبالاً عليه يوم يقف بين يدي الله تعالى ويكون ممن ذكرهم المصطفى صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه بسنده قال: تفرق الناس عن أبي هريرة -رضي الله عنه- فقال له أخو أهلِ الشام (ناتل الشامي)[3]:

أيها الشيخ حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (أول الناس يقضى فيه يوم القيامة رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيه؟

قال: قاتلت فيك حتى قتلت !! ، قال: كذبت، ولكن قاتلت ليقال هو جريء فقد قيل قال: ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار !!

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه عليه فعرفها، فقال: ما عملت فيها؟

قال: تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن !

فيقول: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال هو عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل!!، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار !!

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٤.

(٢) الموافقات، للشاطبي، ت: عبد الله دراز، دار المعرفة - بيروت ١٤١٠هـ ٢/ ١٥٣.

(٣) ناتل بن قيس بن زيد بن حبان ابن امرئ القيس الجذامي (٠٠٠ - ٦٦ هـ = ٠٠٠ - ٦٨٥م): وال، شجاع من التابعين، كان سيد جذام بالشام، ويقال له (ناتل أخو أهل الشام)، شهد صفين مع معاوية، ولما مات يزيد بن معاوية (سنة ٦٤ هـ كان ناتل في فلسطين، فوثب على أميرها (روح بن زنباع) وأخرجه، ودعا إلى عبد الله بن الزبير، فجاءه تقليد ابن الزبير بولايتها. واستمر إلى أن ولي عبد الملك بن مروان، فبعث إليه (عمرو ابن سعيد) فقتله، وقيل: قتل في أيام مروان بن الحكم .(الأعلام للزركلي ٧/ ٣٤٣).

ورجل وسع الله عليه فأعطاه من أنواع المال فأتي به فعرفه نعمه فعرفها..

فقال: ما عملت فيها؟

قال: ما علمت من شيء تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت فيه !!

قال: كذبت، ولكن فعلت ليقال هو جواد فقد قيل !! ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار)[١].

يقول ابن القيم -رحمه الله-: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يقول: "كما أن خير الناس الأنبياء فشر الناس من تشبه بهم من الكذابين وأدعي أنه منهم وليس منهم فخير الناس بعدهم العلماء والشهداء والصديقون والمخلصون وشر الناس من تشبه بهم يوهم أنه منهم وليس منهم"[٢].

وكل من ابتغى في تكاليف الشريعة غير ما شرعت له فقد ناقض الشريعة!!

وكل من ناقضها فعمله في المناقضة باطل فمن ابتغى في التكاليف ما لم تشرع له فعمله باطل كما نص عليه الإمام الشاطبي -رحمه الله- [٣]

* * *

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب : من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ٣/ ١٥١٣ رقم (١٩٠٥) .

(٢) الجواب الكافي، ابن القيم، مكتبة ابن تيمية- القاهرة ط:١ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ١/ ٢٠.

(٣) كما في الموافقات، للشاطبي، ت: عبد الله دراز، دار المعرفة - بيروت ١٤١٠هـ ٢/ ٣٣٣.

المطلب الثالث:

قاعدة نجاح الداعية إلى الله: ((يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا)).

يقول الباري -سبحانه-: ((وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ))[1]، لقد أصبح شعار: ((لا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً)) شعاراً يعرف به النبي عن غيره، ويميّز به المبعوث من جانب الله -سبحانه- عن المبعوث من جانب نفسه أو من جانب غيره، وبخاصة إذا عرفنا أنّ ما يقوم به الأنبياء والدعاة إلى الله هو أعلى وأنبل من أن يقوّم بالدراهم والدنانير، أو بالمناصب والمقامات الدنيوية، وإذا كان الدافع إلى قيامهم بأعباء الدعوة وتحمل المشاق في سبيلها والتضحية بالغالي والنفيس لتحقيق مقاصدها هو: امتثال أمره سبحانه وتعالى، لابتغاء مرضاته، فما كان كذلك فالله سبحانه أولى بأن يرجى منه الأجر والجزاء لا غيره !!

" إن أهم ما يجب أن يتصف به الداعية: الإخلاص، فلا يجعل دعوته حرفة تكسب الأموال ولا ذريعة للتقرب إلى غير الله، ولا سلماً للوصول إلى الجاه والسلطان، بل يبتغي بدعوته وجه الله الواحد الأحد، ولا يريد من أحد سواه جزاء ولا شكوراً...

والدعوة إلى الله تعالى سبيل الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام-، وعلى السالك في هذا الطريق أن يسلك كما سلكوا، ويتزود كما تزودوا، ويتصف بما اتصفوا به ، إنهم أخلصوا لله الواحد ولم يطلبوا من أحد سوى الله تعالى أجراً !!

أخبر الله تعالى في سورة الشعراء عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب -عليهم الصلاة والسلام- أن كل واحد منهم قال لقومه: ((ومَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ))[2].

---

(١) سورة يس، الآيات: ٢٠-٢١.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠ .

وهكذا أعلن إمام الأنبياء المرسلين محمد -صلى الله عليه وسلم-..
يقول تعالى مخاطباً إياه: ((قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ))[1]، ويقول سبحانه وتعالى أيضاً: ((قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ومَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ))[2]، ويقول تعالى أيضاً: ((أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ))[3].."[4]

والتجرد عن الأغراض الشخصية في دعوة الأنبياء عليهم السلام من أهم المزايا المؤثرة التي تجعل المنصفين يستجيبون لها ويتأثرون بكلام الأنبياء عليهم السلام ونصحهم وتوجيههم فالأنبياء عليهم السلام لا يطلبون أجراً من أحد، ولا يقبلون على تبليغ الرسالة ثمناً من أي شخص إنما يطلبون الأجر والثواب من الله وحده الذي فطرهم وخلقهم ومنَّ عليهم وكان شعارهم الذي رفعوه بكل وضوح وجلاء وعلانية أن دعوتهم لم تكن من أجل الدنيا أو المال أو المنصب أو الجاه إنما هي لله خالصة، لا يبتغون من غير الله أجراً، فهم في دعوتهم لا يطلبون ثناءً ولا مديحاً إنما يقصدون ثواب الله والدار الآخرة وابتغاء مرضاة الله عز وجل، لم تكن دعوة باللسان فقط، بل كان ذلك مبدءاً ومنهاجاً لحياتهم، فكانوا زاهدين في الدنيا، مقبلين على الآخرة، زهدوا في المناصب والمراكز والجاه وحطام الدنيا الفاني وضحوا بها في سبيل دعوتهم ومرضاة ربهم.

* * *

(١) سورة سبأ، الآية: ٤٧ .

(٢) سورة ص، الآية: ٨٦.

(٣) سورة الطور، الآية: ٤٠.

(٤) من مقال (الإخلاص)، د فضل إلهي، مجلة البيان، عدد ٥٦ ربيع الآخر ١٤١٣هـ .

المطلب الرابع:

حبّالة[١] الشيطان: (ترك الدعوة إلى الله مخافة الرياء !!).

وليحذر الداعية الحصيف أن يأتيه الشيطان الرجيم من باب مخافة الرياء ويدعوه إلى ترك الدعوة إلى الله فيعالج الخطأ بخطأ مثله أو أكبر منه !!

وقد نبه العلماء على هذا المزلق الخطير وحذروا منه، فعليه أن يفعل ما أمره الله به ويتوكل عليه ولا ينظر إلى نزعات الشيطان لأنه حريص على تزيين الأمر وكأنه رياء ليمنعك عن فعله فتقع فيما أراده منك وهو الصد عن طاعة الله..

"والناس لم يؤمروا أن يخرجوا وساوس إبليس أن تعترض في صدورهم ولم يؤمروا بأن يغيروا خلقهم وطباعهم حتى تصير لا تنازع إلى معنى من زينة الدنيا من رياء ولا غيره، حتى تكون طبائعهم الحمد فيها مكروه والذم فيها محبوب !!"[٢]

فالواجب المجاهدة الدائمة لتصحيح النية وتصفيتها والله هو المعين على ذلك إذا أخذ الداعية بالأسباب الشرعية المعينة على الإخلاص قال تعالى: ((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ))[٣].

قال ابن حزم[٤] -رحمه الله-: "لإبليس في ذم الرياء حبّالة وذلك أنه رب ممتنع من فعل

---

(١) المصيدة.

(٢) الرعاية لحقوق الله، للحارث المحاسبي، دار الكتب العلمية – القاهرة (٢٠٧).

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٤) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد (٣٨٤ – ٤٥٦ هـ = ٩٩٤ – ١٠٦٤م): عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم "الحزمية"، ولد بقرطبة، وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين فقيها حافظا يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، بعيدا عن المصانعة، وكان يقال: لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان، أشهر مصنفاته "الفصل في الملل والأهواء والنحل" وله "المحلى" في ١١ جزءا، فقه. (الأعلام للزركلي ٤/ ٢٥٣).

خير خوف أن يظن به الرياء..

فإذا طرقك منه مثل هذا فامض على فعلك فهو شديد الألم عليه "[1] .

وقال ابن مفلح المقدسي[2] -رحمه الله-: " (فصل لا ينبغي ترك العمل المشروع خوف الرياء)..

مما يقع للإنسان أنه إذا أراد فعل طاعة يقوم عنده شيء يحمله على تركها خوف وقوعها على وجه الرياء والذي ينبغي عدم الالتفات إلى ذلك وأن الإنسان يفعل ما أمره الله عز وجل به ورغبه فيه ويستعين بالله تعالى ويتوكل عليه في وقوع الفعل منه على الوجه الشرعي وقد قال الإمام النووي -رحمه الله-: لا ينبغي أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفا من أن يظن به الرياء بل يذكر بهما جميعا ويقصد به وجه الله عز وجل وذكر قول الفضيل بن عياض رحمه الله: إن ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك..

قال: فلو فتح الإنسان عليه باب ملاحظة الناس والاحتراز من تطرق ظنونهم الباطلة لانسد عليه أكثر أبواب الخير انتهى كلامه وقال أبو الفرج بن الجوزي: فأما ترك الطاعات خوفا من الرياء فإن كان الباعث له على الطاعة غير الدين فهذا ينبغي أن يترك لأنه معصية وإن كان الباعث على ذلك الدين وكان ذلك لأجل الله عز وجل مخلصا فلا ينبغي أن يترك العمل لأن الباعث الدين وكذلك إذا ترك العمل خوفا من أن يقال مراء فلا ينبغي ذلك لأنه من مكايد الشيطان قال إبراهيم النخعي -رحمه الله-: إذا أتاك الشيطان وأنت في صلاة فقال إنك مراء فزدها طولا !! وأما ما روي عن بعض السلف أنه ترك العبادة خوفا من الرياء فيحمل

---

(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس، لابن حزم، دار الآفاق الجديدة - بيروت ط:٢ ١٣٩٩هـ - ١٩٩٧م (١/ ١٦)

(٢) إبراهيم بن محمد بن مفلح الراميني الأصل، الدمشقي، أبو إسحاق، برهان الدين (٧٤٩ - ٨٠٣ هـ = ١٣٤٨ - ١٤٠١م): شيخ الحنابلة في عصره. من كتبه (طبقات أصحاب الإمام أحمد) و (كتاب الملائكة) و (شرح المقنع) وتلف أكثر كتبه في فتنة تيمور بدمشق. (الأعلام للزركلي ١/ ٦٤).

هذا على أنهم أحسوا من نفوسهم بنوع تزين فقطعوا وهو كما قال ومن هذا قول الأعمش -رحمه الله-: كنت عند إبراهيم النخعي وهو يقرأ في المصحف فاستأذن رجل فغطى المصحف وقال: لا يظن أني أقرأ فيه كل ساعة !!

وإذا كان لا يترك العبادة خوف وقوعها على وجه الرياء فأولى أن لا يترك خوف عجب يطرأ بعدها"[1].

والحاصل أن أمر الرياء ليس بالأمر المستعصي عن العلاج، صحيح أنه يحتاج إلى مشقة ومجاهدة أفصحت عنها عبارات الصالحين من سلف الأمة فقد قال الإمام أحمد -رحمه الله-: أمر النية شديد.

وقال سفيان الثوري -رحمه الله-: ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي لأنها تتقلب علي !!

وقال يوسف بن الحسين -رحمه الله-: أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم اجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي ولكنه مع ذلك ليس بالأمر المستحيل، إذ من المحال أن يكلفنا الله ما لا نطيق، ولذلك فإن من الأمور التي تعين العبد على "علاج الرياء:

١- الاستعانة بالله على الإخلاص والتعوذ به منه ومراقبته.
٢- معرفة الرياء والتحرز منه.
٣- النظر في عاقبة الرياء في الدنيا.
٤- النظر في عواقبه الأخروية.
٥- إخفاء العبادة وإسرارها (إن كانت من العبادات السرية) "[2].
٦- أن يكون للعبد خبيئة من عمل صالح لا يطلع عليه إلا ربه ومولاه جل وعلا.

---

(١) الآداب الشرعية، لابن مفلح المقدسي، ت: شعيب الأرنؤوط – عمر القيام، مؤسسة الرسالة - بيروت ط:٢ ١٤٢٧هـ - ١٩٩٦م ١/ ٢٨٣.

(٢) الإخلاص، د. عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن – عمان ط:٤ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ص: ١٢٣.

٧- ألاّ يلتفت العبد إلى مدح الناس أو ذمهم، أو رضى الناس أو غضبهم، فشغله الشاغل رضى الحق سبحانه.

٨- الاطلاع على سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وسير السلف الصالح الصادقين ليتعلم منهم.

٩- إنكار الذات في سبيل الله.

* * *

المطلب الخامس:

إنكار الذات في سبيل الله سمة الدعاة المخلصين

ليكن شعارك أخي الداعية الموفق الكريم ما قاله "الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى-: ما ناظرت أحداً قط على الغلبة، ووددت إذا ناظرت أحداً أن يظهر الحق على يديه..

وقال: ما كلمت أحداً قط إلا وددت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله وحفظ..

وقال -رحمه الله-: وددت أن الخلق تعلموا مني هذا العلمِ على أن لا ينسب إلي حرف منه..

وتلك علامة من علامات المخلصين، أنهم لا يعملون لأنفسهم بل مرادهم رضا ربهم.."[1].

ولقد وضع العلماء مؤشرات بواسطتها يستطيع الداعي أن يعرف هل هو يدعو إلى الله أو يدعو إلى نفسه، منها ما ذكره أبو حامد الغزالي -رحمه الله- بقوله: "وإنما تعرف حقيقة ذلك الإخلاص بأمر، وهو أن الواعظ المقبول إن كان يعظ لله، لا لِطلب القبول، وقصده دعوة الخلق إلى الله، فعلامته أنه لو جلس على مكانه واعظ أحسن منه سيرة وأغزر منه علماً وأطيب منه لهجة وتضاعف قبول الناس له بالنسبة إلى قبوله، فرح به وشكر الله على إسقاط هذا الفرض عنه بغيره وبمن هو أقوم به منه"[2].

ونظير ذلك ما سطره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في ذلك حيث قال: "فمن كان من المطاعين من الأمراء والعلماء والمشايخ متبعا للرسول صلى الله عليه وسلم أمر بما أمر به ودعا إليه وأحب من دعا إلى مثل ما دعا إليه فإن الله يحب ذلك فيحب ما يحبه الله لأن قصده عبادة الله وحده وأن يكون الدين لله ومن كره أن يكون له نظير يدعو إلى ذلك فهذا يطلب أن يكون هو المطاع المعبود وله نصيب من حال فرعون وأشباهه فمن طلب أن يطاع دون الله فهذا

---

(١) المصدر السابق ص: ١٣١.

(٢) ميزان العمل، لأبي حامد الغزالي، دار المعارف - القاهرة ط:١ ١٩٦٤م ص:٢٤٢.

حال فرعون ومن طلب أن يطاع مع الله فهذا يريد من الناس أن يتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والله سبحانه أمر أن لا يعبد إلا إياه ولا يكون الدين إلا له وتكون الموالاة فيه والمعاداة فيه ولا يتوكل إلا عليه ولا يستعان إلا به، فالمتبع للرسل يأمر الناس بما أمرتهم به الرسل ليكون الدين لله لا له فإذا أمر غيره بمثل ذلك أحبه وأعانه وسر به وإذا أحسن إلى الناس فإنما يحسن إليهم ابتغاء وجه ربه الأعلى ويعلم أن الله قد من عليه بأن جعله محسنا فيرى أن عمله لله وبالله وهذا مذكور في الفاتحة: ((إياك نعبد وإياك نستعين))"[١].

فوجب على الداعية العاقل تربية نفسه ورياضتها لكبح جماحها والتحكم في اتجاهها، بأن يحسن قيادتها ليصل بها إلي ما يريد هو وليس ما تريد هي، ويسعى لتحصيل هذه الدرجة العالية من الإيمان حتى يصبح الحق هدفه الذي يسعي إليه ويتعاون مع الآخرين لتحقيقه..

فيقدم أمر الشرع على هوى النفس وإن لم تكن النفس راغبة فيه، وعلامة ذلك قبول الحق فور العلم به وإن تعارض ذلك مع ما تشتهيه النفس، فإن وفق إلى الصواب نسب الفضل إلى الله تعالى وليس إلى نفسه، كما قال ربنا -تبارك وتعالى-: ((ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِّ وَكَفَى بِاللهِّ عَلِيمًا))[٢] ، وقال تعالى: ((وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِّ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ))[٣] .

وليعلم أخي الداعية أن أسمى وأعلى صور إنكار الذات أن يجود المرء بنفسه فداءً لدعوة الله -تبارك وتعالي- فأعظم درجات الجود أن يجود الداعية بنفسه في سبيل الله – عز وجل – وكما قيل[٤]:

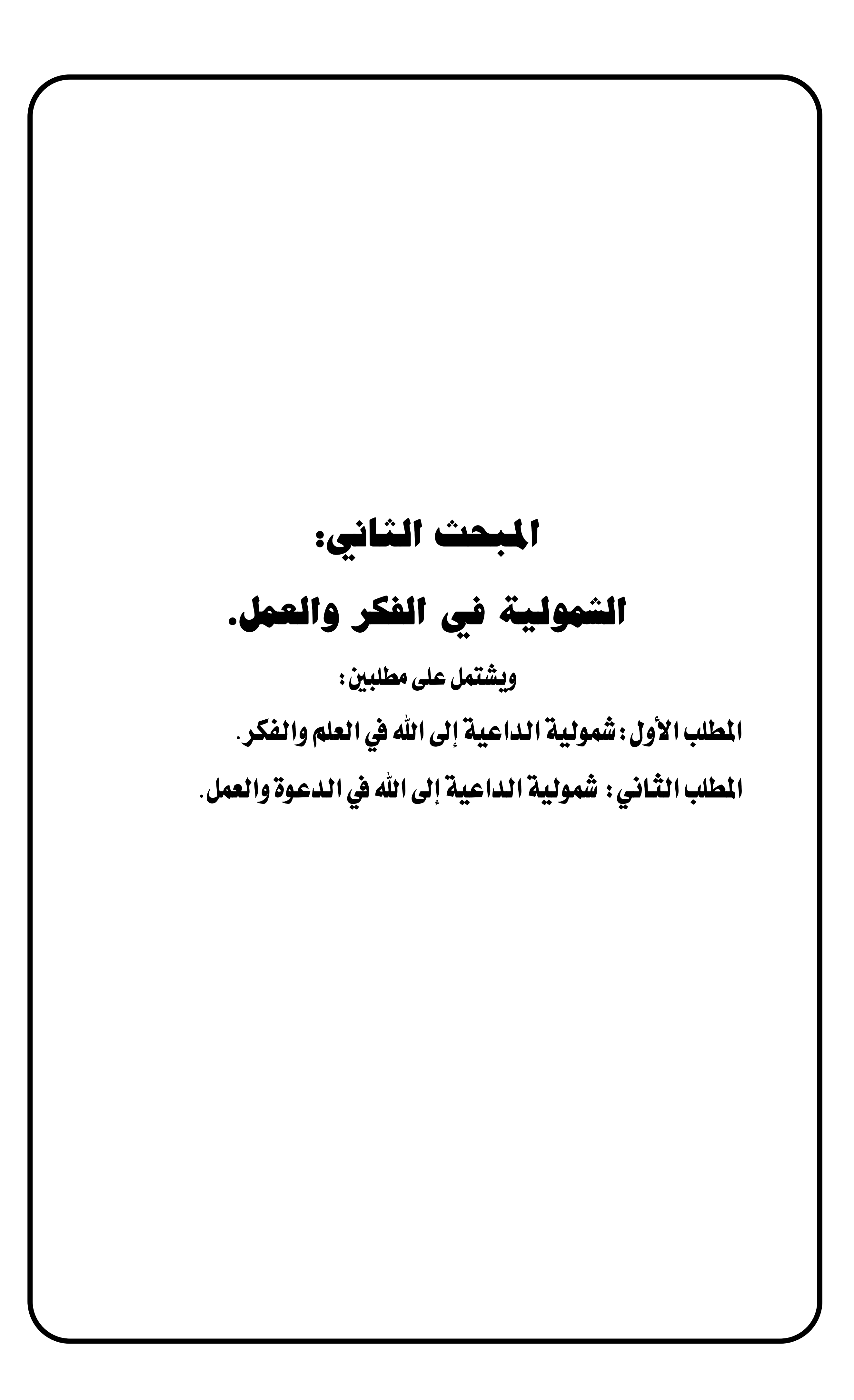
يجود بالنفس إن ضَنَّ البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع ابن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة ١٩٩٥م ٨/ ٢٢٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٠.

(٣) سورة النحل، الآية: ٥٣.

(٤) ينسب البيت لأبي الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري الملقب بـ: صريع الغواني .



المبحث الثاني:

الشمولية في الفكر والعمل.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: شمولية الداعية إلى الله في العلم والفكر.

المطلب الثاني: شمولية الداعية إلى الله في الدعوة والعمل.

● توطئة:

إن من أعظم ما يميز هذا الدين القويم أنه دين شمولي أحاط بجميع مجالات حياة الإنسان ومراحل حياته الروحية منها والمادية المثالية منها والواقعية من ولادته فطفولته فشبابه فكهولته فشيخوخته فمماته، نظم وأدار علاقته مع الفرد والمجتمع، لم يترك جانبا من جوانب الحياة إلا نظمها، عقيدة وشريعة وخلقا وتعاملا وسلوكا، والإسلام ليس مقصوراً في الشعائر التعبدية فحسب بل هو كذلك نظام سياسي واجتماعي واقتصادي أيضا كما قال تعالى: ((قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))[1]، فشمولية هذا الدين القويم لا تغيب عن كل مظاهر الحياة كما أرادها الله رب العالمين، قال عز وجل: ((مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ))[2] وقال: ((وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ))[3] ولقد اكتسبت مقاصد الدعوة إلى الله هذه الخاصية الفريدة فكان لها الأثر البالغ في حياة الداعية إلى الله المتمثل لهذه المقاصد العظيمة في دعوته ومنهج حياته..

إن الداعية إلى الله تعالى لا يستطيع القيام بهذا الدين حق القيام إلا إذا أحاطه من جميع جوانبه كما هو حال المسلم في أخذه لهذا الدين القويم كما أمره رب العزة والجلال بقوله: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))[4].

وفي المقابل حذر من ضد ذلك بقوله: ((أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ))[5]

مما يدل على أهمية أمر موضوع الشمولية في حياة الداعية إلى الله بعامة .

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٣) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٤) سورة البقرة، الآيات: ٢٠٨-٢٠٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٨٥.

المطلب الأول:
شمولية الداعية إلى الله في العلم والفكر

إن من أهم خصائص منهج دعوتنا المباركة أنها دعوة تقوم على علم وبصيرة كما وضع منهجها إمام الدعاة الأول -صلى الله عليه وسلم- بوحي من الله تعالى حيث قال تعالى لنبيه الكريم: ((قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))(١) فالعلم والبصيرة أول زاد يتزود به الداعية للقيام بدعوته المباركة كما قال تعالى: ((فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ))(٢) فيكون بصيرا عالما بمضمون ما يدعو إليه، ولا يمكن للداعية إلى الله تعالى أن يوصل فكرته ودعوته للناس ويؤثر فيهم مالم تتضح عنده الرؤية إلى ما يدعو إليه، ويحقق في نفسه التصورات التامة، ويسعى لتجلية المعالم الأساسية في فكره ومعتقداته، ويتخلص من الرواسب والمفاهيم المغلوطة عن الله تعالى في توحيده سبحانه بإلوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وأن يجعل الرب تعالى هو الحكم العدل في جميع شؤون حياته، وإليه المرجع في قضايا النزاع والاختلاف، ولابد أن يأخذ الداعية الزاد التام في دينه حتى يخالط الإيمان بشاشة قلبه ما يستطيع به أن يواجه المشاق ويتحمل الأذى حينما يتعرض له جراء حمله هذه الرسالة الربانية...

كما قال هرقل لأبي سفيان: "وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَخْطَةً لَهُ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ إِذَا خَالَطَ بَشَاشَةَ الْقُلُوبِ"(٣)، فما لم تتضح هذه الرؤية

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٢) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: ((قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله)) ٤/ ١٦٥٧رقم (٤٢٧٨)، وأخرجه مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب كتاب النبي صلى الله عليه و سلم إلى =

لدى الداعية فإن الدعوة ستسير ولكن إلى غير هدف، وستقاتل ولكن في غير ميدان !!

فلابد للداعي إلى الله إذا أن يكون على فكر واعٍ وعلمٍ وبصيرةٍ بما يدعو إليه ، ولا يدعو إلى شيء يجهله أو يشك فيه، وكذلك كيف سيواجه الأحداث المتسارعة في زماننا هذا وفي الزمن المستقبل وكيف سيكون موقفه الشرعي الصحيح تجاه مستجدات العصر إذا كان جاهلاً عرياً من سلاح العلم والبصيرة، بل كيف سيفرق بين الغث والسمين وبين الكفر والإيمان وبين السنة والبدعة وبين المعروف والمنكر؟!!

فلا بد له من يقين وبرهان يساعده على استبانة طريق الدعوة كما قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره معلقاً على قوله تعالى: ((عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)) حيث قال: "يدعو إلى الله بها على بصيرةٍ ويقينٍ وبرهان عقلي وشرعي"[(١)] .

والداعية المثالي هو الذي يحرص على شمولية الفكر والعلم، فيضرب في كل أبواب العلم النافع بسهم ويأخذ من كل شيء شيئاً، فإن جاء الحديث عن القرآن الكريم وجدته حافظاً له كله أو أكثره أو بعضه، وإن جاء الحديث عن التفسير وجدته عارفا بتفسير كلام رب العالمين عالما بكتب التفسير الموثوقة، وإن جاء الكلام في سنة خير المرسلين -عليه أفضل الصلاة والتسليم- وجدته قد أخذ بحض وافر من السنة المطهرة وهكذا في سائر العلوم الأخرى من فقه وشريعة وسيرة وسياسة وأدب ونحوها وما يستجد من العلوم المعاصرة الأخرى..

ويكون موفقاً موازناً بين القيام بأعباء الدعوة إلى الله تعالى والأخذ بالعلم الشرعي الواجب ولا يقع في مصيدة وفخ الشيطان وشراكه التي نصبها لكثير من الناس اليوم وأوهمهم أن هناك تعارضاً بين الدعوة والعلم فيسلك إما طريق الدعوة أو طريق العلم فيضل ويضل بل

= هرقل يدعوه إلى الإسلام٣/ ١٣٩٣رقم (١٧٧٣) .

(١) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ ٢/ ٥٠٩ .

العلم والدعوة هما بمثابة الجسد والروح إذا افترقا فلا فائدة البتة من أحدهما، بل قد يكون ضرره أكثر من نفعه، فكم رأينا أناساً يدعون إلى الله بغير علم ولا هدى فضلوا وأضلوا والعياذ بالله، وفي المقابل نرى من انقطع للعلم وللعلم فقط مجرداً عن العمل وقصّر في واجب الدعوة إلى الله ولم يقم بحق الميثاق الذي أخذه الله على أهل العلم فكان ضرر العلم عليه لا له وصار حجة عليه لا له!!

ولا ريب أن من أهم السمات المطلوبة في الداعية إلى الله هي البصيرة بمفهومها الواسع، والتي تشمل -غير العلم بموضوع الدعوة- معاني أخرى كثيرة من أهمها:

١- وجود الفهم الشامل لدى الداعية بأهداف دعوته ومقاصدها..

٢- وإدراكه للوسائل والأساليب الشرعية التي ينبغي أن يسلكها لتحقيق هذه الأهداف..

٣- والتنبؤ بما قد يعترضه من عوائق ومشكلات..

٤- مع ضرورة التجديد في الأساليب والوسائل الدعوية..

٥- مع التمسك بثوابت المنهج الصحيح في الدعوة..

ثم إن شمولية الداعية الفكرية والعلمية تساعده على الخروج من العمى والتيه الذي ضرب أطنابه في الأرض منذ عقود ليصبح مبصرا دربه بصيرا بما يحاك ضده ويدبر له من المكائد من أعداء الداخل والخارج، والتي تتخذ شتى الوسائل والطرق لإجهاض دعوة الإسلام الصحيحة، والتي لم يسلم منها من قبل أنبياء الله ورسله -عليهم الصلاة والسلام- وطريق دعوة نبينا -عليه الصلاة والسلام- شاهدة بذلك بما تعرضت له من محاربة وكيد سواء في مكة أو عند خروجه -صلى الله عليه وسلم- للطائف، أو ما تعرضت له في المدينة المنورة، وما غزوة الأحزاب عن هذا ببعيد مروراً بعهد الخلفاء الراشدين والتابعين المتمثلة في المؤامرة بقتل الخلفاء الثلاثة عمر وعثمان وعلي -رضوان الله عليهم- وما تتابعت عليه من هدم الخلافة الإسلامية، وانتهاء بالهجمة الشرسة اليوم على الإسلام والمسلمين وعلى ثوابته ورموزه على

وجه الخصوص من قبل أعداء الملة والتوحيد من الداخل والخارج، فإذا لم يكن الداعية ملما ومستوعبا لهذا كله فلن يشعر إلا وهو متخندق على نفسه وذاته، وقد تفلت زمام الأمور من يده وخرج عن سيطرته!!

فالأعداء لا يأتون إلى العقول الناضجة، ولا لأهل الإدراك والوعي، ومن رسخت أقدامهم في الخير، وتبصروا في الهدى، لأنهم يعلمون أن أولئك لا يروج الباطل عليهم، ولا تخدعهم تلك الدعايات الضالة، وإنما يقصدون صغار العقول وضعاف البصيرة والعلم ممن قل إدراكهم، فهؤلاء هم الصيد الذي يقصدون، وله يخططون، فإن لم يعرف الداعية حقيقة عدوه وما يخطط له، كان جزءاً من ذلك الصيد، وجسراً يعبرون به إلى ساحل عملهم الدؤوب في إغواء المسلمين والتمكن منهم!!

إن الواجب على دعاة الأمة الوعي الكامل والإدراك الشامل بمخاطر الأعداء ومخططاتهم في استهداف عقائد المسلمين، وزعزعة استقرارهم وأمنهم، وتهديد مقدراتهم، فكم من أمور غامضة تجري، وتخطيط ضخم يُرتب في الخفاء، -الله أعلم بما يحوي وعليه يأوي- فالصهيونية العالمية والنصرانية المتسلطة وعلمنة المنافقين اليوم تقود العالم إلى الكوارث والمحن، تريد بأمة محمد -صلى الله عليه وسلم- القلاقل والفتن، والأضرار والإحن، فالحذر الحذر، والحرصَ الحرصَ على هذا الدين..

إن على الدعاة اليوم أن يدركوا أن الهدف والغاية النهائية من كل تلك المحاولات هو ضرب الأمة في عمقها، والتأثير عليها في أكبر ركيزة من ركائز وجودها، وصدق الله جل وعلا إذ يقول: ((وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء))(١).

فعلى الأمة المحمدية أن تدرك مقاصد دينها، وأغراض وأهداف كلام خالقها، وأن

---

(١) سورة النساء، الآية:٨٩ .

تستبصر مبادئ وتعاليم إسلامها، وإلا فستكون -لا قدر الله- ضحية تخاذلها، وبعدها عن مشاعل هداية ربها، ومن لم يجعل الله له نورا فما له نور وصدق الله العظيم سبحانه القائل: ((وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً))[1] .

والقائل جل جلاله: ((أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ))[2]

نسال الله تعالى أن يبصرنا ويهدينا طريقه المستقيم.

* * *

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٢.

(٢) سورة تبارك ، الآية: ٢٢.

المطلب الثاني:
شمولية الداعية إلى الله في الدعوة والعمل

إن المقاصد الدعوية شاملة كاملة لكل النواحي سواء كانت دنيوية أو أخروية، وهذا مما ينبغي أن تصطبغ شخصية الداعية إلى الله به فيسخر الداعية كل أوقات دعوته فيما ينفع الناس، ويردهم إلى الصواب رداً جميلاً، وإن مقاصد الدعوة الشمولية في شتى المجالات لتؤثر في الداعية إلى الله في عمله كما أثرت في فكره كذلك، وهنا لا بد من ذكر الشمول في العمل الدعوي، فلا يظن الداعية أن العمل الدعوي مقصوراً في جانب الخطابة أو الوعظ أو نحوها فقط، بل هناك مجالات عدة لا بد من استخدام الأصلح والأنفع للدعوة منها في زمانه ومكانه، فإن أمكن أن يأخذ الداعية إلى الله من كل جانب من جوانب الدعوة بنصيب فحسن وإن لم يستطع فالأصلح والأنفع، وهذا لا يعني أن يتصدى الداعية لكل المهام الدعوية بنفسه ويمارس كل صنوف الدعوة ويشارك في كل نشاط دعوي وهو لا يحسنه، فقد يكون ضرره أكبر من نفعه بل المقصود أن يقال أن جميع مجالات الدعوة ليست حكرا على أحد وأن الداعية يحق له المشاركة والتميز فيها فإن جاء دور الخطبة فهو الخطيب المفوه وإن جاء دور الوعظ فهو الواعظ المؤثر وإن جاء دور التأليف والكتابة فهو الكاتب الفذ وإن سمع هيعة ولامس أذنه صوت "يا خيل الله اركبي" فهو المجاهد الشجاع الذي يذود عن حياض دينه وإن حان وقت العبادة فهو العابد الزاهد وهكذا يكمل شخصيته الدعوية بحيث يصلح أن تستخدمه الدعوة في أي مجالاتها شاءت، فهو خادم الدعوة لا ما نراه اليوم من بعض دعاة العصر الذين حصروا مهامهم الدعوية في مجال واحد من مجالات الدعوة فقط بحيث لو تهيأ له مجال آخر قعد وقصر- لا من جهة التخصص بل من الجهل والعجز والكسل، وهذا يتصادم مع فقه المقاصد الدعوية..

فمن يمنع الخطيب أن ينكر المنكر؟! ومن يمنع الكاتب أن يهدي نصيحة لمسلمٍ رآه

مقصراً في طريقه؟! ومن يمنع الواعظ أن يشارك في حملات الإغاثة والتي قد تكون أبلغ أثرا في الدعوة من ألف موعظة؟!

وهذا أيضا لا يعني أن لا يكون الداعية متميزا مبرزاً في جانب من جوانب الدعوة متقناً له فكل قد كان له سلف وقدوة من صالح سلف الأمة..

فإذا ذكر الحلال والحرام ذكر الصحابي الجليل معاذ بن جبل –رضي الله عنه– ..

وإذا ذكر العلم والحفظ ذكر عبد الله بن عباس وأبو هريرة –رضي الله عنهما– ..

وإذا ذكر القتال والجهاد ذكر سيف الله المسلول خالد بن الوليد –رضي الله عنه– ..

وإذا ذكرت الدعوة بالشعر ذكر حسان بن ثابت –رضي الله عنه وهكذا، مع عدم إهمالهم لبقية الجوانب الدعوية الأخرى فهم السابقون الأولون..

وأما إذا ذكرت جمع المجالات الدعوية فيذكر الصديق أبو بكر رضي الله عنه كما جاء مصرحا بفضله وأجر عمله بما يرضي ربه تعالى كما في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة"، فقال أبو بكر –رضي الله عنه–: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دُعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال:"نعم، وأرجو أن تكون منهم""[1].

فالعبرة بما يريد الله ويرضى لا بما يناسب الهوى والنفس من العبادات، فأفضل العبادة العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته وهؤلاء هم الذين يسميهم العلامة ابن القيم –رحمه الله– أصحاب التعبد المطلق كما في كتابه الماتع "مدارج

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الصوم، باب: الريان للصائمين ٢/ ٦٧١ رقم (١٧٩٨)، وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم ٢/ ٧١١ رقم (١٠٢٧).

السالكين" حيث قال: " فأفضل العبادات في وقت الجهاد الجهاد وإن آل إلى ترك الأوراد من صلاة الليل وصيام النهار بل ومن ترك إتمام صلاة الفرض كما في حالة الأمن...

والأفضل في وقت حضور الضيف مثلا القيام بحقه والاشتغال به عن الورد المستحب وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل...

والأفضل في أوقات السحر الاشتغال بالصلاة والقرآن والدعاء والذكر والاستغفار...

والأفضل في وقت استرشاد الطالب وتعليم الجاهل الإقبال على تعليمه والاشتغال به...

والأفضل في أوقات الأذان ترك ما هو فيه من ورده والاشتغال بإجابة المؤذن والأفضل في أوقات الصلوات الخمس الجد والنصح في إيقاعها على أكمل الوجوه والمبادرة إليها في أول الوقت والخروج إلى الجامع وإن بعد كان أفضل...

والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاه أو البدن أو المال الاشتغال بمساعدته وإغاثة لهفته وإيثار ذلك على أورادك وخلوتك....

والأفضل في وقت قراءة القرآن جمعية القلب والهمة على تدبره وتفهمه حتى كأن الله تعالى يخاطبك به فتجمع قلبك على فهمه وتدبره والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك...

والأفضل في وقت الوقوف بعرفة الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر دون الصوم المضعف عن ذلك....

والأفضل في أيام عشر ذي الحجة الإكثار من التعبد لا سيما التكبير والتهليل والتحميد فهو أفضل من الجهاد غير المتعين....

والأفضل في العشر الأخير من رمضان لزوم المسجد فيه والخلوة والاعتكاف دون التصدي لمخالطة الناس والاشتغال بهم حتى إنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم وإقرائهم القرآن عند كثير من العلماء....

والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته عيادته وحضور جنازته وتشييعه وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيتك....

والأفضل في وقت نزول النوازل وأذاة الناس لك أداء واجب الصبر مع خلطتك بهم دون الهرب منهم فإن المؤمن الذي يخالط الناس ليصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يؤذونه....

والأفضل خلطتهم في الخير فهي خير من اعتزالهم فيه واعتزالهم في الشر فهو أفضل من خلطتهم فيه فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله أو قلله فخلطتهم حينئذ أفضل من اعتزالهم فالأفضل في كل وقت وحال إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه..، وهؤلاء هم أهل **التعبد المطلق** والأصناف قبلهم أهل **التعبد المقيد** فمتى خرج أحدهم عن النوع الذي تعلق به من العبادة وفارقه يرى نفسه كأنه قد نقص وترك عبادته فهو يعبد الله على وجه واحد وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى أين كانت، فمدار تعبده عليها فهو لا يزال متنقلا في منازل العبودية كلما رفعت له منزلة عمل على سيره إليها واشتغل بها حتى تلوح له منزلة أخرى فهذا دأبه في السير حتى ينتهي سيره فإن رأيت العلماء رأيته معهم وإن رأيت العباد رأيته معهم وإن رأيت المجاهدين رأيته معهم وإن رأيت الذاكرين رأيته معهم وإن رأيت المتصدقين المحسنين رأيته معهم وإن رأيت أرباب الجمعية وعكوف القلب على الله رأيته معهم فهذا هو العبد المطلق الذي لم تملكه الرسوم ولم تقيده القيود ولم يكن عمله على مراد نفسه وما فيه لذتها وراحتها من العبادات بل هو على مراد ربه ولو كانت راحة نفسه ولذتها في سواه فهذا هو المتحقق بـ "إياك نعبد وإياك نستعين" حقا القائم بهما صدقا ملبسه ما تهيأ ومأكله ما تيسر واشتغاله بما أمر الله به في كل وقت بوقته ومجلسه حيث انتهى به المكان ووجده خاليا لا تملكه إشارة ولا يتعبده قيد ولا يستولي عليه رسم حر مجرد دائر مع الأمر حيث دار يدين بدين الآمر أني توجهت ركائبه ويدور معه حيث استقلت مضاربه يأنس به كل محق ويستوحش منه كل

مبطل كالغيث حيث وقع نفع وكالنخلة لا يسقط ورقها وكلها منفعة حتى شوكها وهو موضع الغلظة منه على المخالفين لأمر الله والغضب إذا انتهكت محارم الله فهو لله وبالله ومع الله قد صحب الله بلا خلق وصحب الناس بلا نفس بل إذا كان مع الله عزل الخلائق عن البين وتخلى عنهم وإذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها فواها له ما أغربه بين الناس وما أشد وحشته منهم وما أعظم أنسه بالله وفرحه به وطمأنينته وسكونه إليه والله المستعان وعيه التكلان.."[1] أ.هـ

نعم هكذا يكون العبد مع سيده يدور في فلك مراد سيده وما يرضيه لا ما يريده العبد ويستهويه..

● **ومن فقه المقاصد نقول من باب التوازن:**

أنه لا مانع من أن يتخصص الداعية في لون دعوي يجيده ويتقنه على حسب طاقته وبقدر إمكانياته مع عدم إهماله لبقية المجالات الدعويةٍ المتعددةٍ والمتنوعة ما استطاع إلى ذلك سبيلا، إلا أن هذا لا يستطيعه الكثير من الدعاة إلا من أكرمه الله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء...

بل قد يكون التخصص الدعوي محل اعتبارٍ ومكان احتياج، ولربما ضرورةً دعويةً تقتضيها مصلحة الإسلام والدعوة إليه وبالخصوص إذا كان هذا التخصص الدعوي أجدى وأنفع لدعوة الإسلام فلا مانع من التخصص بل قد يكون في بعض الأحوال ضرورةً وقد يكون واجبا، وهو جزءٌ مطلوبٌ في حق الأمة الإسلامية والقيام بواجباتها، فالتفقه والتفقيه يحتاج إلى متخصصين، وتأهيل العاملين في كل مجالٍ يحتاج إلى متخصصين، وتحديد الوسائل والأساليب وتجديدها تحتاج إلى متخصصين، والإقناع يحتاج إلى متخصصين، بل وأصناف

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت ط: ٢، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م ١/ ٨٩.

المدعوين يحتاجون إلى متخصصين قادرين على التعامل مع كل صنفٍ ومع كل بيئةٍ ومع كل وضعٍ وظرف، وهكذا كما قال تعالى: ((وَلْتَكُن مِّنكُمْ **أُمَّةٌ** يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))[1] .

وكما قال: ((وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ **طَآئِفَةٌ** لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ))[2].

وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم ينتقي لكل مهمةٍ دعويةٍ من أصحابه من يناسبها من ذوي الاختصاص سواءً على مستوى الفكر أو التعليم أو على مستوى المدعوين وبيئاتهم أو على مستوى المهامِّ والمسؤوليات، وهذا معروف في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وفي سائر العصور الإسلامية من عهد الخلفاء الراشدين إلى عصرنا هذا أن التخصص الدعويَّ محل اعتبار، وهو محل عنايةٍ واهتمامٍ عند علماء الأمة وقادتها في جميع العصور، مع ضرورة محافظتها والتزامها بالفهم الشمولي الصحيح للدعوة الإسلامية، فتتحقق بذلك شمولية الدعوة للأمة وتتكامل جهودها وتتضافر ويضاف بعضها إلى بعض حتى تكون المحصلة هي: مجموع هذه الجهود بمجموع أفراد المجتمع عبر تخصص الأفراد المتنوعة والمتكاملة ويكون جسد هذه الدعوة المباركة كالبنيان المتين المرصوص والله تعالى أحكم وأعلم.

* * *

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

المبحث الثالث:

الواقعية في الفكر والعمل.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة الواقعية.

المطلب الثاني: حاجة الدعاة إلى الله لواقعية الفكر والتطبيق.

المطلب الثالث: خطر الإفراط في مفهوم الواقعية.

المطلب الأول:

حقيقة الواقعية.

إن من نعم الله تعالى على الإنسان الضعيف أن خلقه في أحسن تقويم كما قال تعالى: ((لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ))(١) وبين له ودله وهداه بفضله ومنّه وكرمه هداية إرشاد إلى صراطه المستقيم وأوضحه له أتم الإيضاح كما قال تعالى: ((هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا))(٢) وقال تعالى: ((وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ))(٣).

وهدى من يشاء برحمته هداية توفيق ورضي له الإسلام دينا وشريعة ومنهجا، ذلك الدين القويم الذي يحرص على أن يبلغ بالإنسان الكمال في فكره وقوله وعمله في حدود المقدور والممكن له فلا تُكلف نفسٌ إلا وسعها كما قال تعالى: ((لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ))(٤)، ورغب الإسلام في الحد الأعلى والأرفع في كل ما من شأنه أن يقرب العبد لربه وهذا المستوى العالي يشمل فعل المستحبات والمندوبات وترك المكروهات، وحث ورغب في انتصار المرء على نفسه الأمارة بالسوء وعلى وساوس الشيطان ليبلغ في السمو والرفعة الدرجة العظمى وهو ما يسمى في قاموس اليوم بـ "المثالية" لكن نقصد المثالية الحقيقية لا "مثالية" الغرب الكافر !!

---

(١) سورة التين، الآية: ٤.

(٢) سورة الإنسان، الآيات: ١-٣.

(٣) سورة البلد، الآية: ١٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

فالتوحيد والإخلاص في العمل والأمانة والخلق الفاضل والانتصار على شهوات النفس وغيرها من الصفات الحميدة هي: المثالية الحقيقية !!

فالمثالية الحقيقية تأتي بالتزام العبد منهج الله -عز وجل- في اعتقاده وفي قوله وفي عمله وفي سائر شؤون حياته كلها، وبقدر هذا الالتزام يكون قربه أو بعده من المثالية!!

وهذه المثالية المنشودة لا يمكن أن تكون واقعا حقيقياً إلا بالنظر إلى طبيعة النفس ومكوناتها وقدراتها وضعفها وقوتها وطاقتها، ومن ثم راعى الإسلام الموازنة بين الجسد والروح، والاعتدال بين احتياجاتها في حدود وسع النفس وطاقتها هو المنهج الحق وهو ما يعرف اليوم باسم "المثالية الواقعية" ونقصد بالواقعية هنا:

مراعاة فطرة الإنسان وحدود قدرته وطاقته الممكنة فإذا كان مشروعا للمرء الأخذ بحظ وافر من العبادة -التي هي غذاء الروح وحياتها والتي تسمو بالنفس البشرية وتعلو بها لتقرب من خالقها ومعبودها- فإنها لا تغفل حق الجسد وملذاته في حدود ما أباح الله وأحله كما قرر النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- بقوله: "لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني"[(١)] ، وكما قال -صلى الله عليه وسلم- لعثمان بن مظعون -رضي الله عنه-: "يا عثمان أرغبت عن سنتي قال لا والله يا رسول الله ولكن سنتك أطلب قال فإني أنام وأصلي وأصوم وأفطر وأنكح النساء فاتق الله يا عثمان فإن لأهلك عليك حقا وإن لضيفك عليك حقا وإن لنفسك عليك حقا فصم وأفطر وصل ونم"[(٢)] ، دين يسمو بالإنسان ويعلو به برحمة ويسر ورفع للحرج كما قال تعالى: ((..يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح ٥/ ١٩٤٩ رقم (٤٧٧٦)، وأخرجه مسلم في كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم ٢/ ١٠٢٠ رقم (١٤٠١).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: مَا يُؤْمَرُ بِهِ مِنَ الْقَصْدِ فِي الصَّلاَةِ ١/ ٥١٩ رقم (١٣٧١).

يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ..))[1].

وقال تعالى: ((..مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ))[2]، وقال: ((وَجَاهِدُوا فِي اللهِّ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِّ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ))[3] .

هذه هي الواقعية الحقيقية لا واقعية الملاحدة الماديين الذين يحاولون اختزال الإدراك الواقعي للحقائق في المدركات والمحسوسات المادية فقط!!

وفي الحقيقة لو أن هذه المصطلحات المحدثة لم يتداولها الناس اليوم ولم يستخدموها لما عرجت عليها في بحثي هذا لأن في شريعتنا الغراء ولغتنا الغناء ما فيه غنى عن مثل هذه المصطلحات المتلقفة من قاموس الغرب الكافر فالواقعية عندهم هي: "مذهب أدبي فكري مادي ملحد، يصور الحياة كمادة ويرفض عالم الغيب ولا يؤمن بالله، ويرى أن الإنسان عبارة عن مجموعة من الغرائز الحيوانية، ويتخذ كل ذلك أساساً لأفكاره التي تقوم على الاهتمام بنقد المجتمع وبحث مشكلاته مع التركيز على جوانب الشر والجريمة، والميل إلى النزعات التشاؤمية وجعل مهمة النقد مركزة في الكشف عن حقيقة الطبيعة كطبيعة بلا روح أو قيم، ومن هنا كانت آثار هذا المذهب الأدبي المدمرة على الشباب المسلم إذا لم يضع هذه الأمور في حسبانه وهو يتعامل مع الإفرازات الأدبية لهذا المذهب"[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٣) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٣ الرياض ١٤١٨هـ ج ٢ص٨٨٤

وفي المقابل نجد الواقعية الغربية والتي تمثل حركة فلسفية ضد ما يسمونه بـ "المثالية" والتي هي أيضا: " مذهب فلسفي، يرى أن العقل هو أساس المعرفة وأنه هو الحقيقة النهائية، فالمادة مظهر تتبدّى فيه الروح، والأرواح هي الفاعل وهي التي تملك إرادة"[1].

ولكننا في بحوثنا الدعوية الواجب علينا عند استخدام مثل هذه العبارات التنبه لما تدل عليه من معاني عند القوم ومراعاة واعتبار مدلولاتها اللغوية عندنا لكي لا يلتبس علينا الحق فنضل والله الهادي إلى سواء السبيل.

* * *

---

(١) المصدر السابق ج ٢ص٨٢٥.

المطلب الثاني:
حاجة الدعاة إلى الله لواقعية الفكر والتطبيق.

إن من أهم سمات الداعية إلى الله تعالى المستمدة من خصائص دعوة الإسلام لتحصيل أفضل النتائج لتحقيق مقاصد دعوته أن يكون واقعيا في فكره وعمله، أي: لا يعيش في أوهام ولا أحلام بعيدة عن الواقع، بل يكون فكره واقعيا يبنيه على أسس شرعية، مستمدة من الكتاب والسنة، فلا يغالى في مثالية الإنسان فيجعله كالملائكة لا يخطئ ولا يعصي. فُيحمّله من الشرائع والآداب والأخلاق ما لا يطيقه ولا يستطيعه، ولا يطلق له العنان في السلوك والأخلاق ويسمح له أن ينطلق مع هذه الشهوات إلى آخر مدى حتى تستعبده، وتخرج به عن إنسانيته فيستمتع بشهواته وملذاته دون قيد أو شرط فيكون كالأنعام بل أضل سبيلا..

بل يوازن دائما وأبدا بين المثالية المطلوبة والواقعية الممكنة فلا يهمل الواقع ولا يقصر عن المثالية الحقة، يستحضر في ذهنه عند مخاطبة المدعوين أو السعي في تحقيق أي هدف من أهداف دعوته أن الناس بشر وليسوا ملائكة منزهين أو أطهارا معصومين،، بل لقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- عن نفسه: "إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ. وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي نَحْوَ مَا أَسْمَعُ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلاَ يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ."(١) إذا كان هذا في حق النبي المعصوم -صلى الله عليه وسلم- فكيف بمن دونه من الناس؟!!

بل إن طبيعة الناس في جميع المجتمعات بدءاً من المجتمعات التي عاصرها الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- إلى يومنا هذا بطبيعتها لا تخلوا من الوقوع في الخطأ بل والوقوع في المعاصي كبيرها وصغيرها بل قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "والذي نفسي

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأحكام، باب: موعظة الإمام للخصوم ٦/ ٢٦٢٢ رقم (٦٧٤٨) .

بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم و لجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم"[(١)].

بل قد وجد في خير القرون من وقعت منه جريمة الزنا وجريمة السرقة وجريمة التخلف عن الجهاد في سبيل الله العيني بغير عذر وغيرها من المخالفات والأخطاء التي هي من طبيعة البشر بل إن الله تعالى وعد عباده الصالحين بجنة عرضها السموات والأرض ولم يشترط عليهم في المعصية والخطأ إلا عدم الإصرار عليها كما قال تعالى: ((وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ))[(٢)] .

وفي قوله تعالى: ((وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ))، أن إتيان الفاحشة أو ظلم النفس أمر وارد ومحتمل وليس أمراً محالاً !!

إن التصور الخاطئ لدى بعض ممن يمارسون الدعوة إلى الله اليوم بأن المجتمع الإسلامي يجب أن يتكون من أناس حفتهم العصمة لم يعلم لهم ذنب ولا خطأ تصور خاطئ كفى به داعيا لليأس والتخاذل !!، فإذا سيطر على فكره وعمله هذا التصور فهو إلى الفشل أقرب إليه من النجاح، وإلى الخذلان أقرب إليه من التوفيق ومن قال: "هلك الناس فهو أهلكهم"[(٣)] كما نطق به الحديث الصحيح، فالأمر يحتاج منا إلي جهد دعوي كبير ، و تربية طويلة المدى تتربى عليها الأجيال وتختلط تعاليم الإسلام بأرواحهم قبل أبدانهم، ولقد مكث النبي -صلي الله

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: التوبة، باب: سقوط الذنوب بالاستغفار توبة ٤/ ٢١٠٦ رقم (٢٧٤٩) .

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٣-١٣٦.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: النهي من قول هلك الناس ٤/ ٢٠٢٤ رقم (٢٦٢٣) .

عليه وسلم- ما يقارب الثلاث عشرة سنة في مكة يربي أصحابه على التوحيد ويغذيهم بالصبر على التربية على الدين القويم وعلى تحمل أعباء حمله وتبليغه للناس ومن ثم جاء الإذن بالهجرة وتحمل أعباء التكاليف، فمن ظن أن المجتمع الذي ظهرت وفشت فيه المعاصي والمنكرات سوف يتغير في يوم وليلة فقد أبعد النجعة !!

إن من خصائص الإسلام العظيمة التي لا بد للداعية إلى الله تعالى الاتصاف بها في منهجه ودعوته مراعاة نفوس المدعوين وواقعية ما يطرحه لهم من خلال سياسة التدرج كما هو حال الإسلام في حال نزول التشريع عندما راعى مع المدعوين سنة التدرج فيما يشرعه لهم، إيجاباً أو تحريماً، فنجده حين فرض الفرائض كالصلاة والصيام والزكاة، فرضها على مراحل ودرجات، والمحرمات كذلك لم يأت تحريمها دفعة واحدة ، والتدرج يأتي بعد ترتيب الأوليّات والفراغ من المهم منها، والانتقال إلى ما هو دونه في الأهمية، ويتم ملاحظة ذلك في ما تبنته الدعوة الأولى في مرحلتها المكية من الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك، ثم انتقلت الدعوة إلى المدينة وتدرجت في تشريع الأحكام، ونقل الناس من المجتمع الجاهلي إلى المجتمع الإسلامي، وإسقاط هذا التدرج والترتيب على الواقع المعاصر أمر مهم فهناك مجتمعات لديها مشاكل عقدية، وأخرى لديها مشاكل أخلاقية وهكذا.. فمن غير الحكمة الحديث عن الآداب والأخلاق في مجتمع تكون لديه العقيدة خاوية !!

وبعض الدعاة -هداهم الله- يريدون من المدعوين من أول استجابة لهم أن يكونوا كاملي الإيمان في كل باب حتى يشق عليه الأمر، بل أحيانا لما يرى هذا المدعو كل التفاصيل من أول وهلة قد ينحرف ويخسر الداعية هذا الشخص بسبب عدم فقهه للنصوص وسيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم !!

فابدأ أيها الداعية بالأهم فالمهم، بالأنفع ثم النافع، مع مراعاة أحوال المدعوين والتدرج معهم ، فلا يعقل أن تدعو غير المسلم إلى الصلاة قبل أن تدعوه إلى الدخول في الإسلام وتوحيد الله عز وجل ونبذ ما عليه من الشرك !!

وفقهاء الإسلام باستقرائهم عرفوا أن ترتيب الأوليّات سنة تشريعية ، فبنوا عليها قواعدهم الفقهية واحتكموا إليها ، فأحرى بأهل الدعوة إلى الله اعتبار ذلك، فالشريعة تقدم الفرض على النافلة، وتقدم النص على الاجتهاد، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، والمصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة، ويدرأ الضرر العام قبل الضرر الخاص إلى غير ذلك من مقررات وقواعد الشريعة في ترتيب الأوليّات والموفق من وفقه الله.

* * *

المطلب الثالث:

خطر الإفراط في مفهوم الواقعية.

إن المطلوب من الداعية إلى الله هو: تغيير فساد الواقع وتسييره إلى ما يحب ربنا -عز وجل- ويرضاه مع مراعاة الموضوعية في الفكر والدعوة والطرح في سبيل تغيير هذا الواقع، لكن من الخطأ المستبين هو وقوع بعض الدعاة إلى الله تعالى في فخ: "الرضا بالواقع ومسايرته" بل هي: "الانهزامية أمام ضغط الواقع" حتى يصبح الواقع هو الأصل والحَكَم، والدعوة هي الفرع والمحكوم عليه !!

وإذا نادى بعض من وقع في هذا الفخ: بأن يكون الداعية واقعياً في دعوته، فإنه يقصد: أن يقبل الداعية بالواقع كما هو!!

فيتخلى عن مبادئه ويحرّف فيها ويبدلها كي لا تصطدم مع واقعه المزعوم، فيتخلى شيئاً فشيئاً عن مبادئه حتى ينتهي به المطاف إلى الانحراف الكامل في نهاية الطريق، لأن الاستعداد للتنازل يتزايد كلما رجع خطوة إلى الوراء، وفرق بين المداراة والمداهنة !!

إن مثل هذا السلوك يؤدي إلى ما يسمى بـ تطوير الدين أو بمعنى آخر: عصرنة الدين على طريقة اليهود والنصارى، وتسويغ الواقع المعاصر لإدخال كثير من القيم الغربية الكافرة في دائرة الإسلام !!

فيعطلون كثيرا من الأحكام الشرعية المحكَمة بحجة أنها كانت لحوادث تاريخية لا تصلح لعصرنا الحاضر، ويفتون ببعض الأقوال الشاذة والمهجورة، فمثل هؤلاء الدعاة -هداهم الله- المتخلين عن مبادئهم بحجة ضغط الواقع ومسايرة العصر تتولد فيهم نفساً دنية الهمة، ضعيفة العزيمة، تستسلم للأمر الواقع، وذلك بما يظهر عليهم من فقدان الهوية، وذوبان الشخصية الإسلامية، تساعدهم في ذلك وسائل الإعلام العلمانية المختلفة والتي تلعب دورا أساسيا في تكريس هذه الواقعية المشوهة من خلال البرامج المختلفة التي تنشر الديمقراطية

وتصورها أنها واقعا محتوما لا بد منه وتوجه الرأي العام خاصة في العالم الإسلامي نحو التنازل والقبول بالحلول الواقعية المخدرة بصرف الأنظار عن الحل الجذري الذي يفرضه الإسلام في كل قضية من قضايا الأمة الإسلامية، وتيئس الأمة وتشعرها بأنها غير قادرة على التغيير وعليها أن تستسلم وتركز على طرح القضايا والحلول التي من شأنها تطوع الأحكام الشرعية ولي أعناق النصوص بما يتفق مع متطلبات العصر الحديث مع التأكيد عن التنازل عن كثير من الثوابت التي قررها الشارع الحكيم !!

لذا وجب التأكيد على الدعاة إلى الله باعتماد النظرة الوسطية المعتدلة لمعنى المثالية المنشودة في الفكر والطرح والواقعية الموضوعية كذلك في الفكر والطرح فلا إفراط ولا تفريط، وهذه سنة الله في الحياة التي من شأنها أن تسير الأمور باعتدال واتزان لتحقيق أفضل النتائج والأهداف المرجوة ، والحمد لله الذي جعل لكل شيء قدراً وهو العليم الحكيم.

* * *

المبحث الرابع:

التفاعل والتكامل المستمر بين الدعاة.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حتمية بث روح التعاون بين الدعاة إلى الله.

المطلب الثاني: التخصص ودوره في تكامل الدعاة إلى الله.

المطلب الثالث: التكامل بين الدعاة ودوره في توازن نظرة بعضهم لبعض.

المطلب الأول:

حتمية بث روح التعاون بين الدعاة إلى الله.

إن من الثمار الإيجابية الكبيرة التي يجنيها الداعية إلى الله من فقهه لمقاصد دعوة الإسلام المباركة تفاعله وتعاونه المستمر مع إخوانه الدعاة لتحقيق جميع أهداف دعوة الإسلام الخالدة، ليكتمل بناء هذه الدعوة ويتماسك في قوة وثبات، فالدعاة على مختلف تخصصاتهم المتنوعة كالبنيان المرصوص وكالصف الواحد الذي يشد بعضه بعضا ويكمل بعضه بعضا، فالداعية بمفرده معرض للنقص والخطأ والفتور، قليل بنفسه ولكنه مع بقية إخوانه الدعاة يشكلون كيان الأمة المتكامل، فيكمل بعضهم بعضا ويشد بعضهم أزر بعض، لا يمكن أن يتصور أن الداعية بمفرده يقوم بمهام ومتطلبات الدعوة كلها، فالدعوة تحتاج مَن يبلغ دين الله –عز وجل– إلى الناس بلاغا مبينا لا لبس فيه ولا تخليط، والدعوة تحتاج مَن يعلم الناس العلم ويربيهم التربية الشرعية الصحيحة، والدعوة تحتاج إلى من يقوم بأعمال الجهاد في سبيل الله لحماية هذه الدعوة وكسر شوكة الكفر لتكون كلمة الله هي العليا، والدعوة تحتاج من يقوم على سد حوائج المسلمين وإغاثتهم أينما كانوا، والدعوة تحتاج إلى من يسوس الناس بشرع الله –عز وجل– المنزل من عنده –سبحانه–، والدعوة تحتاج إلى من يقوم بمصالح الناس عامة وهكذا، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا بتعاون الدعاة إلى الله جميعا كما أرشد الله سبحانه وتعالى عباده من قبل وحثهم على التعاون على البر والتقوى فقال سبحانه: ((وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ))(١).

قال الإمام ابن جرير الطبري –رحمه الله تعالى– في تفسير هذه الآية الكريمة: "وليعن بعضكم، أيها المؤمنون، بعضًا، على البر وهو العمل بما أمر الله بالعمل به "والتقوى"، هو اتقاء

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

ما أمر الله باتقائه واجتنابه من معاصيه"[١] ..

وإذا كان هذا في باب التعاون بين المسلمين عامةً، فهو في باب الدعوة إلى الله وبين الدعاة أنفسهم من باب أولى لإعلاء كلمة الله تعالى ونصرة منهج الحق القويم..

ولعل من أخطر ما تعانيه بيئات العمل الدعوي في وقتنا الحاضر غياب الروح الجماعية، وعدم اهتمام بعض الدعاة بالقضايا المشتركة بين المسلمين والمشروع الأكبر الذي هو الدين نفسه، مما أدى إلى انعكاس هذا الواقع على مسيرة العمل الدعوي الصحيح حتى صار من عللنا الدعوية المعاصرة ممارسة العمل الدعوي بطريقة تفكير قاصرة ومنها التفكير في شؤون الفرد ومصلحته على حساب التفكير والعمل بشؤون الجماعة ومصلحة الأمة جمعاء !!

إن من المتحتم على جميع دعاة المسلمين اليوم في ظل هذه الظروف العصيبة التي تمر بها الأمة الإسلامية في مواجهة ما يسمى بالعولمة الغربية الكافرة (الأمركة) أن يتم بين الجميع قدر كبير من التعاون والتنسيق والتشاور فيما بينهم، وكما قيل[٢]:

رأي الجماعة لا تشقى البلاد به   رغم الخلاف، ورأي الفرد يشقيها

ومن ثم العمل على بث الروح الجماعية بين الدعاة إلى الله والسعي لبلورة وتحقيق ما يسمى في لغة العصر اليوم بـ "العمل المؤسسي" الذي صار أسلوب القوة والتحدي في هذا الزمان، والذي هو أدعى للتكامل الحقيقي بين الدعاة وأدعى لضمان استمرار العمل الدعوي بإذن الله تعالى، فعمل الفرد قد يموت بموته أو يتوقف بتوقفه بأي سبب من الأسباب، وعمل الجماعة لا انتهاء له بإذن الله تعالى، بل يستمر حتى يأتي أمر الله، وصدق الله العظيم عندما قال:

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٥هـ ٩/ ٤٩٠ .

(٢) ينسب هذا البيت للشاعر المصري الوطني حافظ إبراهيم -شاعر النيل- في قصيدته الموسومة بالعمرية والتي يمدح فيها الخليفة الراشد الفاروق عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- والتي مطلعها:

حسب القوافي و حسبي حين ألقيها   أني إلى ساحة الفاروق أهديها

((وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ))[1].

وقال -عز وجل-: ((وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ))[2].

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد"[3]، فهذه النصوص الكريمة وأمثالها تحرض الداعية الصادق وتحثه إلى تحقيق مبدأ التعاون والجماعية، لمواجهة تحديات الواقع بما يناسبها، دون التنازل عن المبادئ، وليقف مع إخوانه الدعاة في القضايا المصيرية، والهموم المشتركة، صفا واحدا كأنهم بنيان مرصوص، كما قال تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ))[4].

* * *

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٣) أخرجه الترمذي في أبواب الفتن، باب: ما جاء في لزوم الجماعة ١/ ٤٨٢ رقم (٦٩٤).

(٤) سورة الصف، الآية: ٤.

المطلب الثاني:
التخصص ودوره في تكامل الدعاة إلى الله

التخصص الدعوي ليس بجديد على دعوة الإسلام، بل هو جزءٌ لا يتجزأ من مشروع الدعوة الكبير، فكما أسلفنا أن الداعية بمفرده -في غالب الأمر- لا يمكن أن يقوم بمهام الدعوة لوحده كلها، مما يجعل التخصص في مجالات الدعوة ضرورة ملحة وخاصة في عصرنا الحاضر المعقّد !!

والمتأمل للقرآن الكريم يجد أن الله -عز وجل- أرشد عباده المؤمنين لمثل هذا ما دام أنه يسهم ويساعد في تحقيق مقاصد الدعوة إلى الله، كما قال تعالى: ((وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ))[1] فمقصد إعلاء كلمة الله في الأرض عن طريق الجهاد في سبيل الله يحتاج إلى متخصصين يتقنون فنون الحرب والقتال، ومقصد القيام بمهمة البلاغ المبين وإقامة الحجة على الناس يحتاج إلى متخصصين عن طريق التفقه في الدين والقيام بمهمة دعوة الناس وإنذارهم، بل وتأهيل العاملين في كل مجالٍ من مجالات تحقيق أي مقصد من مقاصد الدعوة إلى الله يحتاج إلى متخصصين، وهكذا...

ومن تأمل سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- وجد أن التخصص الدعويَّ محل اعتبار، حيث كان النبي -صلى الله عليه وسلم- ينتقي لكل مهمةٍ دعويةٍ من أصحابه -رضوان الله عليهم- من يناسبها من ذوي الاختصاص سواءً على مستوى الجهاد في سبيل الله أو التعلم أو التعليم أو على مستوى المدعوين وبيئاتهم المختلفة، على سبيل المثال لما جاء الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري -رضي الله عنه- للنبي -صلى الله عليه وسلم- يسأله أن يستعمله كما في

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

الصحيح قال له -صلى الله عليه وسلم-: "يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها"(١).

وفي رواية: "يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين، ولا تولين مال يتيم"(٢) !! والمتأمل في هذا المثال يجد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يعرف قدرات أصحابه وما يتميز كل واحد منهم به، فقد يكون أحدهم من القوة بمكان في مقام ما، لكنه في بعض مقامات الدعوة الأخرى له من الضعف نصيب !!

وهنا كلام نفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- إذ يقول: "فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها، فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة، قدم أنفعهما لتلك الولاية وأقلهما ضررا فيها، فيقدم في إمارة الحروب الرجل القوى الشجاع، وان كان فيه فجور على الرجل الضعيف العاجز، وإن كان أمينا، كما سئل الإمام أحمد عن: الرجلين يكونان أميرين في الغزو واحدهما قوى فاجر والآخر صالح ضعيف مع أيهما يغزى فقال: أما الفاجر القوى فقوته للمسلمين وفجوره على نفسه، وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين، فيغزى مع القوى الفاجر.. !!

ولهذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يستعمل خالد بن الوليد -رضي الله عنه- على الحرب منذ أسلم... مع أنه أحيانا قد كان يعمل ما ينكره النبي -صلى الله عليه وسلم-، حتى إنه مرة قام ثم رفع يديه إلى السماء وقال: "اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد"، لما أرسله إلى بنى جذيمة فقتلهم وأخذ أموالهم بنوع شبهة ولم يكن يجوز ذلك وأنكره عليه بعض من معه من الصحابة حتى وداهم النبي -صلى الله عليه وسلم- وضمن أموالهم ومع هذا فما زال يقدمه في إمارة الحرب لأنه كان أصلح في هذا الباب من غيره وفعل ما فعل بنوع تأويل، وكان أبو ذر -

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: كراهة الإمارة بغير ضرورة ٣/ ١٤٥٧رقم (١٨٢٥).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: كراهة الإمارة بغير ضرورة ٣/ ١٤٥٧رقم (١٨٢٦).

رضى الله عنه- أصلح منه في الأمانة والصدق، ومع هذا فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم- : "يا أبا ذر إني أراك ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم"[(١)] رواه مسلم.. نهى أبا ذر عن الإمارة والولاية لأنه رآه ضعيفا مع انه قد روى: "ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبى ذر" ، وهكذا أبو بكر خليفة رسول الله -رضى الله عنه- ما زال يستعمل خالدا في حرب أهل الردة وفى فتوح العراق والشام، وبدت منه هفوات كان له فيها تأويل وقد ذكر له عنه أنه كان له فيها هوى فلم يعزله من أجلها بل عاتبه عليها لرجحان المصلحة على المفسدة في بقائه وأن غيره لم يكن يقوم مقامه.."[(٢)] أ.هـ

إن التخصص في الأعمال الدعوية يعني المهارة لدى المختصين وهذا يعني أن إنتاج المتخصص بإذن الله -تعالى- فيما تخصص به أجود من إنتاج غير المتخصص، فتتكامل جميع التخصصات ويشعر كل متخصص بأهمية أخيه الآخر وضرورته، وتتعانق الهموم ليتولد الهم الأكبر وهو القيام بهذا الدين العظيم، وفي المقابل فلا يمنع كون الداعية متخصصا في مجال دعوي أن يمارس الدعوة في التخصصات الدعوية العامة بقدر استطاعته وعلى حسب طاقته، ومن أكرمه الله بمواهب وقدراتٍ دعويةٍ متعددةٍ تمكنه من أن يجمع بين تخصصات عدة فهذا من فضل الله الذي يؤتيه من يشاء من عباده المؤمنين، والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

* * *

---

(١) سبق تخريجه ص: ١٧٧.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة ١٩٩٥م ٢٨/ ٢٥٥.

المطلب الثالث:

التكامل بين الدعاة ودوره في توازن نظرة بعضهم لبعض.

إن التعاون المطلوب بين جميع من ينتسبون إلى الدعوة إلى الله تعالى هو: التعاون في الخير والبر والتقوى ونشر المنهج القويم، وكل ما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين، فمتى تعاون الدعاة إلى الله فيما بينهم على نصرة دين الله والدعوة إليه، ونبذ الآراء المنحرفة الدخيلة على المسلمين، وكشف حقيقتها للناس، أياً كانت هذه الآراء عقدية أو خلقية أو اجتماعية أو غيرها، فهذا تعاون محمود واجب شرعاً، والأدلة الصريحة في الكتاب والسنة حافلة بهذا المعنى، قال تعالى: ((وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ))[1] ، فحض الشارع الحكيم على التعاون الحق وهو التعاون على البر والتقوى، وحذر من التعاون الباطل وذمه وهو ما قد يقع فيه بعض المنتسبين للدعوة من التعاون على والإثم والعدوان، كالتعصب للجماعة، سواءً كانت على حق أو باطل، فتجد بعض الدعاة ينصر جماعته بحق وبباطل، ويتكلم في الجماعات الأخرى جزافاً حتى وإن لم يكن الخلاف معهم إلا في الفروع فقط، وأحيانا يختزل الرأي الحق في رأي رجل واحد، ويختزل العلم الشرعي في مسألة واحدة...

وهذا مما ابتليت به الأمة في هذا الزمن الذي يتحتم فيه التعاون والتكامل، فيسفهون آراء المخالفين لهم حتى وصل الأمر ببعضهم أن يطعن في كل من خالفه في مسألة أو مسألتين اجتهاديتين أو فرعيتين، بالتبديع والتفسيق والخروج عن منهج السلف، وهذا لعمري هو ضلال وانحراف في المنهج الذي يحمله بعيداً عن منهج السلف الذي يتسمى به، والمقابل يرمي الآخر بالتشدد والتنطع وضيق الأفق والإرهاب وغيرها من الألقاب العريضة والتي

---

(١) سورة المائدة، الآية : ٢.

يستخدمها أعداء الإسلام ضده، فهذا التعاون على مثل هذا المنهج هو تعاون مذموم وليس بممدوح...

وقد أعجبتني مقولة نقلها صاحب كتاب "المدخل إلى علم الدعوة" في مقدمة كتابه عن الداعية المعروف الشيخ أبي الأعلى المودودي[1] –رحمه الله– بعد حديث الأول عن انتقاده لمثل هذه النظرة القاصرة من بعض الدعاة اليوم حيث قال: "فقد قَصَر بعضُ إخواننا الدعاة عملهم على جانب حتى عُرِفوا به ظانين أنه عمل الأنبياء فحسب، بل نظر بعضهم إلى غيرهم من الدعاة الذين يُعنون بالعلم والتعليم، أو بالتطبيق والتنفيذ، نظرة استخفاف ونقد، كما نظر بعض المعتنين بالعلم والتعليم، أو التنفيذ والتطبيق لأولئك المبلغين نظرة استخفاف أيضاً، فوجهوا لهم النقد الشديد في توجههم ودعوتهم، دون أن يفهم بعضهم بعضاً، ويقدر بعضهم قدر بعض، مما زاد المسلمين بعداً وفرقة !!

ولو علم هؤلاء وهؤلاء أنه يَسَعُ الداعية أن يعمل في الميدان الذي يختاره، والعمل الذي يناسبه من أعمال الدعوة مراعياً في ذلك إمكاناته واستعداداته من جهة، أو مقدماً أولوية على غيرها في نظره من جهة أخرى، على أن لا يقصر مفهوم الدعوة الإسلامية على عمله واختياره،

---

(١) أبو الأعلى بن أحمد حسن المودودي ١٣٢١ ـ ١٣٩٩هـ (١٩٠٣ ـ ١٩٧٩م): وُلِد في مدينة أورنك آباد الدكن بولاية حيدر آباد، يرجع نسبه إلى عائلة قطب الدين مودود الشهيرة بتدينها ومكانتها، أصدر مجلة ترجمان القرآن من حيدر أباد الدكن عام ١٩٣٣م وكان شعارها: "احملوا أيها المسلمون دعوة القرآن، وانهضوا، وحلِّقوا فوق العالم" ، كان لكتابه الجهاد في الإسلام الذي نشره عام ١٩٢٨م دويٌّ واسع وأثر بالغ ضد الإنجليز والوثنيين وأعداء الإسلام في كل مكان، منحت جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام للمودودي في ١٩٧٩م، وقد تبرع بقيمة الجائزة لإنشاء مجمع المعارف الإسلامية بلاهور، وهو صاحب فكرة ومشروع إنشاء الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وبعد إنشائها، صار عضوا في مجلس الجامعة، وقد صدرت عن المودودي ـ رحمه الله ـ بعض الآراء التي كانت موضع جدل بين الدعاة، من أبرز مؤلفاته: الجهاد في الإسلام، الحضارة الإسلامية، الدين الحق، تفسير تفهيم القرآن وغيرها. (بتصرف–موقع صيد الفوائد) .

أو ينظر إلى من خالفه في ذلك نظرة ابتداع أو خروج عن عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فالميدان الدعوي واسع، وجوانب العمل متعددة، والمسؤولية أكبر من أن تقوم بها جماعة من الجماعات، والثغرة أوسع من أن يَسُدَّها عملٌ من الأعمال !!

فلو علم الطرفان هذه الحقيقة، وفهموها فهماً متوازناً، لشكر بعضُهم جُهدَ بعض، ونظر كل طرف إلى العاملين الآخرين في أي مجال دعوي نظرته إلى أعوانه وشركائه..

وأختم حديثي عن هذه المسألة بمقولة كريمة، وحكمة عظيمة سمعتها شخصياً من الداعية المشهور الأستاذ أبو الأعلى المودودي – رحمه الله – وذلك قبل وفاته بسنوات في مكة المكرمة، حيث زرته في فندق" شبرا " في مكة المكرمة، وسألته في جلسة خاصة عن رأيه في "جماعة التبليغ"[(١)] التي نشأت في الهند، وانتشرت في كثير من بقاع الأرض، والتي سمعتُ من بعض أفرادها نقداً لعمل الأستاذ المودودي، وأنه ترك الدعوة، وعمل في السياسة والحكم، فقال لي بلسان عربي بطيء كلماتٍ قليلةً تصلح درسا لجميع الدعاة، وأنموذجاً صالحا لنظرة كل عامل وداعية إلى غيره، قال:

" إنهم يَسدُّون عنا ثغرةً لا نستطيع سدَّها، ولا نَنْتَقِدُهم[(٢)] ، ومنهم من يَنْتَقِدُنا ".

ولا نستطيع أن نصل إلى مثل هذا التوازن في النظرة إلى الآخرين، إلا إذا فهمنا الدعوة الإسلامية فهماً واسعاً شاملا لجميع أعمال الرسول –صلى الله عليه وسلم–.. والله المستعان"[(٣)]

أ.هـ

---

(١) جماعة التبليغ جماعة تتبنى الدعوة إلى الله تعالى ولها جهود عظيمة في هذا الميدان في شتى بقاع الأرض لكنها ولشديد الأسف ليست على منهج أهل السنة والجماعة وعندهم مزالق عقدية ومنهجية وقصور في فهم المقاصد الدعوية على وجه الخصوص، ومع هذا ينتقدون باقي الجماعات الإسلامية لعدم العمل بمنهجهم القاصر، نسأل الله أن يمن عليهم جميعا بالهداية للدعوة إلى الله على منهج الكتاب والسنة وعقيدة أهل الفرقة الناجية، إنه قريب مجيب .

(٢) الصحيح أننا ننصحهم فيما أخطأوا فيه ونبين الحق ولا نقلل من جهودهم التي أصابوا الحق فيها وهذا فالدين النصيحة.

(٣) المدخل إلى علم الدعوة، محمد البيانوني، مؤسسة الرسالة – بيروت ط:٢ ١٩٩٣م ص: ٢١.

هذا وليعلم أن تكامل وتوازن النظرة للآخرين لا يعني أن نجتمع على حساب عقيدتنا وأصولنا الإيمانية، فليس كل من ادعى الدعوة إلى الله يقبل قوله، فالرافضة –عليهم من الله ما يستحقون– مثلا يدّعون أنهم دعاة إلى الله، وفرق الصوفية القبورية والإباضية كذلك، وغيرهم من فرق البدعة والضلال ممن لا يسوغ لنا التعاون معهم لمخالفتهم لأصول أهل السنة والجماعة، وإنما هذا التوازن في النظرة يتنزل على من كان من الدعاة يدور في فلك أهل السنة والجماعة ولو كان عنده نوع تقصير وخطأ وتأثر بأهل البدع فنقدر له جهوده الدعوية ونتناصح فيما بيننا بالموعظة الحسنة والكلمة الطيبة والتنبيه الرشيد، فمن الدعاة من ينتسب إلى أهل السنة والجماعة، وله بعض الأخطاء التي لا يخلو منها بشر إما عن تأويل أو اجتهاد خاطئ أو ضعف في العلم، أو دعوى المصلحة....إلخ، ولكنه في الجملة متمسك بالسنة داع إليها مدافع عنها، وحسناته أكثر من سيئاته، وانتفاع الناس بدعوته أكثر من الضرر الحاصل على بعضهم في اتباعه في هذه الأخطاء، والمنصف من يغتفر قليل زلل المرء في كثير صوابه، ومَنْ مِنَ الناس هو الذي يصيب دائما ولا يخطئ؟!

واعلم بأنك إن طلبت مهذباً رمت الشطط

من الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط[1]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في معرض كلامه عن بعض علماء الأشاعرة: " ثم إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين، ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف"[2]

---

(١) الأبيات من مقامات الحريري، لأبي محمد القاسم بن علي الحريري، دار الكتب اللبناني – بيروت – ١٩٨١ ط: ١ (١/ ١٢).

(٢) درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية – الرياض، ١٣٩١هـ (١/ ٢٨٣).

وهذا ما وعاه الصحابة –رضي الله عنه- والسابقون الأولون من العلماء والدعاة الربانيين من قبل، فقد اختلفوا في مسائل اجتهادية كثيرة، لكن ذلك لم يفرقهم عن العمل سوياً في الدعوة إلى الله، ومواقفهم في هذا كثيرة جدا نذكر منها على سبيل المثال موقف الصحابي الجليل عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما- عندما اختلف مع الصحابي الجليل عثمان بن عفان -رضي الله عنه- في الصلاة بمنى كما روى الإمام مسلم –رحمه الله- في صحيحه عن ابن عمر -رضي الله عنه- قَالَ: صلى رسول الله –صلى الله عليه و سلم- بمنى ركعتين وأبو بكر بعده وعمر بعد أبي بكر وعثمان صدرا من خلافته ثم إن عثمان صلى بعد أربعا، فكان ابن عمر إذا صلى مع الإمام صلى أربعا وإذا صلاها وحده صلى ركعتين"[(١)].

ومن تلك الصور المشرقة في رقي تعامل السلف الصالح مع بعضهم عند الاختلاف الذي مبناه الاجتهاد اختلاف الصحابة في توريث الإخوة مع وجود الجد، فكان زيد وعلي وابن مسعود –رضي الله عنهم- لا يرونه، وأما ابن عباس –رضي الله عنهما- فيخالفهم ويقول:

"ألا يتقي الله زيد يجعل ابن الابن ابناً، ولا يجعل أب الأب أباً"، وقال: "لوددت أني وهؤلاء الذين يخالفونني في الفريضة نجتمع فنضع أيدينا على الركن ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين"[(٢)].

ورغم هذا الخلاف فلا يمنع ابن عباس –رضي الله عنهما- على جلالة قدره أن يتواضع ويأخذ بخطام ناقة زيد –رضي الله عنه- ويقول لزيد –رضي الله عنه-: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا، فقال زيد –رضي الله عنه-: أرني يدك، فأخرج ابن عباس –رضي الله عنهما- يده فقبلها زيد –رضي الله عنه- وقال: "هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا –صلى الله عليه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: قصر الصلاة بمنى ١/ ٤٨٢ رقم (٦٩٤).

(٢) مصنف عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي-بيروت ط:٢، ١٤٠٣هـ (١٩٠٢٤).

وسلم- "[1]، ولما دفن زيد -رضي الله عنه- قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "هكذا ذهاب العلم، لقد دفن اليوم علم كثير"[2].

ولقد جاء من بعدهم من اقتفى أثرهم وسار على دربهم ونهج نهجهم من التابعين الأخيار، فلم يحملهم اختلافهم بغيهم على بعضهم، قال يونس الصدفي[3] -رحمه الله-: "ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة؟!"

قال الذهبي -رحمه الله- تعليقاً على كلام الإمام الشافعي -رحمه الله-: "هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام، وفقه نفسه، فما زال النظراء يختلفون"[4].

وقال الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- عن إسحاق بن راهويه -رحمه الله- الذي كان يختلف معه في مسائل قد يراها بعض الدعاة اليوم من أسباب الهجر والمفارقة -قال: "لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضًا"[5].

وما أجمل ما قاله الذهبي -رحمه الله- عند ترجمة قتادة بن دعامة السدوسي -رحمه الله-

---

(١) الرخصة في تقبيل اليد، محمد بن إبراهيم بن المقري أبو بكر، ت: محمود محمد الحداد، دار العاصمة-الرياض، ط:١، ١٤٠٨هـ ص ٩٥.

(٢) الآحاد والمثاني، أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني، ت: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية -الرياض، ط:١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ٤/ ١٠٧.

(٣) يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة، أبو موسى الصدفي (١٧٠ - ٢٦٤ هـ = ٧٨٧ - ٨٧٧م): من كبار الفقهاء، انتهت إليه رياسة العلم بمصر، كان عالما بالأخبار والحديث، وافر العقل، صحب الشافعي وأخذ عنه قال الشافعي: ما رأيت بمصر أحدا أعقل من يونس، مولده ووفاته بها، أخذ عنه كثيرون.. (الأعلام للزركلي ٨/ ٢٦١).

(٤) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة،بيروت ط: ٣، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م (١٩/ ٩).

(٥) المصدر السابق (١١/ ٣٧١).

حيث قال: "وكان يرى القدر نسأل الله العفو ومع هذا فما توقف أحد في صدقه وعدالته وحفظه، ولعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده ولا يسأل عما يفعل، ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه وعلم تحريه للحق واتسع علمه وظهر ذكاؤه وعرف صلاحه وورعه واتباعه يغفر له زلله ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه، نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك"[١].

وقال عند ترجمة الإمام محمد بن نصر المروزي –رحمه الله– معلقاً على كلام للحافظ أبي عبد الله بن مَنْدَة –رحمه الله–: "ولو أنا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأً مغفوراً له قمنا عليه وبدّعناه وهجرناه، لما سلم معنا لا ابن نصر ولا ابن مَنْدَة ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق وهو أرحم الراحمين فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة"[٢].

ونظير هذا ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية –قدس الله روحه– في الفتاوى بقوله: "وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً))[٣] وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين، نعم من خالف الكتاب المستبين والسنة المستفيضة أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافا لا يعذر فيه، فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع...!!

وأما الاختلاف في الأحكام فأكثر من أن ينضبط ولو كان كل ما اختلف مسلمان في شيء

---

(١) المصدر السابق (٥/ ٢٧١).

(٢) المصدر السابق (١٤/ ٤٠).

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة ولقد كان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما سيدا المسلمين يتنازعان في أشياء لا يقصدان إلا الخير...

نعم صح عنه –صلى الله عليه وسلم- أنه هجر كعب بن مالك وصاحبيه -رضى الله عنهم- لما تخلفوا عن غزوة تبوك وظهرت معصيتهم وخيف عليهم النفاق فهجرهم وأمر المسلمين بهجرهم حتى أمرهم باعتزال أزواجهم من غير طلاق خمسين ليلة إلى أن نزلت توبتهم من السماء وكذلك أمر عمر -رضي الله عنه- المسلمين بهجر صبيغ بن عسل التميمى لما رآه من الذين يتبعون ما تشابه من الكتاب إلى أن مضى عليه حول وتبين صدقه في التوبة فأمر المسلمين بمراجعته، فبهذا ونحوه رأى المسلمون أن يهجروا من ظهرت عليه علامات الزيغ من المظهرين للبدع الداعين إليها والمظهرين للكبائر فأما من كان مستترا بمعصية أو مسرا لبدعة غير مكفرة فان هذا لا يهجر وإنما يهجر الداعي إلى البدعة إذ الهجر نوع من العقوبة وإنما يعاقب من أظهر المعصية قولا أو عملا، وأما من أظهر لنا خيرا فإنا نقبل علانيته ونكل سريرته إلى الله تعالى..."(١).

وبعد عرض هذه الصفحات المشرقة من حياة السلف العملية وطريقة تعاملهم مع المخالف بقي على الداعية الموفق أن يقتفي أثرهم ويسير على دربهم في طريقة نظرته لإخوانه الدعاة العاملين معه في الساحة الدعوية ويفرق بين المسائل القطعية -كمسائل أصول الإيمان والتوحيد وما عُلم من الدين بالضرورة- والمسائل الاجتهادية -التي تدور بين الراجح والمرجوح-، ويعلم أنه إذا ترجحت عنده مسالة من مسائل الاجتهاد فليس له أن يلزم غيره بها ، مما قد يؤدي في كثير من الأحيان إلى التنازع والتقاطع وتفرق الكلمة، إذ لا إلزام في موارد الاجتهاد كما هو معلوم من مذهب أهل السنة والجماعة كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- بقوله: "ولهذا كان أئمة أهل السنة والجماعة، لا يلزمون الناس بما يقولونه من موارد

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة ١٩٩٥م ٢٤/ ١٧٣.

الاجتهاد، ولا يكرهون أحدا عليه"[1].

وخاصة إذا كان هذا الاختلاف الواقع في النوازل التي عدمت فيها النصوص في الفروع وغمضت فيها الأدلة كما نص عليه الإمام أبو المظفر السمعاني بقوله: "والضرب الآخر من الاختلاف –أي: الاختلاف في الفروع–: لا يزيل الألفة ولا يوجب الوحشة ولا يوجب البراءة ولا يقطع موافقة الإسلام وهو الاختلاف الواقع في النوازل التي عدمت فيها النصوص في الفروع وغمضت فيها الأدلة فيرجع في معرفة أحكامها إلى الاجتهاد ويشبه أن يكون إنما غمضت أدلتها وصعب الوصول إلى عين المراد منها امتحانا من الله سبحانه وتعالى لعباده لتفاضل في درجات العلم ومراتب الكرامة كما قال تعالى: ((يَرْفَعِ اللهُ الذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالذينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ))[2]، وقال: ((وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ))[3]"[4].

لذا وجب علينا معاشر الدعاة أن نعتني بهذا الفقه أشد العناية لأن حاجة الأمة له في هذا الوقت أشد من كل وقت مضى، فالحرب على الإسلام اليوم مستعرة ولهيب المعركة قد طال ثوابت ديننا الحنيف ومس جناب التوحيد وطال المقدسات والأعراض، وحل بالمسلمين الوهن و الضعف و تكالبت عليهم المصائب و كثرت المؤامرات و ازدادت شوكة الأعداء ضراوة من الداخل و الخارج، مما يستوجب منا رصّ الصفوف وتوحيد الجهود وتآلف القلوب ونبذ جميع أسباب الفرقة والخلاف، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

* * *

---

(١) الفتاوى الكبرى، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار الكتب العلمية – بيروت ط: ١ ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م (٣٣٩\٦).

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٧٦.

(٤) قواطع الأدلة في الأصول، لأبي المظفر، منصور بن محمد السمعاني، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٩م ٢/ ٣٠٧.

الفصل الرابع:

الفهم الخاطئ لمقاصد الدعوة

وأثره في الدعوة إلى الله وسبل تجاوزه

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أثر فقه المقاصد الدعوية في فهم النصوص الشرعية الدالة عليها.

المبحث الثاني: أثر الفهم الخاطئ في تطبيق وتحقيق المقاصد الدعوية.

المبحث الثالث: سبل تجاوز الفهم الخاطئ وأثره .

المبحث الأول:

أثر فقه المقاصد الدعوية في فهم النصوص الشرعية الدالة عليها

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مراعاة واعتبار المقاصد الدعوية شرط في فهم النصوص الدعوية.

المطلب الثاني: الدعاة إلى الله بين التزام النصوص الشرعية والعمل بمقتضى المقاصد الدعوية.

المطلب الثالث: نماذج تبين الأثر الإيجابي لفقه المقاصد في فهم الكتاب والسنة.

المطلب الأول:

مراعاة واعتبار المقاصد الدعوية شرط في فهم النصوص الدعوية.

إن من أعظم نِعم الله التي أنعم الله تعالى بها على عبدِه المؤمن صِحّة الفَهم وحُسن القصد إذ بصحة الفهم يتفاوت الدعاة إلى الله في إصابة عين الحق..

وبحسن القصد يسلم توحيد العبد من صغير الشرك وكبيره..

قال تعالى: ((فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلاًّ ءاتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً))[(١)].

وقال -صلى الله عليه وسلم- في دعائه لعبد الله ابن عباس -رضي الله عنهما-: "اللهم فقهه في الدين"[(٢)].

وهذا من عموم الخير الذي إذا أراد الله تعالى أن ينعم به على عبده أعطاه إياه كما قال المصطفى -صلى الله عليه وسلم-: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"[(٣)].

يقول الإمام ابن القيّم -رحمه الله-:

"صِحّة الفَهم وحُسنُ القصد من أعظم نِعم الله التي أنعم بها على عبدِه، بل ما أعطِيَ عبدٌ عطاءً بعد الإسلام أفضل ولا أجلَّ منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامُه عليهما، وبهما يأمن العبدُ طريقَ المغضوب عليهم الذين فسَد قصدُهم وطريقَ الضّالين الذين فسدت فهومُهم، ويصير من المنعَم عليهم الذين حسُنت أفهامهم وقصودُهم، وهم أهلُ الصراط المستقيم الذين أمِرنا أن نسأل اللهَ أن يهديَنا صراطَهم في كلِّ صلاة. وصحَّةُ الفهم نورٌ يقذِفه الله في قلبِ العبد، يميّز به بين الصحيحِ والفاسد والحقِّ والباطل والهدى والضّلال والغيِّ والرشاد"، ثمّ قال -

---

(١) سورة الأنبياء، الآية:٧٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء ١/ ٦٦ رقم (١٤٣)، وأخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ٤/ ١٩٢٧ رقم (٢٤٧٧).

(٣) تقدم تخريجه (ص ٩٢).

رحمه الله-: "ولا يتمكَّن المفتِي ولا الحاكمُ من الفتوى والحكمِ بالحقّ إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فهمُ الواقع والفِقه فيه..

والثاني: فهمُ الواجب في الواقع، وهو فهمُ حكم الله الذي حكَم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقعِ، ثمّ يطبِّق أحدَهما على الآخر"(١)

وصدق رحمه الله فالداعية إلى الله لا يستقيم له الأمر إلا من بعد أن يفقه واقعه الذي يعيش فيه ويفقه حكم الشرع المناسب لذلك الواقع ليتمكن من تطبيق حكم الله تعالى على أكمل وجه، ولا يتأتى له ذلك إلا بفقه مقاصد دعوته عن طريق فقه مقاصد الشريعة على كمالها كما أشار إلى ذلك الإمام الشاطبي -رحمه الله- بقوله: " إنما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتصف بوصفين:

أحدهما: فهم مقاصد الشريعة على كمالها..

والثاني: التمكن من الاستنباط بناء على فهمه فيها..

أما الأول: فقد مرَّ في كتاب المقاصد أنَّ الشريعة مبنية على اعتبار المصالح، وأن المصالح إنما اعتبرت من حيث وضعها الشارع كذلك، لا من حيث إدراك المكلف...

فإذا بلغ الإنسان مبلغاً فَهِمَ عن الشارع فيه قصدَه في كل مسألة من مسائل الشريعة، وفي كل باب من أبوابها، فقد حصل له وصف هو السبب في تنزُّلِهِ منزلةَ الخليفةِ للنبي -صلى الله عليه وسلَّم- في التعليم والفتيا والحكم بما أراه الله..

وأما الثاني: فهو كالخادم للأول، فإن التمكن من ذلك إنما هو بواسطة معارف محتاج إليها في فهم الشريعة أولاً ومن هنا كان خادماً للأول، وفي استنباط الأحكام ثانياً..."(٢).

وبهذا الفهم الصحيح يسير الداعية إلى الله تعالى في دعوته على منهج واضح وخطى ثابتة

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم ت: طه عبد الرؤوف، دار الجيل، بيروت ١٩٧٣م ١/ ٨٧.

(٢) الموافقات، للشاطبي، ت: عبد الله دراز، دار المعرفة - بيروت ١٤١٠هـ ٤/ ٧٦ .

وغاية بينة، دليله في ذلك وقائده قولُ الله تعالى لنبيه المصطفى -صلى الله عليه وسلم-: ((قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))(١)، ومن تمام البصيرة التي يدعو إليها أن يكون الداعية بصيرا بمقاصد ما يدعو إليه وأهداف تلك الدعوة وغاياتها حتى يدعو إلى الله على بصيرة ونور، غذاؤه الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الذي هو روح الدعوة وباعثها وهو دستورها ومنهجها وهو الأصل الأصيل الذي يستمد منه الداعية وسائل دعوته ومنهج حركته وزاد طريقه، وهذا الكتاب العظيم قد أخبر عنه منزله سبحانه أنه أنزله بالحق، منه ما هو محكم بينٌ واضحُ الدلالة لا التباس فيه على أحد من الناس ومنه ما هو آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فالداعية إلى الله الذي هو على بصيرة من أمره مقتفى أثر نبيه -صلى الله عليه وسلم- وصحبه الكرام -رضوان الله عليهم- يرد ما اشتبه عليه من آيات الكتاب إلى الواضح منها ويحكّم مُحكَمَه على ما تشابه عنده منه ومن سلك من الدعاة إلى الله غير هذا المسلك في دعوته فقد ضل الطريق واتبع غير سبيل المؤمنين..

كما قال تعالى: ((هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ))(٢)، يقول ابن كثير -رحمه الله- معلقا على هذه الآيات: "((وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)) أي: تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئًا آخر من حيث اللفظ والتركيب، لا من حيث المراد...

((فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ)) أي: ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل..

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.

((فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ)) أي: إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرّفوه إلى مقاصدهم الفاسدة، وينزلوه عليها، لاحتمال لفظه لما يصرفونه، فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه ؛ لأنه دامغ لهم وحجة عليهم، ولهذا قال: ((ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ)) أي: الإضلال لأتباعهم، إيهامًا لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، وهذا حجة عليهم لا لهم، كما لو احتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى هو روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وتركوا الاحتجاج بقوله تعالى: ((إِنْ هُوَ إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ))[1] وبقوله: ((إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ))[2]، وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بأنه خلق من مخلوقات الله، وعبد، ورسول من رسل الله..

وقوله تعالى: ((وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ)) أي: تحريفه على ما يريدون "[3].

وقد جاء في الحديث المتفق عليه من حديث أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها وعن أبيها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم-: تلا هذه الآية من آل عمران، وهي قول الله - عز وجل -: ((هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ..))[4]، قالت: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إذا رأيتم الذين يجادلون فيه -وفي لفظ "في آيات الله"- فهم الذين عنى الله، فاحذروهم" ، وفي اللفظ الآخر: "إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله، فاحذروهم"[5] .

---

(١) سورة الزخرف ، الآية: ٥٩.

(٢) سورة آل عمران ، الآية: ٥٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ ٢/ ٦٠٨.

(٤) سورة آل عمران ، الآية: ٧.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب: تفسير القرآن ، باب: ((منه آيات محكمات)) ٤/ ١٦٥٥ رقم (٤٢٧٣) ، وأخرجه مسلم في كتاب: العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن ٤/ ٢٠٥٣ رقم (٢٦٦٥) .

فالدعاة إلى الله الموفقون للحق هم الذين يتشبثون بالمحكمات ويعضون عليها بالنواجذ، ويؤمنون بالمتشابهات ويردونها للمحكمات، فلا تميد بهم الأهواء، ولا تسيرهم الشهوات، وليس في قلوبهم إلا التسليم والانقياد ((يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا))، وأما أهل الزيغ فهم الذين يضربون المحكمات بالمتشابهات، ويتكئون على ما تشابه منها، إما بجهل منهم بمعالم منهج السلف الصالح في فهم نصوص الوحيين أو باتباع الهوى الذي يضل صاحبه عن سواء السبيل !!

قال تعالى: ((إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى))(1).

والمتأمل سياق الآية التي تلي آية: ((هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ..))، وهي قول الله تعالى: ((رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ))، لَيعلم أن أساس هذا العالم مبني على حكمة الابتلاء والامتحان ابتلى الله تعالى العالمين بالتوحيد وهو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له فمنهم من آمن ومنهم من كفر، ثم ابتلى المؤمنين بالمتشابهات فمنهم من فُتن ومنهم من رسخ وثبت نسأل الله الثبات على الحق..

فمن نعمة الله ورحمته أن علم عباده هذا الدعاء المبارك كي يلتجئوا إليه ويظهروا فقرهم وعجزهم وليعلموا أن فوق كل ذي علم عليم، وليوقنوا أنهم مهما تزودوا من العلم فلم يؤتوا منه إلا قليلاً، ويكون حالهم كحال الملائكة حين قالوا: ((سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ))(2).

وبهذا يتميز العلماء الربانيون والدعاة الصادقون عن غيرهم من الناس لأنهم يهتدون إلى الحق بعلمهم الذي علمهم الله تعالى إياه، ويهدون إليه غيرهم بدعوتهم على هدى ونور،

---

(1) سورة النجم، الآية: ٢٣.

(2) سورة البقرة، الآية: ٣٢.

فكانوا هم أهل الهداية والخشية والرفعة، حتى ورثوا الأنبياء فيما ورثوا من النور والهدى !!

قال تعالى: ((فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ))[1]"،

ولذلك فإنه يتوجب على الباحث في تقرير وتأصيل المقاصد الدعوية "أن يطيل التأمل ويجيد التثبت في إثبات مقصد شرعي ، وإياه والتساهل والتسرع في ذلك ؛ لأن تعيين مقصد شرعي كلي أو جزئي أمر تتفرع عنه أدلة وأحكام كثيرة في الاستنباط ، ففي الخطأ فيه خطر عظيم.."[2]، لذا فإن من مقتضيات البصيرة في الدعوة إلى الله تعالى البصيرة بمقاصد وأهداف وغايات هذه الدعوة التي ندعوا إليها والتي دلت عليها نصوص الكتاب العزيز وسنة المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، والقدرة على استنباطها استنباطا صحيحا والمتضمنة لفقه مقاصد الشريعة، وفقه جلب المصالح ودرأ المفاسد، وفقه الزمان والمكان وتطوّر وتغير حاجات الإنسان، وفقه المآلات والضرورات...

فقد يؤدي ضعف اعتماد الداعية إلى الله على النصوص الشرعية -من الكتاب والسنة الصحيحة- لفهم مقاصد الدعوة الشرعية إلى الخطأ في فهم النص من أصله..

يقول العلامة الطاهر بن عاشور -رحمه الله-: "فمراد الله من كتابه هو بيان تصاريف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدين.."[3] ، فالقرآن العزيز يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة....

لذا يجب على الداعية إلى الله أن تتوفر فيه ثلاثة أمور ما استطاع إلى ذلك سبيلا، حتى لا

---

(١) سورة البقرة ، الآية: ٢١٣.

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، ت: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس – الأردن، ط:٢ ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م (٢٣١).

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت، ط:١ ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م (١/ ٣٧).

يقع في الشطط والغلط، ويخطئ في فهم مراد الله –عز وجل– وهي:

١ - أن يكون ملماً بمقاصد الشريعة الكلية.

٢- عالماً بمعرفة المقاصد الدعوية.

٣- معتبراً إياها في فهم نصوص التنزيل.

والله وحده الهادي إلى سواء السبيل ..

* * *

المطلب الثاني:

الدعاة إلى الله بين التزام النصوص الشرعية والعمل بمقتضى المقاصد الدعوية.

إن المتأمل في أحوال الدعاة إلى الله اليوم ليرى عجبا في تنوعهم في فهم النصوص وتنزيلها على أرض الواقع مما كان له أثر بالغ في اختلافهم وتفرقهم ، فبعض الدعاة "يحدث له خلط في التعامل مع النصوص الشرعية –مثلا– بين مناط الاستخلاف ومناط الاستضعاف، فهناك طائفة من النصوص يرتبط تطبيقها بواقع الاستخلاف والقوة وطائفة أخرى يرتبط تطبيقها بواقع الاستضعاف والغربة.. ومثال ذلك الآيات الواردة في باب الصفح والمغفرة والمداراة وتألف المخالف.. فما ورد في هذا المقام من آيات أو أحاديث فإنما ترتبط بواقع الاستضعاف والغربة، وما ورد من نصوص في باب الهجر والزجر والغلظة، فإنما يرتبط بواقع التمكين والقوة، فإذا حدث خلط فأنزلت النصوص التي ترتبط بواقع الاستضعاف على واقع القوة أو العكس فيحدث الخلط ويحدث التشويش.. فالنصوص الواردة في باب الصفح والمغفرة وتألف المخالف مثل قوله تعالى: ((قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللهِّ))(1) .

وقوله تعالى: ((وَقُل لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ))(2) ، وقوله تعالى: ((وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً))(3) ، هذه النصوص ترتبط بواقع يعيش فيه المسلمون في غربة، لا قوة لهم ولا شوكة ولا منعة، فإذا تحول

---

(1) سورة الجاثية، الآية: ١٤.

(2) سورة يونس ، الآيات: ١٢١-١٢٢ .

(3) سورة المزمل ، الآية: ١٠.

المسلمون إلى واقع القوة والاستخلاف والتحكم يخاطبون بطائفة أخرى من النصوص كقول الله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ))(1) "(2).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وصارت تلك الآيات في حق كل مؤمن مستضعف لا يمكنه نصر الله ورسوله بيده ولا بلسانه، فينتصر بما يقدر عليه من القلب ونحوه، وصارت آية الصغار على المعاهدين في حق كل مؤمن قوي يقدر على نصر الله ورسوله بيده أو لسانه.. فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين، وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون"(3)

والمتأمل في واقع الدعاة إلى الله اليوم يرى انقساماً من حيث الفهم الصحيح والخاطئ في عملية الجمع لما ظاهره التعارض بين التزام النصوص الشرعية والعمل بمقتضى المقاصد الدعوية، فهم ينقسمون أمام فهم النصوص إلى ثلاثة أقسام:

١ - قسم **(غال)** جمد عند ظاهر النصوص وفرغها من مقاصدها وغاياتها الدعوية متأثرا بمنهج مذهب الظاهرية في الاستدلال والتي تنتهج منهج حرفية الفهم لنصوص الشرع ولا ترفع رأسا بالمقاصد والحكم والعلل والتعليل ، فخالفوا بداهة العقول ، ونسبوا إلى شرع الله التخلف والقصور من حيث لا يعلمون، ولذلك رجح جمع من أهل العلم عدم الاعتداد بخلاف الظاهرية وبخاصة المسائل التي شذوا فيها عن جماهير علماء الأمة، وقد بين فساد هذا

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٩.

(٢) مجلة البيان، د. صلاح الصاوي، عدد ٨١ ص: ٨٥ جمادى الأول ١٤١٥هـ.

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول، شيخ الإسلام ابن تيمية، ت: محمد الحلواني ومحمد كبير شودري، رمادي للنشر - الدمام ط:١ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ٢/ ٢١٩.

المنهج بإسهاب الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه المفيد "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل" في "الباب الثالث والعشرون" وقال في الكافية[1]:

ولهم نصوصٌ قصَّروا في فهمِها فأُتوا من التقصير في العرفان.

٢- قسم (**جاف**) عطل النصوص الشرعية في الجملة وغلا في اعتبار المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ولم يرفع رأسا بنصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة فقدسوا العقل، وحكّموه في الوحي وأقاموه مقام النِّدْيّة للوحي وخصماً له أحياناً ، لا خادماً ومستبصراً ومستضيئاً بنوره ، وسائراً في ركابه، ويتمثل هذا القسم في الدعاة العصرانيين المتأثرين بالنظرة العلمانية للدين الحنيف حتى "رفعوا شعارات ورددوا كلمات حق يراد بها باطل باسم: (مصلحة الدعوة) و (مقاصد الشريعة) و (الجوهر والروح) ونحوها "مثل الكلمات التبجيلية التي يتداولها العلمانيون أثناء الحديث عن القرآن الكريم تمهيداً لإقصائه عن الحياة والتشريع"[2]، فتتبعوا المتشابهات هروبا من النصوص المحكمات ولم يكن منهجهم عند قراءة النصوص الشرعية منهج "القراءة المتدبرة للنص والتي تريد معرفة مراد الخالق عز وجل منه؟! بل عطلوا النصوص من خلال القراءة المستَلَبَة للواقع والمصلحة، والتي لا تقبل من النص أي قولٍ خلاف ذلك، فإن أراد النص أن يُقوِّم مرادات الإنسان وأهواءَه، ويُهذِّب واقعَه وسلوكَه فإن النص يُلوى عنقه عبر ذريعة المقاصد، ويُحرَّف مضمونه عبر وسائل القراءة المزيفة للنصوص.."[3].

٣- قسم (**وسطٌ**) معتدل عمل بالنصوص الشرعية وعظمها مع اعتبار مدلولاتها

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، لابن القيم، دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، ط:١ ١٤٢٨هـ ١/ ٨٦.

(٢) المدخل المقاصدي والمناورة العلمانية د . أحمد إدريس الطعان، مكتبة الشروق (الإنترنتية): http://alshrooq.com

(٣) المصدر السابق .

ومآلاتها ومقصد الشارع الحكيم منها وهي الطريقة التي سار عليها جماهير علماء الأمة -عليهم رحمة الله-، ومن ثم قرروا أن الأحكام بمقاصدها، على تفاوت بينهم في مدى الأخذ بهذا المبدأ؛ ذلك أن نصوص الشريعة وأحكامها معللة بمصالح ومقاصد وضعت لأجلها.. يقول ابن القيم -رحمه الله-: "والقرآن وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- مملوءان من تعليل الأحكام بالحِكَم والمصالح.. ولو كان هذا في القرآن والسنة نحو مائة موضع أو مائتين لسقناها ولكنه يزيد على ألف موضع بطرق متنوعة.. والقرآن مملوء من أوله إلى آخره بذكر حكم الخلق والأمر ومصالحهما ومنافعهما وما تضمناه من الآيات الشاهدة الدالة عليه، ولا يمكن من له أدنى اطلاع على معاني القرآن إنكار ذلك.."(١)، وهذا له دلالة عظمى على كمال الشريعة الغراء التي بُنيت أحكامها على حِكم بالغة ومقاصد نبيلة وهو مقتضى اسم الله تعالى "الحكيم" إذ أنه سبحانه وتعالى حكيم لا يفعل شيئاً عبثاً ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة هي الغاية المقصودة بالفعل بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل.. ويقول ابن تيمية -رحمه الله-: "إن العقل الصريح يعلم أن من فعل فعلا لا لحكمة، فهو أولى بالنقص ممن فعل لحكمة كانت معدومة، ثم صارت موجودة في الوقت الذي أحب كونها فيه، فكيف يجوز أن يقال: فعله لحكمة يستلزم النقص، وفعله لا لحكمة لا نقص فيه"(٢).

فالأصل في ذلك وجوب اتباع النصوص الشرعية كما أمر الله -عز وجل- من غير تصرف أو انحراف بنحو: قياس، واستحسان كما نص على ذلك رب العزة والجلال بقوله:

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، دار ابن عفان- الخبر ط:١ ١٤١٦هـ-١٩٩٦م ٢/ ٢٢.

(٢) شرح الأصفهانية، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية - ت: محمد بن عودة السعوي، مكتبة دار المنهاج- الرياض ط:١ ١٤٣٠هـ ص: ٣٦٢.

((فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ))[1]، والمقاصد الدعوية ليست بخارجة عن نطاق النصوص ذاتها بل إن النصوص الدعوية جاءت لتحقيقها، فمن الخطأ البين أن تفهم النصوص بعيداً عن تلك المقاصد والغايات العامة، فتعظم النصوص وتلتزم وتعتبر المقاصد ولا تهمل .

* * *

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١٥.

المطلب الثالث:

نماذج تبين الأثر الإيجابي لفقه المقاصد في فهم الكتاب والسنة.

تبين لنا في المطلب السابق موقف الدعاة إلى الله الصحيح من التزام النصوص الشرعية والعمل بمقتضى المقاصد الدعوية تحت قسم (الوسط المعتدل) الذي يعمل بالنصوص الشرعية ويعظمها مع اعتبار مدلولاتها ومآلاتها ومقصد الشارع الحكيم منها وهي الطريقة التي سار عليها جماهير علماء الأمة -عليهم رحمة الله- والتي سأقدم منها بعض النماذج التي تبين أثر فقه المقاصد ودوره في فهم النصوص الشرعية لتكون نبراساً يسير عليه الدعاة إلى الله بإذن الله تعالى..

● **النموذج الأول:**

في قول الله تعالى: ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ * وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ))(١) .

يقول الإمام ابن كثير -رحمه الله-: اختلف المفسرون هل كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام ناظرًا أو مناظرًا؟؟

قال رحمه الله: والحق أن إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- كان في هذا المقام مناظرا لقومه، مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام، فبين في المقام الأول مع أبيه

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧٤-٧٩.

خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية، التي هي على صورة الملائكة السماوية، ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم الذين هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه، وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته، ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر، وغير ذلك مما يحتاجون إليه. وبين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل، وهي الكواكب السيارة السبعة المتحيرة، وهي: القمر، وعطارد، والزهرة، والشمس، والمريخ، والمشترى، وزحل، وأشدهن إضاءة وأشرقهن عندهم الشمس، ثم القمر، ثم الزهرة. فبين أولا أن هذه الزهرة لا تصلح للإلهية؛ لأنها مسخرة مقدرة بسير معين، لا تزيغ عنه يمينًا ولا شمالا ولا تملك لنفسها تصرفا، بل هي جرم من الأجرام خلقها الله منيرة، لما له في ذلك من الحكم العظيمة، وهي تطلع من المشرق، ثم تسير فيما بينه وبين المغرب حتى تغيب عن الأبصار فيه، ثم تبدو في الليلة القابلة على هذا المنوال، ومثل هذه لا تصلح للإلهية، ثم انتقل إلى القمر، فبين فيه مثل ما بين في النجم ثم انتقل إلى الشمس كذلك، فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار، وتحقق ذلك بالدليل القاطع، ((قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ)) أي: أنا بريء من عبادتهن وموالاتهن، فإن كانت آلهة، فكيدوني بها جميعا ثم لا تنظرون، ((إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) أي: إنما أعبد خالق هذه الأشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها ومدبرها، الذي بيده ملكوت كل شيء، وخالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه، كما قال تعالى: ((إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ))[1] وكيف يجوز أن يكون إبراهيم الخليل ناظرا في هذا المقام، وهو الذي قال الله في حقه: ((وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ))[1] الآيات، وقال تعالى: ((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))[2]، وقال تعالى: ((قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))[3]، وقد ثبت في الصحيحين، عن أبي هريرة، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "كل مولود يولد على الفطرة" وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله: إني خلقت عبادي حنفاء"....

فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة، فكيف يكون إبراهيم الخليل -الذي جعله الله ((أُمَّةً قَانِتًا للهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))[4] ناظرا في هذا المقام؟! بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة، والسجية المستقيمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا شك ولا ريب..." أ.هـ[5]

فرجح ابن كثير -رحمه الله- القول الثاني معتبراً في ترجيحه مقاصد الشريعة وقواعدها والتي من مقاصدها حفظ الدين، وترجيح القول الأول ينافي سلامة عقيدة الأنبياء مما يشينها فتعين ترجيح القول الثاني والله أعلم.

ونظيره ما سيأتي في النموذج التالي..

● **النموذج الثاني:**

في قوله تعالى: ((وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٥١، ٥٢.

(٢) سورة النحل، الآيات: ١٢٠ -١٢٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦١.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٠.

(٥) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ ٣/ ٢٩٣.

لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ))[1].

يقول الإمام القرطبي -رحمه الله- عند تفسير هذه الآية الكريمة: "قيل: معناه استزله إبليس ووقع في ظنه إمكان ألا يقدر الله عليه بمعاقبته، وهذا قول مردود مرغوب عنه، لأنه كفر.. وقال عطاء وسعيد بن جبير وكثير من العلماء معناه: فظن أن لن نضيق عليه، قال الحسن: هو من قوله تعالى: ((اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ))[2]، أي يضيق، وقوله ((وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ))[3]، قلت: وهذا الأشبه بقول سعيد والحسن.. "[4] أ.هـ

وهنا فإن الإمام القرطبي -رحمه الله- رد القول الأول لمنافاته مقصد حفظ الدين وسلامة عقيدة الأنبياء والمرسلين ورجح القول الآخر لمناسبته للمعنى والسياق والله أعلم.

● **النموذج الثالث:**

وكذلك فعل الراسخون في علم الشريعة مع نصوص السنة المطهرة عند وجود ما ظاهره التعارض بين النصوص وما تقتضيه مقاصد الشرع المطهر حيث تكون المقاصد الشرعية الصحيحة في مثل هذه الحالة مخصصة للنص من عمومه ومقيدة له من مطلقه..

كما هو الحال مثلا عند قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لاَ تُسَافِرْ الْمَرْأَةُ إِلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ"[5].. فقد يُفهم من هذا الحديث الشريف حرمة سفر المرأة دون محرم مطلقًا..

لكن علماءنا علماء السنة الذين استعانوا في فهمه **بالمقاصد** الشرعية رأوا خلاف ذلك حيث قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: "لم يختلفوا في أنه ليس للمرأة السفر في غير الفرض إلا

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٦.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط:٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م ١١/ ٣٣١.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب: الحج ، باب: حج النساء ٢/ ٦٥٨ رقم (١٧٦٣).

مع زوج أو محرم إلا كافرة أسلمت في دار الحرب أو أسيرة تخلصت وزاد غيره أو امرأة انقطعت من الرفقة فوجدها رجل مأمون فإنه يجوز له أن يصحبها حتى يبلغها الرفقة"[(١)]..

إذن ففرار المسلمة من دار الكفر إلى دار الإسلام يجوز من غير المحرم، لأن فيه حفظًا للدين، وحفظها من أهم مقاصد الشريعة.. وسفر الأسيرة التي هربت أو غيرها ممن تعرضت لضرورة جائز دون محرم لأن فيه حفظًا للنفس والعرض وغيرهما من مقاصد الشريعة الإسلامية..

● **النموذج الرابع:**

ومن الأمثلة أيضا على مراعاة مقاصد الشرع لفهم النصوص الشرعية ما قاله كذلك الإمام القرطبي -رحمه الله- في حق الظاهرية[(٢)] حيث قال فيهم: "وذهب أهل الظاهر وبعض المتكلمين إلى أن الأب لا يعتق على الابن إذا ملكه، واحتجوا بقوله عليه -الصلاة والسلام-: " لا يجزي ولد والدا إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه "[(٣)] ، قالوا: فإذا صح الشراء فقد ثبت الملك، ولصاحب الملك التصرف **وهذا جهل منهم بمقاصد الشرع** فإن الله تعالى يقول: ((وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً))[(٤)] ، فقد قرن بين عبادته وبين الإحسان للوالدين في الوجوب، وليس من الإحسان أن يبقى والده في ملكه وتحت سلطانه، فإذا يجب عليه عتقه إما لأجل الملك عملا بالحديث "فيشتريه فيعتقه"، أو لأجل الإحسان عملا بالآية، ومعنى الحديث عند الجمهور أن الولد لما تسبب إلى عتق أبيه باشترائه نسب الشرع العتق إليه نسبة الإيقاع منه"[(٥)].."[(١)] .

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة-بيروت، ١٣٧٩هـ (٤/ ٧٦).

(٢) هم أتباع أبي داود الظاهري وابن حزم وهم فريق من أهل العلم يعتمدون في استنباط الاحكام على ظاهر اللفظ ولا ينظرون في العلل ولذلك فهم ينكرون القياس.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: العتق، باب فضل عتق الوالد ٢/ ١١٤٨ رقم (١٥١٠) .

(٤) سورة البقرة ، الآية: ٨٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب =

ومن هنا تبرز أهمية العناية بالجمع بين اعتبار مقام النص الشرعي وحفظ قداسته، واعتبار مقاصد الشارع الحكيم لفهم النصوص فهما صحيحا موافقا لمراد الشارع الحكيم بإذن الله تعالى، فالنصوص والمقاصد شيئان لا يفترقان فهما كالجسد والروح، لا تقوم حياة الشرع المطهر إلا بهما معاً، ومن تصور خلاف ذلك أو ظن أن أحدهما لا يقوم إلا بإبطال الآخر أو إهماله فهو واهم غير مستوعب لطبيعة هذا الدين القويم.

* * *

= الكتب المصرية – القاهرة، ط:٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ٥/ ٧.

(١) من بحث بعنوان: (دلالة السياق ومقاصد الشريعة ودورهما في فهم النص) لـ محمد العبادي، موقع الألوكة: http://majles.alukah.net/

المبحث الثاني:

أثر الفهم الخاطئ في تطبيق وتحقيق المقاصد الدعوية.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: أثر الفهم الخاطئ في تطبيق مقصد تحقيق مقتضى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

المطلب الثاني: أثر الفهم الخاطئ في تطبيق مقصد إقامة الحجة على الناس بالبلاغ المبين.

المطلب الثالث: أثر الفهم الخاطئ في تطبيق مقصد هداية الناس وإنقاذهم من النار.

المطلب الرابع: أثر الفهم الخاطئ في تطبيق مقصد إظهار الدين وإعلاء كلمة الله في الأرض.

• توطئة:

إن الباحث في واقع بعض الدعاة إلى الله اليوم على تنوعهم واختلاف مشاربهم ليلحظ أن من أهم أسباب تفرقهم واختلافهم هو –كما مر بنا- الفهم الخاطئ لنصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة الدالة على المقاصد الدعوية، وكذلك الاختلاف في النظر إلى تحقيق وتطبيق تلك المقاصد الدعوية ، فكل يقرر مقصدا دعويا ويتّخذ منهجاً وطريقاً يفضي بها إلى تحقيق هذا المقصد وحده، اعتقاداً بأنه المقصد الأوحد للدعوة إلى الله، وأن بتحقيقه تتحقق الغاية من الدعوة..!!

بغض النظر عن أن يكون هذا المقصد كليا أو جزئيا أو أن يكون المقصد أصلا أو فرعا ، شرعيا أو غير شرعي ، فإن كان المقصد شرعيا فقد يهمل باقي المقاصد الدعوية الشرعية التي حث الشارع الحكيم إلى تحقيقها ومن ثم عدم الفقه بأي المقاصد الدعوية له حق التقديم على الآخر...

"حتى أصبح كل منهم يعادي أخاه الداعية المسلم إن لم يكن معه في ميدانه، أو جماعته وحزبه، حتى استحكم العداء والفرقة بين كثير من الدعاة والجماعات، وما ذلك إلاّ لسوء الفهم وقصوره، والاحتكام إلى الآراء والتحزبات، والاعتقاد الفاسد بأن الدعوة قاصرة على ما يعمله كل منهم في ميدانه، وعلى منهجه وطريقته، وأن غيره يعمل في غير طائل، فتفرقت الكلمة، وحصل التنازع ثم الفشل...

إن كل حالات القصور والانحراف في طرق الدعوة وأساليبها القائمة اليوم، إنما كانت بسبب الاجتهادات القاصرة حيناً والخاطئة أحياناً، وأن الفهم الصحيح للدعوة إلى الله، والطريق القويم فيها، إنما يكون باتباع منهج القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة في الدعوة إتباعا كاملاً، غير مبتور، ولا مجزأ، وأن سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته هو أصح السبل وأصدقها، ولا نحتاج بعده إلى الرأي والتخمين"(١).

---

(١) الدعوة إلى الله في ميادينها الثلاثة الكبرى، محمد بن حامد الغامدي، دار الطرفين – الطائف ط١: ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م ص:٩

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "من حالف شخصاً على أن يوالي من والاه، ويُعادي من عاداه كان من جنس التتر المجاهدين في سبيل الشيطان، ومثل هذا ليس من المجاهدين في سبيل الله تعالى، ولا من جند المسلمين، بل هؤلاء من عسكر الشيطان"(١)

ومعلوم أن الاختلاف في وجهات النظر كائن لا بد منه، لاختلاف المدارك والفهوم ولكن المذموم منه ما أدى إلى التحزب المقيت المشتمل على البغي والظلم..

كما يقول ابن القيم -رحمه الله-: "وقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لابد منه لتفاوت إرادتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم، ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه وإلا إذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباين والتحزب، وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله، لم يضر ذلك الاختلاف، فإنه أمر لابد منه في النشأة الإنسانية..

ولكن إذا كان الأصل واحداً والغاية المطلوبة واحدة والطريق المسلوكة واحدة لم يكد يقع اختلاف، وإن وقع كان اختلافاً لا يضر كما تقدم من اختلاف الصحابة، فإن الأصل الذي بنوا عليه واحد وهو كتاب الله وسنة رسوله، والقصد واحد وهو طاعة الله ورسوله، والطريق واحد، وهو النظر في أدلة القرآن والسنة وتقديمها على كل قول ورأي وقياس وذوق وسياسة"(٢)، بل قد يكون هذا التفرق الذي يحصل بين الدعاة والذي منشأه الظلم والبغي هو سبب تسلط الأعداء على أمة الإسلام كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بقوله: "وهذا التفريق الذي حصل من الأمة: علمائها و مشائخها، وأمرائها وكبرائها هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها، وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله كما قال تعالى: ((وَمِنَ

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة ١٩٩٥م ٢٨/ ٢٠ .

(٢) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن القيم، ت: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة – الرياض، ط:٣، ١٤١٨–١٩٩٨ ٢/ ٥١٩ .

الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ))[1] ، فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرّق القوم هلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا؛ فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب.."[2]

وبعد هذه التوطئة الموجزة نستعرض سوياً بعض هذه الأخطاء التي قد وقع ويقع فيها بعض الدعاة إلى الله في طريقة تحقيق المقاصد الدعوية لعل الله أن يبصرنا ويهدينا سواء الصراط إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، وما توفيقي إلا بالله العظيم عليه توكلت وإليه أنيب.

* * *

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤١.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة ١٩٩٥م ٣/ ٤٢١ .

المطلب الأول:

أثر الفهم الخاطئ في تطبيق مقصد تحقيق مقتضى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

وفيه مسائل:

المسألة الأولى:

تصحيح الخطأ الواقع في مفهوم معنى "الإله" في كلمة التوحيد "لا إله إلا الله".

المسألة الثانية:

ضعف تركيز بعض الدعاة إلى الله على قضية التوحيد.

المسألة الثالثة:

موقف الدعاة إلى الله من مسألة الغلو في التكفير والتبديع والتفسيق.

• مدخل:

إن الدعاة اليوم إلى الله تعالى بجميع طوائفهم ومناهجهم ليدّع كل واحد منهم أنه يدعو الناس إلى " لا إله إلا الله" ويرفع شعارها عالياً وبعضهم وللأسف الشديد لا يعرف معنى هذه الكلمة العظيمة التي قامت بها الأرض والسماوات، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله رسله، وأنزل كتبه وشرع شرائعه، ولأجلها نصبت الموازين ، ووضعت الدواوين وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى مؤمنين وكفار، فهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نصبت القبلة، وعليها أسست الملة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، ولا يفهم ما تدل عليه والله المستعان !!

والدليل على ذلك انتشار الشرك في كثير من بلاد المسلمين اليوم، واستعلاء أمره وحكمه على البلاد والعباد، الشرك بكل أنواعه وأصنافه وضروبه، شرك القبور وتفشي عبادة الأولياء والأضرحة ودعاءهم من دون الله تعالى والاستغاثة بهم ومساواتهم بالخالق سبحانه، وانتشار ذلك حتى لم يكد يسلم منه قطر ولا مصر، وعظمت المصيبة باعتبار الناس مظاهر الشرك والبدع ديناً يتقربون به إلى الله..!!

وعم كذلك الشرك الناتج عن المفاهيم الوثنية السائدة بين الناس في هذا الزمان، كالديمقراطية، والإنسانية، والقومية، والوطنية، والتي تغيّب الولاء العقدي الديني، والتي فيها وعليها تعقد المحبة والولاء والبراء، والحقوق والواجبات..

وهذه مفسدة لا تعلوها مفسدة، وظلم لا يعلوه ظلم، كما قال تعالى: ((إن الشرك لظلم عظيم))(١).

وقال تعالى: ((وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ))(٢) ؛ الفتنة أي: الشرك والكفر..

---

(١) سورة لقمان، الآية١٣ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩١.

وقال: ((إِنَّ اللهَّ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهَّ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً))[1].

وقد سئل الرسول -صلى الله عليه وسلم-: " أي الذنب أعظم فقال: أن تجعل لله ندا وقد خلقك.."[2]، ولعظم هذا الأمر كانت حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- كلها حافلة ببيان التوحيد والتحذير من الشرك والبراءة من أهله، حيث كان يعلِّم أصحابه حدوده وقواعده منذ مبدأ بعثته إلى أن توفاه الله عز وجل وهو يدعو إلى التوحيد، حتى أنه في اللحظات الأخيرة كان همه الأكبر الذي يحرص على بيانه وإيضاحه بشكل جلي لا خفاء فيه ولا غموض هو حماية جناب التوحيد من الشرك والبدع ؛ كما جاء في الصحيحين عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "لما نزل برسول الله -صلى الله عليه وسلم- طفق يطرح خميصة على وجهه، فإذا أغتم كشفها عن وجهه، فقال -وهو كذلك-: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر ما صنعوا !!"[3]

والناظر في واقع الأمة الإسلامية اليوم ليجد أنها أصيبت في أعظم ما تملك ألا وهو التوحيد والعقيدة، -إلا من رحم الله- والله المستعان، وسنحاول بإذن الله تعالى أن نقدم شيئاً في بيان ما وقع من خطأ وشطط في بعض المفاهيم المتعلقة بكلمة التوحيد -لا إله إلا الله- وما يتعلق بتوحيد العبادة -الألوهية- والذي وقع في مفهومه الخلط في العصور المتأخرة إلى زماننا هذا والله نسأل أن يهدينا ويسددنا إنه سميع مجيب.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل ٣/ ١٢٧٣ رقم (٣٢٦٧)، وأخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهى عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهى عن اتخاذ القبور مساجد١/ ٣٧٧ رقم (٥٣١).

المسألة الأولى:

تصحيح الخطأ الواقع في مفهوم معنى "الإله" في كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"

إن الذي دلت عليه لغة العرب وجاءت به الآيات البينات الواضحات في محكم التنزيل أن معنى **"الإله" هو: المعبود** على وزن فعال بمعنى مفعول، وإله بمعنى مألوه يعني معبود؛ لأن الإلهة بمعنى العبادة، والألوهة بمعنى العبودية، وأصلها من أَلَهَ يَأْلَهُ، إِلَهَةً، وألوهة؛ إذا عبد مع الحب والخوف والرجاء..

جاء في لسان العرب: "قال أَبو الهيثم: فالله أَصله إلاهٌ قال الله -عز وجل- : ((ما اتَّخذ اللهُ من وَلَدٍ وما كان معه من إلَـهٍ إذاً لَذَهَبَ كُلُّ إلَـهٍ بما خَلَقَ))[1]، قال: ولا يكون إلَهاً حتى يكون مَعْبُوداً وحتى يكونَ لعابده خالقاً ورازقاً ومُدبِّراً وعليه مقتدراً فمن لم يكن كذلك فليس بإله وإِن عُبِدَ ظُلْماً بل هو مخلوق ومُتَعَبَّد.. قال: وأَصل إلَـهٍ وِلاهٌ فقلبت الواو همزة كما قالوا للوِشاح إشاحٌ وللوِجاحِ وهو السِّتْر إِجاحٌ ومعنى ولاهٍ: أَن الخَلْقَ يَوْلَهُون إليه في حوائجهم ويَضْرَعُون إليه فيما يصيبهم ويَفْزَعون إليه في كل ما ينوبهم كما يَوْلَهُ كل طِفْل إلى أُمه وقد سمت العرب الشمس لما عبدوها إلاهَةً..

وقد قرئ: ((ويَذَرَكَ وآلِهَتَكَ))[2] وقرأَ ابن عباس: ((ويَذَرَك وإِلاهَتَك)) بكسر الهمزة أَي: وعبادتك وهذه الأَخيرة عند ثعلب كأَنها هي المختارة قال: لأَن فرعون كان يُعْبَدُ ولا يَعْبُدُ فهو على هذا ذو إلاهَةٍ لا ذو آلِهة والقراءة الأُولى أَكثر والقُرّاء عليها قال ابن بري: يُقَوِّي ما

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٧.

ذهب إليه ابن عباس في قراءته ((ويذرك وإِلاهَتَك)) قولُ فرعون: ((أَنا ربكم الأَعلى))[1] .

وقوله: ((ما علمتُ لكم من إله غيري))[2]، ولهذا قال سبحانه: ((فأَخذه اللهُ نكالَ الآخرةِ والأُولى))[3] وهو الذي أَشار إِليه الجوهري بقوله عن ابن عباس: إن فرعون كان يُعْبَدُ..

وكانت العرب في الجاهلية يَدْعُونَ معبوداتهم من الأَوثان والأَصنام آلهةً وهي جمع إلاهة..

ولفظ الجلالة "الله" أَصله إلاهٌ على فِعالٍ بمعنى مفعول لأَنه: مأْلُوه أَي: معبود كقولنا إمامٌ فِعَالٌ بمعنى مَفْعول لأَنه مُؤْتَمّ به فلما أُدخلت عليه الأَلف واللام حذفت الهمزة تخفيفاً لكثرته في الكلام..

و"التَّأَلُّهُ": التَّنَسُّك والتَّعَبُّد والتأْليهُ التَّعْبيد قال رؤبة بن العجاج التميمي:

لله دَرُّ الغَانِياتِ المُدَّهِ   سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ من تأَلُّهِي"[4]

فيكون "لا إله" أي: "لا معبود"، هذا هو الموافق للغة العرب ولما جاء في القرآن الحكيم قال تعالى: ((الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ*أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَّ))[5] وهذا مطابق تماما لما جاء من عند الله تعالى ومفسرا لكلمة التوحيد العظيمة "لا إله إلا الله" بقوله تعالى: ((أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَّ))، وقال جل وعلا: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَّ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ))[6] وقوله: (مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) أتى بعد أمرهم بعبادة

(١) سورة النازعات، الآية: ٢٤.

(٢) سورة القصص، الآية: ٣٨.

(٣) سورة النازعات، الآية: ٢٥.

(٤) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر- بيروت، ط:١ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ١٣/ ٤٦٧.

(٥) سورة هود، الآية: ١-٢.

(٦) سورة المؤمنون، الآية:٢٣.

الله جل وعلا وحده دون ما سواه، فهذا معنى الإله، وهذا معنى لا إله، أي: لا معبود، فهذا التفسير تفسير من القرآن، تفسير جاء من الله جل وعلا ومن نبيه صلى الله عليه وسلم، ليس تفسيرا اجتهاديا كما يزعمه الخرافيون وأعداء التوحيد..

وعلى ذلك يكون **إعراب "لا إله إلا الله" الصحيح هو:**

لا: نافية للجنس.

إله: اسم "لا" منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

خبرها: محذوف لظهور العلم به وكثيرا ما يحذف خبر لا

قال محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي -رحمه الله-:

وَشَاعَ فِي ذَا الْبَابِ إِسْقَاطُ الخَبَر   إِذَا المُرَادُ مَعْ سُقُوطِهِ ظَهَر

بل قال بعض النحاة: دائما يحذف..

وتقدير الخبر هنا (بحق) أو (حق).

إلا: أداة استثناء أو حصر.

لفظ الجلالة "الله": بدل من الضمير المستتر في خبر لا المحذوف.

فيكون معنى (لا إله إلا الله) الحق هو: (لا معبود بحق إلا الله)

ومن الواضح أن المشركين لم ينازعوا في وجود آلهة أخرى يعلمون أن هناك آلهة كثيرة موجودة، لهذا لا يصح أن يقال: أن خبر (لا إله) موجود؛ لأنهم قالوا ((أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا))[1] لو كان خبر (لا إله) موجود، قالوا له هذه الآلهة موجودة، فكلمتك هذه ليست بصحيحة، لكن الخبر معلوم لأنه زبدة الرسالة، وهو ما قدره علماء التوحيد هنا (بحق) أو (حق) بدون الباء، وذلك لأن خبر (لا) إذا حذف قُدر بالمناسب الذي يعلم، وإذا حذف الخبر كان لأجل العلم به ولوضوحه، وهنا الخبر واضح لأنه هو زبدة الرسالة ؛ زبدة ما بعث به

(١) سورة ص، الآية:٥.

النبي صلى الله عليه وسلم، بل هو عين ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم، أن يكون تقدير الكلام: (لا معبود حق إلا الله)، لأن النبي عليه الصلاة والسلام بُعث لتوحيد الله جل وعلا بالعبادة ولإبطال عبادة غيره، وأنه (لا معبود حق إلا الله) وأن كل معبود سوى الله جل وعلا فعبادته بالباطل والظلم والطغيان والتعدي من الخلق، وذلك لأن الله جل وعلا قال: ((ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَّ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَّ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ))[1] .

وقال في سورة لقمان: ((ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَّ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ))، فلما كانت هذه الآية وقد جاءت في القرآن في سورتين مشتملة على أن عبادة الله حق، وأن عبادة غيره باطلة، ناسب أن يكون المحذوف هنا كلمة (حق) أو كلمة (بحق) ؛ لا إله بحق أو لا إله حق، لأنها هي التي دلت عليها الآيات..

إذن فصار معنى لا إله إلا الله (لا أحد يستحق العبادة إلا الله جل وعلا)، (لا معبود بحق إلا الله)، هناك معبودات غير الله عز وجل، ولكنها معبودات بالباطل، وصار التقدير هذا من أنسب ما يكون..

فالذي يقول: لا إله إلا الله، يعني: أنفي جميع ما يعبد من دون الله، وأُثبت العبادة لله وحده، لأن لا إله إلا الله (نفي) و (إثبات) ؛ نفي لاستحقاق العبادة عما سوى الله وإثبات للعبادة المستحقة لله جل وعلا..

لذلك فإن من الأسباب التي كان لها الأثر البالغ في فتح باب الشرك على المسلمين هو: عدم فهم بعض الدعاة إلى الله -من قرون عدة إلى وقتنا هذا- الفهم الصحيح لمدلول هذه الكلمة " الإله "، التي عليها ينبني تفسير كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" حتى فسروها على خلاف معناها الشرعي !!

حتى انتشر بين كثير من طوائف المسلمين اليوم أن "الإله" بمعنى: القادر على

---

(١) سورة الحج، الآية:٦٢.

الاختراع!!

أو هو: المستغني عما سواه، المفتقر إليه كل من عداه !!

ففسروا الألوهية بالربوبية، ومن المعلوم أن دلالة لا إلَه إلاّ الله على هذا، دلالة التزام وتضمن..

ومن ثم أخطأوا في إعراب لفظ "الإله" في كلمة التوحيد العظيمة "لا إله إلا الله" حيث أخطأوا في تقدير خبر "لا" النافية للجنس فقدروا خبرها بـ "موجود" فقالوا: لا إله موجود ؛ أو بمعنى آخر: لا قادر على الاختراع والخلق موجود إلا الله ، أو: لا مستغنيا عما سواه ولا مفتقرا إليه كل ما عداه موجود إلا الله ؛ لأن الخلق جميعا محتاجون إلى غيرهم"وهذا الذي قالوه هو الذي فتح باب الشرك في المسلمين ؛ لأنهم ظنوا أن التوحيد هو إفراد الله بالربوبية، فإذا اعتقد –المكلف- أن القادر على الاختراع هو الله وحده صار موحدا، إذا اعتقد أن المستغني عما سواه والمفتقر إليه كل ما عداه هو الله وحده صار عندهم موحدا !!

وبعضهم يفسر الإله بتفسير آخر يرجع إلى معنى الربوبية ولهذا لا يكفرون من أشرك مع الله جل وعلا إله آخر في العبادة، يقولون ما دام أنه مقر بتوحيد الربوبية، وبأن الله جل وعلا هو المتوحّد في أفعاله ؛ برَزقه وإحيائه وإماتته، وفي تدبيره الأمر، وفي ملكه، وفيما يفعل، فإن هذا مؤمن !! وهذا باطل..

يقول أحد كبار وأئمة الأشاعرة وهو السَّنوسي(1) في كتابه المعروف بأم البراهين في العقائد الأشعرية: "فالإله هو المستغني عما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه." يقول: فمعنى لا إله

(1) محمد بن يوسف بن عمر السنوسي الحسني –من جهة الأم- ، (٨٣٢ - ٨٩٥ هـ = ١٤٢٨ -١٤٩٠م): عالم تلمسان في عصره.. له تصانيف كثيرة، منها (شرح صحيح البخاري) لم يكمله، و (تفسير سورة ص وما بعدها من السور) و (عقيدة أهل التوحيد) ويسمى العقيدة الكبرى،و(أم البراهين) ويسمى العقيدة الصغرى، و(مختصر في علم المنطق).. (الأعلام للزركلي ٧/ ١٥٤).

إلا الله لا مستغنيا عما سواه، ولا مفتقرا إليه كلّ ما عداه إلا الله. فصار معنى كلمة التوحيد " لا إلَه إلاّ الله" عندهم هو: توحيد الله -جل وعلا- في ربوبيته !! وهذا من أبطل الباطل!!

لأن المشركين قد أخبر الله جل وعلا في كتابه بأنهم مقرون بهذا الذي جعله معنى كلمة التوحيد، أرأيتم أبا جهل وصحبه ألم يكونوا موقنين بأنه لا مستغنيا عما سواه ولا مفتقرا إليه كل ما عداه إلا الله؟ هم يؤمنون بذلك كما بينه الله جل وعلا في القرآن في آيات كثيرة جدا كقوله تعالى: ((وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ))(١) ، وقوله: ((وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ))(٢) ، وقوله: ((قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ)) إلى آخر الآية قال: ((فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ))(٣) ، وقوله: ((قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ))(٤).

وقوله: ((قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ))(٥) إلى آخر ما جاء في هذه الآيات(٦).

ويقول الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين(٧) -رحمه الله تعالى-: "جميع العلماء من المفسرين، وشرّاح الحديث والفقه وغيرهم يفسرون "الإله" بأنه: "المعبود"، وإنما

---

(١) سورة العنكبوت، الآية:٦١.

(٢) سورة الزخرف، الآية:٨٧.

(٣) سورة يونس، الآية:٣١.

(٤) سورة المؤمنون، الآية:٨٦.

(٥) سورة المؤمنون، الآيات:٨٨-٨٩.

(٦) انظر: شرح كتاب التوحيد للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ دورة علمية: http://www.taimiah.org/

(٧) عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين (١١٩٤ - ١٢٨٢ هـ = ١٧٨٠ - ١٨٦٥م): فقيه الديار النجدية في عصره، ولد في الروضة (من قرى سدير) ورحل إلى الشام، وعاد، فولي قضاء الطائف، ثم قضاء عنيزة وبلدان القصيم سنة ١٢٤٨ هـ له "مجموعة رسائل وفتاوى" و " مختصر بدائع الفوائد " و " الانتصار للحنابلة " و "تأسيس التقديس في كشف شبهات ابن جرجيس" .. (الأعلام للزركلي ٤/ ٩٦).

غلط في ذلك بعض أئمة المتكلمين، فظن أن "الإله" هو: "القادر على الاختراع"، وهذه زلة عظيمة، وغلط فاحش، إذا تصوره العامي العاقل، تبين له بطلانه، وكأنَّ هذا القائل، لم يستحضر ما حكاه الله عن المشركين، في مواضع من كتابه، ولم يعلم أن مشركي العرب، وغيرهم، يقرون بأن الإله هو القادر على الاختراع، وهم مع ذلك مشركون..!!

ومن أبعد الأشياء: أن عاقلاً يمتنعُ من التلفظ بكلمة يقرُّ بمعناها، ويعترف به ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً، هذا ما لا يفعله من له أدنى مسكة من عقل..!!

ويقول أبو العباس ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: "ليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين، حيث ظن أن الألوهية هي القدرة على الاختراع، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع، دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا الله، فإن المشركين كانوا يقرون بهذا التوحيد، كما قال تعالى: ((وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ))(١) .

وقال تعالى: ((قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ))(٢) ، وقال تعالى: ((وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ))(٣).

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: تسألهم، من خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: الله، وهم مع هذا يعبدون غيره..!!

وهذا التوحيد، من التوحيد الواجب، لكن لا يحصل به الواجب، ولا يخلص بمجرده عن الإشراك، الذي هو أكبر الكبائر، الذي لا يغفره الله، بل لابد أن يخلص لله الدين، فلا يعبد إلا إياه، فيكون دينه لله، والإله، هو المألوه، الذي تألهه القلوب، فهو إله بمعنى مألوه لا بمعنى

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٨.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ٨٤-٨٥.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

آله"[1].

ويقول العلامة الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب[2] -رحمه الله- في كتابه الفريد "تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد": "فتبا لمن كان أبو جهل ورأس الكفر من قريش وغيرهم أعلم منه بـ "لا إله إلا الله" ...

وعباد القبور لما رأوا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دعا قومه إلى قول لا إله إلا الله ظنوا أنه إنما دعاهم إلى النطق بها فقط وهذا جهل عظيم !! وهو عليه السلام إنما دعاهم إليها ليقولوها ويعملوا بمعناها ويتركوا عبادة غير الله ولهذا قالوا: ((أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ))[3]، وقالوا: ((أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ))[4]، فلهذا أبوا عن النطق بها وإلا فلو قالوها وبقوا على عبادة اللات والعزى ومناة لم يكونوا مسلمين ولقاتلهم عليه السلام حتى يخلعوا الأنداد ويتركوا عبادتها ويعبدوا الله وحده لا شريك له وهذا أمر معلوم بالاضطرار من الكتاب والسنة والإجماع، وأما عباد القبور فلم يعرفوا معنى هذه الكلمة ولا عرفوا الإلهية المنفية عن غير الله الثابتة له وحده لا شريك له بل لم يعرفوا من معناه إلا ما أقربه المؤمن والكافر واجتمع عليه الخلق كلهم من أن معناها: لا قادر على الاختراع أو أن معناها

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، دار القاسم - الرياض ط:٦ ١٤١٧هـ-١٩٩٦م ٢/ ٢٣٩

(٢) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، من آل الشيخ (١٢٠٠ - ١٢٣٣ هـ = ١٧٨٦ - ١٨١٨م): من حفدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مولده بالدرعية، كان بارعا في التفسير والحديث والفقه، وشى به بعض المنافقين إلى إبراهيم (باشا) ابن محمد علي، بعد دخوله الدرعية واستيلائه عليها، فأحضره إبراهيم، وأظهر بين يديه آلات اللهو والمنكر إغاظة له، ثم أخرجه إلى المقبرة وأمر العساكر أن يطلقوا عليه الرصاص جميعا، فمزقوا جسمه -رحمه الله رحمة واسعة- له: (تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد) والأصل من تأليف جده، من بعده، وأكمله، و (أوثق عرى الإيمان).. (الأعلام للزركلي ٣/ ١٢٩).

(٣) سورة الصافات، الآية: ٣٦.

(٤) سورة ص، الآية: ٥.

الإله هو: الغني عما سواه الفقير اليه كل ما عداه ونحو ذلك فهذا حق وهو من لوازم الإلهية ولكن ليس هو المراد بمعنى لا إله إلا الله فان هذا القدر قد عرفه الكفار وأقروا به ولم يدعوا في آلهتهم شيئا من ذلك بل يقرون بفقرهم وحاجتهم إلى الله وإنما كانوا يعبدونهم على معنى:

أنهم وسائط وشفعاء عند الله في تحصيل المطالب ونجاح المآرب وإلا فقد سلموا الخلق والملك والرزق والإحياء والإماتة والأمر كله لله وحده لا شريك له وقد عرفوا معنى لا إله إلا الله وأبوا عن النطق والعمل بها فلم ينفعهم توحيد الربوبية مع الشرك في الإلهية كما قال تعالى: ((وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ))[1]، وعباد القبور نطقوا بها وجهلوا معناها وأبوا عن الإتيان به... وكثير منهم وأكثرهم يرى أن الاستغاثة بإلهه الذي يعبده عند قبره أو غيره أنفع وأنجح من الاستغاثة بالله في المسجد ويصرحون بذلك والحكايات عنهم بذلك فيها أطول وهذا أمر ما بلغ إليه شرك الأولين وكلهم إذا أصابتهم الشدائد أخلصوا للمدفونين في التراب وهتفوا بأسمائهم ودعوهم ليكشفوا ضر المصاب في البر والبحر والسفر والإياب وهذا أمر ما فعله الأولون بل هم في هذه الحال يخلصون للكبير المتعال فاقرأ قوله تعالى: ((فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ))[2] الآية وقوله: ((ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ))[3]، وكثير منهم قد عطلوا المساجد وعمروا القبور والمشاهد فإذا قصد أحدهم القبر الذي يعظمه أخذ في دعاء صاحبه باكيا خاشعا ذليلا خاضعا بحيث لا يحصل له ذلك في الجمعة والجماعات وقيام الليل وإدبار الصلوات فيسألونهم مغفرة الذنوب وتفريج الكروب والنجاة من النار وأن يحطوا عنهم الأوزار فكيف يظن عاقل فضلا عن عالم أن التلفظ بلا إله إلا الله مع هذه الأمور تنفعهم وهم

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥ .

(٣) سورة النحل، الآيات: ٥٣-٥٤.

إنما قالوها بألسنتهم وخالفوها باعتقادهم وأعمالهم ولا ريب أنه لو قالها أحد من المشركين ونطق أيضا بشهادة أن محمدا رسول الله ولم يعرف معنى "الإله" ولا معنى "الرسول" وصلى وصام وحج ولا يدري ما ذلك إلا أنه رأى الناس يفعلونه فتابعهم ولم يفعل شيئا من الشرك فانه لا يشك أحد في عدم إسلامه... "[1]

وليس بعد كلام هذا الجهبذ من تعليق فقد أورد ما يشفي العليل ويروي الغليل بعبارة سهلة واضحة مع اعتناء منه بذكر الدليل والتعليل فأبان ووضح وفنّد ورد شبهات المبطلين بأتم وأبلغ بيان، فرحمه الله رحمة واسعة وغفر له وجزاه جزاء العلماء الشهداء المخلصين الصابرين ونفعنا الله بعلمه وبما قال من الحق إنه سميع قريب مجيب.

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله آل الشيخ، ت: أسامة العتيبي، دار الصميعي – الرياض ط:١ ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م ص: ٥٦-٦١.

المسألة الثانية:

ضعف تركيز بعض الدعاة إلى الله على قضية التوحيد.

التوحيد هو أول الدين وآخره وظاهره وباطنه وقطب رحاه، وهو أصل العلوم وبابها، ومنزلته من الدين كمنزلة الرأس من سائر الجسد، وهو حق الله تعالى فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي -صلى الله عليه وسلم- على حمار فقال لي: "يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ ، فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا"[1]، فهو أعظم الحقوق على الإطلاق وكل الحقوق إنما هي متفرعة من هذا الحق العظيم، لذا فإن التوحيد هو أول ما يجب على الدعاة إلى الله أن يبدءوا به دعوتهم وهو أول ما دعا إليه الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- أتباعهم "يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره"، كما قال تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ))[2].

وقال -صلى الله عليه وسلم- لمعاذ بن جبل -رضي الله عنه- عندما أرسله إلى اليمن: "فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله.."[3] .

فهي البداية وهي الأساس وهي المعتبرة في قبول الأعمال وردها وصحتها أو بُطلانها..

قال تعالى: ((وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِينَ))[4].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الاستئذان، باب: من أجاب بلبيك وسعديك ٥/ ٢٣١٢ رقم (٥٩١٢)، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ١/ ٥٨ رقم (٣٠).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٣) تقدم تخريجه (ص ٩٩).

(٤) سورة الزمر، الآيات: ٦٥، ٦٦.

فإذا كان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحذر رسوله ومصطفاه وخيرته من خلقة إمام الموحدين وقد بعثه الله تبارك وتعالى رحمة للعالمين، وليحقق كلمة التوحيد ويدعو إليها يذكره ويحذره من الشرك فما الظن بالدعاة إلى الله الضعفاء سواه !! ، فالواجب عليهم أشد في تحرى معرفة التوحيد، ومعرفة ضده وهو الشرك..

ولقد جاء الخبر الصادق في محكم التنزيل أن الأمة إذا ابتعدت عن التوحيد فإن الخوف يحل محل الأمن، والذلة والهوان محل العزة والتمكين، والفرقة محل الاجتماع، والجوع محل الشبع، والقحط محل الرغد، وهذا من أوضح الواضحات في كتاب ربنا الذي هو النور والهدى لمن آمن به وجعله واقعا حيا في جميع شؤون حياته، قال العزيز الحكيم: ((وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ))[(١)].

وقال تعالى: ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ))[(٢)] .

وقال تعالى: ((الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ))[(٣)]

وقال: ((وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ))[(٤)].

فمن أراد أن يحل الأمن محل الخوف، والعزة والتمكين محل الذلة والهوان، والتآخي

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٢) سورة الأعراف ، الآية: ٩٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

(٤) سورة النحل، الآية:١١٢.

والتعاون والاجتماع محل الفرقة والتنازع فعليه بتحقيق التوحيد والدعوة إليه والعمل الدؤوب لتطبيقه في واقع الناس وحياتهم العملية والاهتمام بتصحيح العقيدة وجعلها في قائمة أوليات الدعوة إلى الله وعدم الانشغال عنها بقضايا فرعية يستوي فيها هو ودعاة الملل الأخرى !!

ولا يؤلف بين المسلمين اليوم ولا ويردهم إلى وحدتهم وقوتهم وتآلفهم ولا يصحح منهجهم إلا ما كان عليه نبيهم -صلى الله عليه وسلم- وصحبه الكرام -رضوان الله عليه-، قال الإمام مالك -رحمه الله-: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها"[1] .

وفي واقع الأمة اليوم نرى من أعظم أسباب ضعف التوحيد لدى بعض المسلمين اليوم:

ضعف تركيز بعض الدعاة إلى الله على التوحيد في الدعوة والتربية والتقليل من شأنه بلسان مقالهم أو بلسان حالهم، بلسان المقال بقولهم: نحن مسلمون موحدون فهمنا التوحيد وعرفناه ولا نحتاج التركيز عليه !! وما دروا أن الدعوة إلى التوحيد على ضربين:

الأولى: دعوة لإخراج الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، وهذا إنما يكون مع المشركين كما هو الحال في دعوة الأنبياء وأممهم، وكما حصل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم في العهد المكي، وكما حصل له صلى الله عليه وسلم عندما أرسل معاذاً إلى أهل اليمن ليدعوهم إلى التوحيد..

والثانية: دعوة إلى التوحيد لإتمامه وإكماله، وهذا قد حصل في المجتمع المدني، فقد كان صلى الله عليه وسلم يعلمهم التوحيد وما تفرع منه، وينهاهم عن نواقضه ومفسداته، مع أنهم أعرف الناس بالله تعالى ودينه وشرعه رضي الله عنهم، وقد كان صلى الله عليه وسلم ينهاهم عن جميع مفسدات التوحيد القولية والعملية، سواء ما كان يتعلق بمظاهره أو بمقاصده، وقد بقي -صلى الله عليه وسلم- على هذا الأمر إلى آخر لحظات حياته -صلى الله عليه وسلم-،

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، ت: علي البجّاوي، دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م (٢/ ٧٢).

ففي آخر لحظات حياته ينهاهم عن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد، ويحذرهم مما صنع أهل الكتاب بقبور أنبيائهم وصالحيهم، فمن الغلط أن نظن أن من قال: لا إله إلا الله فقد انخلع ما في قلبه من رواسب الجاهلية وأدران الشرك بمجرد أن ينطق بها بعد أن عاش أعواماً على الشرك بجميع أصنافه، لأن هذا النطق لوحده لا يكفي، بل الواجب على العبد أن يحرص - مع قوله لهذه الكلمة - على معرفة معناها، وتجنب مفسداتها ونواقضها، لأن مجرد النطق بكلمة التوحيد دون معرفة معانيها لا توصل العبد إلى العبودية التي يحبها الله، والتي خلق الخلق لأجلها..

فالدعوة إلى التوحيد في المجتمعات الشركية: دعوة تصحيح وتأصيل، والدعوة في المجتمعات الإسلامية: دعوة إتمام وتكميل..

أما بلسان الحال: فباهتمامهم بمواضيع فرعية ومواضيع هي من متممات الأخلاق والسلوك، حتى بلغ الحال ببعض من يطلق عليهم بـ "الدعاة الجدد" في هذا الزمان التركيز على المواضيع التي تشترك فيها ما يسمونه بـ "الديانات السماوية" من غير أن يتطرقوا لأي موضوع يسبب زرع البغضاء والكراهية بين بني الإنسان زعموا كمواضيع: "الصدق" و "الأمانة" و "العدل" و "الحب والسلام" ونحوها من المواضيع التي لا تتعارض مع العقيدة الإسلامية، متأثرين بما يبثه ويروجه أعداءُ الإسلام وأعداء التوحيد في وسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمرئية والمسموعة والتي يسيطر عليها أعداء الله والتي تزهّد الناس وتنفّرهم من العقيدة الصحيحة بل وتصف من يهتم بها أنهم أهل غلو وتطرف وتكفير وإرهاب ومن ثم تؤثر هذا الرسائل السلبية على الدعاة وترهبهم وتخوفهم من الكلام أو الاهتمام بأي موضوع في العقيدة والتوحيد يمس سياسة صناع القرار في العالم، فيزهدوا في الدعوة إلي العقيدة أو لا يركزون في دعوتهم عليها ولا يحبوا الخوض والكلام فيها لأن لا يتهم أحدهم بأنه متشدد أو متطرف أو تكفيري أو إرهابي أو طالباني أو.. أو...

إلى آخر ألقاب الذين كفروا للذين آمنوا، ومن ثم "يبتعد الداعي عن النهج الصحيح فلا يهتم بأمور العقيدة، ويهوى الخوض فيما يهواه الناس ولا يكلفهم شيئاً، كالخوض فيما تعورف

عليه من أمور ما يسمى بالسياسة والثرثرة فيها، وتحليل الأمور تحليلاً بعيداً عن مفاهيم العقيدة وشمولها، كل ذلك يفعله الداعي استجابة لرغبات الناس أو لرغبة في نفسه هو، وهذا النهج خطأ لأن الداعي لا يأتي بشيء جديد لا يعرفه الناس، بل قد يناقشونه فيما يقوله ويدعيه، فينجر الداعي إلى أمور بعيدة عن أصل الداء والدواء، وهو الانحراف عن العقيدة الإسلامية ولزوم تعميق معانيها في النفوس، ونتيجة ذلك بقاء أصل الداء والسير في البناء من السطح أو بلا أساس"(١) وبعضهم اليوم يركز في دعوته على المواضيع التي هي بمثابة الوسائل المعينة في الدعوة فصارت هي الغاية لديه من دعوة الناس ومخاطبتهم حتى استغرقت وقت دعوته وعمرها فيقضيها في تعلم وتعليم دورات لو كان جاهلا بها لما نقص من علمه شيء كيف وقد يهتم بأمور اختلطت بأديان باطلة كدورات ما يسمى بـ"البرمجة العصبية" ودورات "تطوير الذات" وغيرها مما قد يستفاد منه في فن دعوة الناس وهدايتهم، وكل هذا باسم الإسلام وما عرفوا وربي حقيقة دعوة الإسلام التي يدعون الناس إليها !!

إن العقيدة هي الأساس والركيزة لأية دعوة وإذا بدأت أي دعوة باستثارة العواطف بالإسلام وأخلاقياته والمطالبة بتطبيق شريعته دون البدء والتركيز على العقيدة، فكأنها بنت بيتًا جميلاً مستوفيًا المرافق واكتملت مظاهره الخارجية من نوافذ وطلاء دون أساس متين..

ثم مع هبوب أول عاصفة أطاحت به وخر البيت على من فيه لماذا؟!

لأن البيت بني بصورته المتكاملة الظاهرية، ولم يقم بناؤه ببناء الأساس، والأساس هنا والذي أقصده هو العقيدة، تمامًا كما فعل رسول الله صلي الله عليه وسلم والقرآن يتنزل عليه في مكة، كذلك مع الصحابة رضوان الله عليهم، فخرج هذا الجيل الفريد !!

إن دعوة الناس إلى الصدق والأمانة ومحاربة البطالة والفساد الاجتماعي وتطوير الذات

---

(١) أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط:٣ ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م ص: ٤٢٥.

شيء جميل ومطلوب، وهي شيء يحبه الإنسان، يحبه المسلم، والنصراني، واليهودي، والوثني، والهندوسي، وغيرهم ممن لا دين له !!

ولكن هل هذه هي أصل الدعوة والرسالة التي أمضى فيها نبي الله نوح عليه السلام ألف سنة إلا خمسين عاما وقد عانى من قومه ما عانى !!

قال تعالى حكاية عنه: ((قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً))[(١)] .

وهل هي دعوة الإسلام التي من أجلها ابتلي خليل الله إبراهيم عليه السلام بالقذف في النار؟!!

لقد "بُعث رسول الله-صلى الله عليه وسلم-والمستوى الأخلاقي في الجزيرة العربية في الدرك الأسفل في جوانب منه شتى.. كان التظالم فاشيا في المجتمع.. وكانت الخمر والميسر من تقاليد المجتمع الفاشية.. وكانت الدعارة- في صور شتى- من معالم هذا المجتمع- شأنه شأن كل مجتمع جاهلي قديم أو حديث وربما قيل: أنه كان قي استطاعة محمد-صلى الله عليه وسلم- أن يعلنها دعوة إصلاحية، تتناول تقويم الأخلاق، وتطهير المجتمع، وتزكية النفوس.... وربما قيل: أنه-صلى الله عليه وسلم- كان واجداً وقتها- كما يجد كل مصلح أخلاقي في أية بيئة- نفوساً طيبة يؤذيها هذا الدنس وتأخذها الأريحية والنخوة لتلبية دعوة الإصلاح والتطهير!! وربما قال قائل: أنه لو صنع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ذلك لاستجابت له- في أول الأمر- جمهرة صالحة، تتطهر أخلاقها، وتزكوا أرواحها، فتصبح أقرب إلى قبول العقيدة وحملها، بدلاً من أن تثير دعوة (لا اله إلا الله) المعارضة القوية منذ أول

---

(١) سورة نوح ، الآيات: ٥-٩.

الطريق، ولكن الله- سبحانه- كان يعلم أن ليس هذا هو الطريق!!

كان يعلم أن الأخلاق لا تقوم على أساس من عقيدة، تضع الموازين، وتقرر القيم، كما تقرر السلطة التي تستند إليها هذه الموازين والقيم، والجزاء الذي تملكه هذه السلطة، وتوقعه على الملتزمين والمخالفين وأنه قبل تقرير هذه العقيدة، وتحديد هذه السلطة تظل القيم كلها متأرجحة وتظل الأخلاق التي تقوم عليها متأرجحة كذلك، بلا ضابط، وبلا سلطان، وبلا جزاء...!!

لما تقررت في القلوب (لا اله إلا الله).. صنع الله بها وبأهلها كل شيء مما يقترحه المقترحون.. تطهرت الأرض من (الرومان والفرس).. لا ليتقرر فيها سلطان (العرب) ولكن ليتقرر فيها سلطان (الله).. لقد تطهرت من سلطان (الطاغوت) كله.. رومانياً، وفارسياً، وعربياً، على السواء !!

وتطهر المجتمع من الظلم الاجتماعي بجملته وقام (النظام الإسلامي)، يعدل بعدل الله، ويزن بميزان الله، ويرفع راية العدالة الاجتماعية باسم الله وحده، ويسميها راية (الإسلام) لا يقرن إليها اسماً آخر ويكتب عليها: (لا اله إلا الله) !!

وتطهرت النفوس والأخلاق، وزكت القلوب والأرواح..

ولقد تم هذا كله لأن الذين أقاموا هذا الدين في صورة دولة ونظام وشرائع وأحكام، كانوا قد أقاموا هذا الدين من قبل في ضمائرهم وفي حياتهم، في صورة عقيدة وخلق وعبادة وسلوك وكانوا قد وُعِدوا على إقامة هذا الدين وعداً واحداً، لا يدخل فيه الغلب والسلطان.. ولا حتى بهذا الدين على أيديهم.. وعداً واحداً لا يتعلق بشيء في هذه الدنيا.. وعداً واحداً هو: الجنة هذا كل وعدوه، على الجهاد المضني، والابتلاء الشاق، والمضي في الدعوة، ومواجهة الجاهلية بالأمر الذي يكرهه أصحاب السلطان في كل زمان وفي كل مكان، وهو: (لا إله إلا الله)، فلما أن ابتلاهم الله فصبروا، ولما أن فرغت نفوسهم من حظ نفوسهم، ولما أن علم الله منهم أنهم لا ينتظرون جزاء في هذه الأرض- كائناً ما كان هذا الجزاء، ولو كان هو انتصار هذه

الدعوة على أيديهم، وقيام هذا الدين في الأرض بجهدهم- ولما لم يعد في نفوسهم اعتزاز بجد ولا قوم، ولا اعتزاز بوطن ولا أرض، ولا اعتزاز بعشيرة ولا بيت.. لما أن علم الله منهم ذلك كله، علم أنهم قد أصبحوا- إذن- أمناء على هذه الأمانة الكبرى.. أمناء على العقيدة، التي يتفرد فيها الله- سبحانه- بالحاكمية في القلوب والضمائر، وفي السلوك والشعائر، وفي الأرواح والأموال، وفي الأوضاع والأحوال.. وأمناء على السلطان الذي يوضع في أيديهم ليقوموا به على شريعة الله ينفذونها، وعلى عدل الله يقيمونه، دون أن يكون لهم من ذلك السلطان شيء لأنفسهم، ولا لعشيرتهم، ولا لقومهم، ولا لجنسهم، إنما يكون السلطان الذي في أيديهم لله، ولدينه وشريعته، لأنهم يعلمون أنه من الله، هو الذي آتاهم إياه، ولم يكن شيء من هذا المنهج المبارك ليتحقق على هذا المستوى الرفيع، إلا أن تبدأ الدعوة ذلك البدء وإلا أن ترفع الدعوة هذه الراية وحدها.. راية لا اله إلا الله.. ولا ترفع معها سواها وإلا أن تسلك الدعوة هذا الطريق الوعر الشاق في ظاهره، المبارك الميسر في حقيقته وما كان هذا المنهج المبارك ليخلص لله، لو أن الدعوة بدأت خطواتها الأولى دعوة قومية، أو دعوة اجتماعية، أو دعوة أخلاقية.. أو رفعت أي شعار بجانب شعارها الواحد: (لا اله إلا الله)"[(١)].

فهل يعي إخواننا الدعاة اليوم معنى الدعوة إلى الله ويهبوا لإنقاذ أمة الإسلام مما اعتراها من انحطاط وتأخر؟!!

وما أجمل ما سطره يراع الأديب مصطفى لطفي المنفلوطي -رحمه الله- في رسالته "دمعة على الإسلام" حيث قال: "جاء الإسلام بعقيدة التوحيد: ليرفع نفوس المسلمين، ويغرس في قلوبهم الشرف والعزة والأنفة والحمية، وليعتق رقابهم من رق العبودية، فلا يذل صغيرهم لكبيرهم، ولا يهاب ضعيفُهم قويَّهم، ولا يكون لذي سلطان بينهم سلطان إلا بالحق

---

(١) معالم في الطريق، سيد قطب، دار الشروق – القاهرة، ط:١٥ ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م ص: ٣٠-٣٢.

والعدل، وقد ترك الإسلام بفضل عقيدة التوحيد ذلك الأثر الصالح في نفوس المسلمين في العصور الأولى، فكانوا ذوي أنفة وعزة، وإباء وغيرة، يضربون على يد الظالم إذا ظلم، ويقولون للسلطان إذا جاوز حده: قف مكانك، ولا تَغْلُ في تقدير مقدار نفسك، فإنما أنت عبد مخلوق لا رب معبود، واعلم أنه لا إله إلا الله !!

هذه صورة من صور نفوس المسلمين في عصر التوحيد، أما اليوم وقد داخل عقيدتهم ما داخلها من الشرك الباطن تارة والظاهر أخرى فقد ذلت رقابهم، وخفقت رؤوسهم، وضرعت نفوسهم، وفترت حَمِيَّتُهم، فرضوا بخطة الخسف، واستناموا إلى المنزلة الدنيا، فوجد أعداؤهم السبيل إليهم، فغلبوهم على أمرهم، وملكوا عليهم نفوسهم وأموالهم ومواطنهم وديارهم ؛ فأصبحوا من الخاسرين....

والله لن يسترجع المسلمون سالف مجدهم، ولن يبلغوا ما يريدون لأنفسهم من سعادة الحياة وهناءتها إلا إذا استرجعوا قبل ذلك ما أضاعوه من عقيدة التوحيد وإن طلوع الشمس من مغربها، وانصباب ماء النهر في منبعه أقرب من رجوع الإسلام إلى سالف مجده ما دام المسلمون يقفون بين يدي الجيلاني كما يقفون بين يدي الله، ويقولون للأول كما يقولون للثاني: "أنت المتصرف في الكائنات، وأنت سيد الأرضين والسموات".

إن الله أغير على نفسه من أن يسعد أقواماً يزدرونه، ويحقرونه، ويتخذونه وراءهم ظهرياً، فإذا نزلت بهم جائحة، أو ألمت بهم ملمة ذكروا الحجر قبل أن يذكروه، ونادوا الجذع قبل أن ينادوه..

يا قادة الأمة ورؤساءها، عَذَرْنا العامة في إشراكها وفساد عقائدها، وقلنا: إن العامي أقصر نظراً، وأضعف بصيرة من أن يتصور الألوهية إلا إذا رآها ماثلة في النصب والأضرحة والقبور، فما عذركم أنتم وأنتم تتلون كتاب الله، وتقرؤون صفاتِه ونعوتَه، وتفهمون معنى

قوله تعالى: ((قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللهُ))[1].

وقوله مخاطباً نبيه: ((قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً))[2].

وقوله: ((وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى))[3].

إنكم تقولون في صباحكم ومسائكم وغدوكم ورواحكم:

وكل خير في اتباع من سلف   وكل شر في ابتداع من خلف[4].

فهل تعلمون أن السلف الصالح كانوا يجصصون قبراً، أو يتوسلون بضريح؟!

وهل تعلمون أن واحداً منهم وقف عند قبر النبي – صلى الله عليه وسلم – أو قبر أحد من أصحابه وآل بيته، يسأله قضاء حاجة، أو تفريج هَم؟!

وهل تعلمون أن الرفاعي والدسوقي والجيلاني والبدوي أكرم عند الله، وأعظم وسيلة إليه من الأنبياء والمرسلين، والصحابة والتابعين؟!

وهل تعلمون أن النبي – صلى الله عليه وسلم – حينما نهى عن إقامة الصور والتماثيل نهى عنها عبثاً ولعباً؟! أم مخافة أن تعيد للمسلمين جاهليتهم الأولى؟!

وأي فرق بين الصور والتماثيل وبين الأضرحة والقبور، ما دام كل منها يجر إلى الشرك، ويفسد عقيدة التوحيد؟!

والله ما جهلتم من هذا، ولكنكم آثرتم الحياة الدنيا على الآخرة؛ فعاقبكم الله على ذلك بسلب نعمتكم، وانتقاض أمركم، وسلط عليكم أعداءكم يسلبون أوطانكم، ويستعبدون

---

(١) سورة النمل، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

(٤) كما في جوهرة التوحيد وهي من أهم متون الأشعرية المتأخرة وينسب البيت لبرهان الدين إبراهيم اللقاني المالكي.

رقابكم، ويخربون دياركم، والله شديد العقاب."[1].

ومن هنا نعرف مقدار الخطأ الذي وقع فيه بعض من الدعاة إلى الله في العصور المتأخرة إلى يومنا هذا وما وقعت فيه بعض الجماعات المعاصرة والتي ترفع شعار الدعوة إلى الله وقد أغفلوا جانب الدعوة إلى التوحيد وتصحيح العقيدة وركزوا في دعوتهم على أمور جانبية أخلاقية وسلوكية، وهم يرون كثيرا من الناس من حولهم يمارسون الشرك الأكبر حول الأضرحة المبنية على القبور في كثير من ديار الإسلام، ويرون القوانين الوضعية يحكم بها وشرع الله يرغب عنه من غير أن يكون لهم إنكار أو نهي عن ما وقع الناس فيه من هذا الظلم العظيم !!

بل قد يكون من بين صفوفهم من المنتسبين لتلك الجماعات من يمارس الشرك ويقلل من شأنه بل وقد يعتبره دينا يتقرب به إلى الله نسأل الله الهدى والسداد ونعوذ به من الزيغ والضلال..

---

(١) الأعمال الكاملة لمصطفى لطفي المنفلوطي "النظرات" دار الهلال – بيروت ط:١ ٢٠٠١م ٢/ ٤٧.

المسألة الثالثة:

موقف الدعاة إلى الله من مسألة الغلو في التكفير والتبديع والتفسيق

إن من المسائل والقضايا الساخنة والمهمة في قاموس الدعوة إلى الله اليوم والتي أُسيء فهمها إما سلباً أو إيجاباً مسألة "التكفير" والتي يرادفها في قاموس فقهاء الإسلام "حكم المرتد" والتي التبس معناها الشرعي الحق على كثير من الدعاة إلى الله اليوم بَلْهَ عامةَ الناس، وتعد هذه المسألة الكبيرة والخطيرة نفياً وإثباتاً من المسائل الجوهرية التي لا بد لكل مسلم وللداعية إلى الله على وجه الخصوص من تحرير محل النزاع فيها !!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "اعلم أن مسائل التكفير والتفسيق هي من مسائل الأسماء والأحكام التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة، وتتعلق بها المولاة والمعاداة والقتل والعصمة، وغير ذلك في الدار الدنيا، فإن الله سبحانه وتعالى أوجب الجنة للمؤمنين وحرم الجنة على الكافرين، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان"(١).

وقال"وكلام الناس في هذا الاسم ومسماه كثير، لأنه قطب الدين الذي يدور عليه وليس في القول اسم علق به السعادة والشقاء، والمدح والذم والثواب والعقاب أعظم من اسم الإيمان والكفر، لذا سمي هذا الأصل مسائل الأسماء والأحكام"(٢).

ومن ثم قصر في معرفة هذه المسألة أقوام فزلت فيها أقدام وضلت فيها أفهام..

وتعتبر هذه المسألة من أوائل مسائل الأصول الكبار التي تنازعت فيها الأمة والتي انقسم أكثر الناس فيها ما بين طرفي نقيض، بين إفراط وتفريط، فغلا قوم فتوسعوا في التكفير

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة ١٩٩٥م ١٢/ ٢٥١ .

(٢) المصدر السابق (١٣/ ٣٤).

ببعض الكبائر، وكفروا غيرهم من المسلمين أهل الإيمان والدين، لأجل مخالفتهم في مذهبهم أو لاعتقادات فاسدة وسوء فهم بعض النصوص، كما فعل الخوارج الذين يكفرون المسلمين بالكبائر ومن تبعهم من المعتزلة أهل البدع، وهم أول من كفر المسلمين، يكفرون بالذنوب، ويكفرون من خالفهم في بدعتهم، ويستحلون دمه وماله، وهذه حال أهل البدع يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم فيها، وأهل السنة والجماعة يتبعون الكتاب والسنة ويطيعون الله ورسوله -صلى الله عليه وآله وسلم- فيتبعون الحق ويرحمون الخلق ومن أعظم ما أوقعهم في بدعتهم هذه قلة الفقه في الدين وسوء فهمهم للقرآن وردهم للمحكمات من النصوص، وأخذهم بالمتشابهات، فأخذوا ببعض الأدلة وتركوا ما سواها، كما وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم"[(1)] .

أي ليس لهم حظ من فهمه وتدبر معانيه، فهم لم يقصدوا معارضة القرآن لكنهم فهموا منه ما لم يدل عليه فظنوا أن القرآن يوجب تكفير أصحاب الذنوب، ومن ذلك على سبيل المثال الغلط الفاحش الذي وقع فيه كثير ممن قل علمهم اليوم حيث أنهم يكفرون بالمآل، أو بلازم القول والمذهب، مع أن لازم المذهب ليس بمذهب كما هو متقرر في علم الأصول، ومن ثم أخطأوا خطأً عظيماً في تطبيق القاعدة الشرعية الصحيحة المجمع عليها "من لم يكفر الكافر فهو كافر" فحكموا بكفر كل من لم يكفر من حكموا عليه هم بالكفر ولو كان حكمهم عن طريق الاجتهاد والتأويل !! ولم يفهموا مراد العلماء بهذه القاعدة والتي تنطبق على الكافر المقطوع بكفره كفرعون -مثلا- أو اليهود والنصارى ومثل المرتد المعلن بردته ونحوهم مما كفره معلوم من الدين بالضرورة أما من كفره محل نزاع وخلاف واجتهاد فلا يقال في حقه من لم يكفر الكافر فهو كافر...فتنبه !!، ولذلك وجد عندهم الخلل في منهج الاستدلال، واستدلوا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب قول الله عز و جل: ((وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر)) ٣/ ١٢١٩ رقم (٣١٦٦) ، وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة ، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم ٢/ ٧٤٠ رقم (١٠٦٣) .

بالآيات الواردة في الكفار وجعلوها في المخالفين لهم من المسلمين، كما قال ابن عمر رضي الله عنهما فيهم: "انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين"(١).

وفي مثل حال هؤلاء الغلاة ولعظم شأن الغلو في التكفير جاءت النصوص محذرة من المجازفة فيه بغير حق محذرة منه تحذيرا بالغاً، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ومن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله"(٢).

وقال: "إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما...

وفي رواية: "أيما امرئ قال لأخيه: كافر، فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه"(٣).

وقد علق النووي -رحمه الله- في شرحه لصحيح مسلم على هذا الحديث فقال:

"هذا الحديث مما عده بعض العلماء من المشكلات من حيث أن ظاهره غير مراد، وذلك أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر المسلم بالمعاصي كالقتل والزنا، وكذا قوله لأخيه: يا كافر من غير اعتقاد بطلان دين الإسلام، وإذا عرف ما ذكرناه فقيل في تأويل الحديث أوجه:

أحدها: أنه محمول على المستحل لذلك، وهذا يكفر...

الثاني: معناه رجعت عليه نقيصته لأخيه ومعصية تكفيره.

الثالث: أنه محمول على الخوارج المكفرين للمؤمنين وهذا الوجه نقله القاضي عياض - رحمه الله - عن الإمام مالك بن أنس، وهو ضعيف لأن المذهب الصحيح المختار الذي قاله

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه معلقا باب: قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة، صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري ت: د. مصطفى ديب البغا دار ابن كثير بيروت ط:٣، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م ٦/ ٢٥٣٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ٥/ ٢٢٦٤ رقم (٥٧٥٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ٥/ ٢٢٦٤ رقم (٥٧٥٣)، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر ١/ ٧٩ رقم (٦٠).

الأكثرون والمحققون: أن الخوارج لا يكفرون كسائر أهل البدع.

الرابع: معناه أن ذلك يئول به إلى الكفر وذلك أن المعاصي، كما قالوا، بريد الكفر، ويخاف على المكثر منها أن يكون عاقبة شؤمها المصير إلى الكفر. ويؤيد هذا الوجه ما جاء في رواية لأبي عوانة الإسفرايني -رحمه الله- في كتابه (المخرج على صحيح مسلم): فإن كان كما قال وإلا فقد باء بالكفر، وفي رواية إذا قال لأخيه (يا كافر) وجب الكفر على أحدهما.

الخامس: معناه فقد رجع عليه تكفيره فليس الراجع حقيقة الكفر بل التكفير لكونه جعل أخاه المؤمن كافرا ؛ فكأنه كفر نفسه ؛ إما لأنه كفر من هو مثله، وإما لأنه كفر من لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام. والله أعلم"[1].

قال ابن دقيق العيد[2] -رحمه الله-: "وهذا وعيد عظيم لمن كفر أحداً من المسلمين وليس كذلك، وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين، ومن المنسوبين إلى السنة وأهل الحديث لما اختلفوا في العقائد، فغلظوا على مخالفيهم، وحكموا بكفرهم"[3].

وقال الشوكاني -رحمه الله-: "اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار، فإنه قد ثبت في الأحاديث المروية من طريق جماعة من الصحابة أن من قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما ...

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيي بن شرف النووي، دار الخير- بيروت ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ٢/ ٥٠.

(٢) محمد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقي الدين القشيري، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد (٦٢٥ - ٧٠٢هـ = ١٢٢٨ - ١٣٠٢م): قاض، من أكابر العلماء بالأصول، مجتهد، له تصانيف منها: (إحكام الأحكام) في الحديث، و (الإلمام بأحاديث الأحكام) و (الإمام في شرح الإلمام) وله (تحفة اللبيب في شرح التقريب) و (شرح الأربعين حديثا للنووي) وكان مع غزارة علمه، ظريفا، له أشعار وملح وأخبار .. (الأعلام للزركلي ٦/ ٢٨٢) .

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تقي الدين محمد بن علي بن دقيق العيد، ت: مصطفى شيخ مصطفى و مدثر سندس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط:١ ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م (٤/ ٧٦).

وفي هـذه الأحاديـث ومـا ورد موردهـا أعظـم زاجـر، وأكـبر واعـظ عـن التسرع في التكفير"[1].

فإذا كان هذا الوعيد بهذه الصورة التي ذكرت في الحديث، قد ورد في تكفير المرء لرجل مسلم واحد.. فكيف يكون فيما يتقحمه بعض المتهورين من رمي عموم جماهير المسلمين بالتكفير، لبعض شبهات عندهم، لا ترقى إلى قوة الأدلة الشرعية.. !!

يقول الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب[2] -رحمهما الله تعالى-: "وبالجملة فيجب على من نصح نفسه ألا يتكلم في هذه المسألة إلا بعلم وبرهان من الله، وليحذر من إخراج رجل من الإسلام بمجرد فهمه، واستحسان عقله، فإن إخراج رجل من الإسلام، أو إدخاله فيه من أعظم أمور الدين ...

وقد استزل الشيطان أكثر الناس في هذه المسألة، فقصر بطائفة فحكموا بإسلام من دلت نصوص الكتاب والسنة والإجماع على كفره، وتعدى بآخرين فكفروا من حكم الكتاب

---

(١) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي الشوكاني، ت: محمود زايد، دار الكتب العلمية – بيروت ط:١ (٤/ ٥٧٨).

(٢) عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (١١٦٥ – ١٢٤٢ هـ = ١٧٥٢ – ١٨٢٦م): فقيه حنبلي خلف أباه في مؤازرة آل سعود، ولد ونشأ في الدرعية وتفقه على أبيه وغيره، وبرع في التفسير والعقائد وعلوم العربية، وكان مرجع قضاء المملكة السعودية في عهد الإمام عبد العزيز ابن محمد، وابنه سعود، وحفيده عبد الله بن سعود، وألف كتبا كثيرة، منها: "جواب أهل السنة النبوية" رسالة في الرد على اعتراضات بعض الشيعة والزيدية، و "الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة" ورسائل ومسائل طبعت متفرقة، وكان مع الأمير سعود ابن الإمام عبد العزيز يوم دخوله مكة في المرة الأولى (١٢١٨ هـ وسأل بعض الناس عن عقيدتهم فكتب رسالة اشتملت على معاني دعوة أبيه ودحض بها ما كان يرميهم به خصومهم، وكان إلى جانب علمه، شجاعاً اشتهر عنه يوم دخول إبراهيم باشا للدرعية، وقوفه في أحد أبوابها (باب البجيري) وقد شهر سيفه وقاتل قتال الأبطال وهو يقول: بطن الأرض على عز خير من ظهرها على ذل ! وسلم في تلك الوقعة. وبعد استيلاء إبراهيم على الدرعية (١٢٣٣هـ) اعتقله وأرسله إلى مصر، فتوفي بها .. (الأعلام للزركلي ٤/ ١٣١).

والسنة مع الإجماع بأنه مسلم"[1].

وفي كلام هذا الإمام الفذ الحصيف إشارة وتحذير لطرفي النقيض -الغلاة والجفاة- لأنه في غالب البدع التي ظهرت في تاريخ طوائف الإسلام تكون نشأتها عن ردت فعل لانحراف طائفة أخرى، كما هو الحال في نشأت فرقة المرجئة التي كانت ردت فعل لخروج فرقة الخوارج، والتي "يقول الإمام الزهري -رحمه الله- فيهم: "ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على أهله من الإرجاء".

ويقول يحيى ابن أبي كثير وقتادة -رحمهما الله تعالى-: "ليس شيء من الأهواء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء".

ويقول إبراهيم النخعي -رحمه الله تعالى-: "لَفتنتهم - يعني المرجئة-أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة"[2] أي: الخوارج ..

وأهل الحق أهل السنة والجماعة وسط بين هاتين الفرقتين وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، وكما انطلق الخوارج إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين، انطلق هؤلاء إلى آيات في حق المؤمنين و الموحدين فجعلوها في الكفار والملحدين والمرتدين..!!

لذا نجد كثيرا منهم جفا فأحجم عن تكفير من كفره الله ورسوله، بل وصل الحال ببعض من يسمون "مفكرين" إلى المناداة بعدم تكفير اليهود والنصارى وتسميتهم "مؤمنين" جهلا بدين الله عز وجل واتباعاً للهوى وإرضاءً لقساوسة النصارى الذين باتوا يعلنون على وسائل الإعلام استياءهم من تكفير بعض المسلمين لهم بل ويسمونهم "تكفيريين" !!!

والله -عز وجل- يقول: ((لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، دار القاسم – الرياض، ط:٦ ١٤١٧هـ ٨/ ٢١٧ .

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة ١٩٩٥م ٢/ ٢٤٦ .

حتى تأتيهم البينة...))[1].

وقال: ((مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ))[2].

وقال: ((يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون))[3].

وقال: ((قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ))[4]

وقال -صلى الله عليه وسلم-: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار"[5] .

قال الإمام النووي -رحمه الله-: "وقوله -صلى الله عليه وسلم- لا يسمع بي أحد من هذه الأمة أي ممن هو موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته، وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيهاً على من سواهما، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتاباً فغيرهم ممن لا كتاب له أولى، والله أعلم"[6].

وقال ابن حزم -رحمه الله-: "واتفقوا على تسمية اليهود والنصارى كفاراً"[7]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: في: "إن اليهود والنصارى كفار كفراً معلوماً بالاضطرار من دين الإسلام"[8].

---

(١) سورة البينة، الآية: ١.

(٢) سورة البقرة، الآية:١٠٥.

(٣) سورة آل عمران ، الآية: ٧٠ .

(٤) سورة التوبة ، الآية: ٢٩.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان ، باب: وجوب الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ١/ ٥٤٦ رقم (١٥٤) .

(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيي بن شرف النووي، دار الخير - بيروت ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ٢/ ١٨٨.

(٧) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، لأبي محمد ابن حزم، دار الكتب العلمية-بيروت (١٩).

(٨) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة ١٩٩٥م ٣٥/ ٢٠١ .

وقد نقل القاضي عياض -رحمه الله- "الإجماع على كفر من لم يكفر أحداً من النصارى واليهود، وكل من فارق دين المسلمين أو وقف في تكفيرهم أو شك "(١).

وذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - من نواقض الإسلام:

"الثالث: من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، كفر إجماعاً"(٢).

وقال الشيخ عبد الله أبا بطين -رحمه الله-: "أجمع العلماء على كفر من لم يُكفر اليهود والنصارى أو يشك في كفرهم"(٣).

وسئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن من لم يُكفر اليهود والنصارى ويقول عنهم أنهم: أهل كتاب فقط؟!، فقالت: " من قال ذلك فهو كافر ؛ لتكذيبه بما جاء في القرآن والسنة من التصريح بكفرهم، قال الله تعالى: ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ))(٤)، وقال: ((لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ))(٥) ، وقال: ((لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ..))(٦) ، وقال: ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ))(٧).

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، ت: علي البجّاوي، دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م (٢/ ٦٠٣).

(٢) المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد، لأبي يوسف مدحت آل فراج، مكتبة الرشد – الرياض، ط:٢ ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م (٤٤٣).

(٣) الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز أبا بطين، ت: الوليد بن عبد الرحمن الفريان، دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص ٤٣ .

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٠.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١٧ .

(٦) سورة المائدة، الآية: ٧٣.

(٧) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

وقال تعالى: ((لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ))[1]، وقال: ((قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ))[2]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، وبالله التوفيق..."[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: "من اعتقد أن الكنائس بيوت الله، وأن الله يعبد فيها، أو أن ما يفعله اليهود والنصارى عبادة لله وطاعة لرسوله، أو أنه يحب ذلك أو يرضاه، أو أعانهم على فتحها وإقامة دينهم، وأن ذلك قربة أو طاعة فهو كافر" .

وقال أيضا: "من اعتقد أن زيارة أهل الذمة كنائسهم قربة إلى الله فهو مرتد، وإن جهل أن ذلك محرم عرف ذلك، فإن أصر صار مرتدا"[4].

ومن خلال ما سبق شرحه وبيانه، من كتاب الله -عز وجل- وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- وإجماع المسلمين يتضح لنا جلياً أن كفر اليهود والنصارى أمرٌ مجمع عليه بين المسلمين، ومن شك فيه أو خالفه فقد خرج عن الملة وخلع ربقة الإسلام من عنقه..

أما الحكم على المرتدين ممن يعلنون ردتهم أو من ارتكبوا ناقضا من نواقض الإسلام المجمع عليها وقد تحققت فيهم شروط التكفير وانتفت عنهم موانعه فليس هو "من تشريع الخوارج ولا غيرهم، وليس هو فكرًا...

وإنما هو حكم شرعي، حَكَمَ به الله ورسوله على من يستحقه، بارتكاب ناقض من

---

(١) سورة البينة، الآية: ١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٩.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء . الرئيس : عبد العزيز بن عبد الله بن باز، نائب رئيس اللجنة : عبد الرزاق عفيفي، عضو : عبد الله بن غديان . ٢/ ١٨.

(٤) الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، لشرف الدين موسى بن أحمد الحجاوي، ت: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، دار المعرفة بيروت – لبنان (٤/ ٢٨٧).

نواقض الإسلام القولية أو الاعتقادية أو الفعلية، والتي بينها العلماء في باب أحكام المرتد، وهي مأخوذة من كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -، فالله قد حكم بالكفر على أناس بعد إيمانهم، بارتكابهم ناقضًا من نواقض الإيمان، قال تعالى: ((وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ، لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ))(1) ،وقال تعالى: ((وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ))(2).

وقال -عليه الصلاة والسلام-: " إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة "(3)، وقال: " فمن تركها فقد كفر "(4)، وأخبر الله تعالى أن تعلم السحر كفر، فقال عن الملكين اللذين يعلمان السحر: ((وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ))(5).

وقال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً))(6)، وفرق بين من كفره الله ورسوله وكفره أهل السنة والجماعة والجماعة إتباعاً لكتاب الله وسنة رسوله، وبين من كفرته الخوارج والمعتزلة ومن تبعهم بغير حق"(7).

وليعلم المسلم والداعية إلى الله أن مواجهة الغلو في التكفير لا يكون بالغلو في التحذير

(1) سورة التوبة، الآية: 65 – 66.

(2) سورة التوبة، الآية: 74.

(3) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة 1/ 88 رقم (82).

(4) أخرجه الترمذي في أبواب الإيمان، باب: مَا جَاءَ فِي تَرْكِ الصَّلاَةِ 10/ 107 رقم (2830) و أخرجه النسائي في كتاب: الصلاة، باب: الحكم في تارك الصلاة 2/ 247 رقم (459).

(5) سورة البقرة، الآية: 102.

(6) سورة النساء، الآية: 137.

(7) البيان لأخطاء بعض الكتاب، صالح الفوزان، دار ابن الجوزي – الدمام ط:2 1413هـ – 1993م (88).

منه، فالغلو لا يرد بغلو آخر !!

ولا يُقال البتة أنه: لا فائدة للداعية إلى الله من الخوض في تكفير من كفره الله تعالى ورسوله -صلى الله عليه وسلم- ممن كفره معلوم من الدين بالضرورة كاليهود والنصارى ونحوهم بحجة تعارضه مع دعوتهم للإسلام بل الواجب على الداعية إلى الله دعوتهم وهدايتهم !!

بل نقول أنه لا تعارض بين الحكم بتكفير من كفره الله ورسوله وبين دعوته بالتي هي أحسن، كما دل على ذلك فعل أنبياء الله ورسله -عليهم السلام- مع أقوامهم المشركين، فهم يكفرونهم بشركهم بالله تعالى، ويعلم أقوامهم أنهم يكفرونهم ويسفهون آلهتهم ومع ذلك فإن أنبياء الله ورسله -عليهم السلام- كانوا يدعونهم إلى الله تعالى باختيار أفضل طرق الدعوة كما هو الحال مع دعوة خليل الله إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه...

قال تعالى: ((قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِّ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِّ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِّ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ))[1] .

قال الشيخ حمد بن عتيق[2] -رحمه الله-: "وها هنا نكته بديعة في قوله: ((إِنّا بَرَءآؤاْ مّنْكُمْ

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

(٢) حمد بن علي بن محمد بن عتيق (١٢٢٧ - ١٣٠١ هـ = ١٨١٢ - ١٨٨٤م): قاض حنبلي من علماء نجد، ولد في بلدة الزلفي، وتفقه في الرياض، وولي قضاء الحلوة ثم قضاء الأفلاج إلى أن توفي، له كتب مختصرة مطبوعة، منها (إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد) و (بيان النجاة والفكاك، من موالاة المرتدين وأهل الإشراك) و (الدفاع، عن أهل السنة والإتباع) كلها رسائل في الدعوة إلى التوحيد. قلت: ونسخ بخطه كثيرا من كتب الحنابلة وبعض رسائل ابن تيمية، رأيت طائفة منها في خزانة الجاويش ببيروت، بينها (اجتماع الجيوش الإسلامية) لابن القيم، كتبها سنة ١٢٥١هـ. وهو والد (سعد بن حمد) المتقدمة ترجمته في الأعلام ..(الأعلام للزركلي ٢/ ٢٧٢).

وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ)) الآية.. وهي أن الله تعالى قدم البراءة من المشركين العابدين غير الله، على البراءة من الأوثان المعبودة من دون الله، لأن الأول أهم من الثاني، فإنه قد يتبرأ من الأوثان ولا يتبرأ ممن عبدها، فلا يكون آتياً بالواجب عليه.. وأما إذا تبرأ من المشركين فإن هذا يستلزم البراءة من معبوداتهم، وهذا كقوله تعالى: ((وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً))[(١)]، فقدم اعتزالهم أي المشركين على اعتزال معبوداتهم"[(٢)] أ.هـ

ومع وضوح هذه العقيدة الحنيفية الواضحة والتي لم تتعارض مع دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه بأحسن أساليب الدعوة، كما حكى الله عز وجل عنه وهو يخاطب أباه وهو على الشرك والكفر بكل أدب وتلطف: ((يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً))[(٣)] فلم يناده باسمه وإنما قال: يا أبت..

وكما هو الحال مع دعوة كليم الله موسى -عليه السلام- مع طاغوت عصره فرعون اللعين الذي دعاه بالقول اللين واختار معه أفضل وسائل الدعوة والهداية ولكن حقت كلمة العذاب على القوم الظالمين !!

فمن قال ممن قل علمه: إن الله -عز وجل- بعث موسى -عليه السلام- إلى فرعون لدعوته ولم يأمره بتكفيره فقد افترى على الله أعظم الفرية واتهم كليم الله موسى -عليه السلام- في توحيده وحاشاه وهو من أئمة التوحيد المرسلين!!!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : "كفر فرعون، وموته كافرا، وكونه من أهل النار هو مما علم بالاضطرار من دين المسلمين، بل ومن دين اليهود والنصارى، فإن أهل الملل

---

(١) سورة مريم ، الآية: ٤٨.

(٢) فتاوى الأئمة النجدية، جمع: مدحت آل فراج، مكتبة الرشد – الرياض، ط:٢ ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م ١/ ٤٥٢.

(٣) سورة مريم، الآية:٤٢

الثلاثة متفقون على أنه من أعظم الخلق كفرا، ولهذا لم يذكر الله تعالى في القرآن قصة كافر كما ذكر قصته في بسطها وتثنيتها، ولا ذكر عن كافر من الكفر أعظم مما ذكر من كفره واجترائه وكونه أشد الناس عذابا يوم القيامة، ولهذا كان المسلمون متفقين على أن من توقف في كفره وكونه من أهل النار فإنه يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافرا مرتدا.."(1)، وكذلك من تأمل حال إمام المرسلين والموحدين والدعاة إلى رب العالمين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم الذي دعا قومه ليلا ونهارا وبذل وسعه في هدايتهم باختيار أفضل وأكمل وسائل وأساليب الدعوة إلى الله تعالى مع كفره بآلهتهم سوى الله عز وجل وهجره لها ولأهلها وتسفيهه لعبادتهم غير الله تعالى، فتبرأ منهم ومن ما يدعون من دون الله وأمره الله عز وجل أن يقول للكفار: دينكم الذي أنتم عليه أنا بريء منه، وديني الذي أنا عليه أنتم براء منه، والمراد التصريح لهم بأنهم على الكفر، وأنه بريء منهم ومن دينهم...

قال تعالى: ((قُلْ يَأَيّهَا الْكَافِرُونَ * لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مّا عَبَدتّمْ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ))(2)، ومع هذا كله دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له بأحسن طرق الدعوة وأكملها واستعمل معهم أنجع وسائل الهداية وأنسبها فأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده فبلَّغ البلاغ المبين، وأقام الحجة وأبان المحجة وأوضح السبيل صلواتُ الله وسلامه وبركاته عليه..

فالتكفير بحق لا يمكن أن يقصى من مجال الدعوة البتة، فمهمة البلاغ والدعوة للداعية لها مجال، والحكم بكفر من كفره الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم مجال آخر، والحرص على هداية الناس لا يمنعنا من الحكم عليهم بحق لأن الحكم والتكفير بحق شرع ودين، كما

---

(1) جامع الرسائل، لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق: د. محمد رشاد سالم دار العطاء الرياض ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ط:١ ١/ ٢٠٣.

(2) سورة الكافرون.

أن الدعوة إلى الله شرع ودين مثله !!

إنما الخطأ هو من جهة الذين يحكمون على الناس بظلم وجهل ويبغون في الأرض بغير الحق مع تقصيرهم في الدعوة إلى الله تعالى والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم..

ولُيعلم أن عبارة "التكفير" من العبارات المجملة التي قد تُحمل على الحق وقد تُحمل على الباطل، فلا تمدح مطلقا ولا تذم مطلقا إلا بدلالة السياق، فإذا جاء التكفير -على سبيل المثال- مقرونا بتكفير من كفره الله -تعالى- ورسوله -صلى الله عليه وسلم- كتكفير الكفار المجمع على تكفيرهم كالطواغيت الذين يعبدون من دون الله ويتحاكم إليهم من دون الله ونحوهم، وكذا المرتدين الممتنعين عن شريعة من شرائع الإسلام المعروفة من الدين بالضرورة، وتكفير من نص الكتاب والسنة على كفره كاليهود والنصارى، كان ذلك التكفير ممدوحا بل واجبا بل لا يتم إسلام العبد إلا به وهو مقتضى الركن الثاني من أركان شهادة التوحيد "لا إله"، فكما هو معلوم أن توحيد العبد لا يتم إلا بركنين هما: النفي والإثبات، نفيٌ للعبودية عن كل من سوى الله سبحانه، وإثباتٌ للعبودية بكل معانيها لله وحده لا شريك له قال تعالى: ((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَّ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ))(1)، ففي قوله: ((اُعْبُدُوا اللهَّ)) إثبات، وفي قوله: ((اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)) نفي..

فعلم أن من شروط صحة التوحيد الكفر بالطاغوت، إذ لا إيمان إلا بعد الكفر بالطاغوت ظاهراً وباطناً، وأوضح قول من أقوال أهل العلم في بيان معنى الطاغوت ما قرره ابن جرير الطبري رحمه الله في التفسير بقوله: " الصواب من القول عندي في الطاغوت أنه كل ذي طغيان على الله، فعبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، إنساناً كان ذلك المعبود، أو شيطاناً أو وثناً أو صنماً أو كائناً ما كان من شيء.."(2).

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٥هـ ٣/ ٢١.

قال الله تعالى: ((لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ))(١).

والعروة الوثقى هنا كما نص على ذلك أهل العلم من المفسرين وغيرهم هي: شهادة أن لا إله إلا الله ؛ أي من أتى بالكفر بالطاغوت ثم أتبعه إيماناً بالله تعالى فهو الذي يكون قد استمسك بالعروة الوثقى " لا إله إلا الله ".

أما من لم يكفر بالطاغوت وإن آمن بالله تعالى لا يكون قد استمسك بالعروة الوثقى، ولا ممن وفاها حقها وشروطها !!

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: "أي من خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يُعبد من دون الله، ووحد الله فعبده وحده وشهد أن لا إله إلا هو ((فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ)) أي: فقد ثبت في أمره واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم.." .

وفي الحديث الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال:" من قال لا إله إلا الله، وكفرَ بما يُعبد من دون الله حَرُمَ مالُه ودمُه، وحسابُه على الله "(٢).

فقوله -صلى الله عليه وسلم- " وكفرَ بما يُعبد من دون الله "؛ هو توكيد لشرطها وشطرها وركنها الأول المتضمن لجانب النفي " لا إله " المتضمن لمعنى البراءة والكفر بكل ما يُعبد من دون الله..

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه و سلم وأن من فعل ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها ووكلت سريرته إلى الله تعالى وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام واهتمام الإمام بشعائر الإسلام ١/ ٥٣ رقم (٢٣).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: "فمن عبد الله ليلاً ونهاراً، ثم دعا نبياً أو ولياً عند قبره، فقد اتخذ إلهين اثنين ولم يشهد أن لا إله إلا الله ؛ لأن الإله هو المدعو، كما يفعل المشركون عند قبر الزبير أو عبد القادر أو غيرهم..

ومن ذبح لله ألف ضحيةٍ ثم ذبح لنبي أو غيره فقد جعل إلهين اثنين: ((قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ ومماتي لله رب العالمين لا شَرَيْكَ لَهُ))[1]."[2].

وقال: "ومعنى الكفر بالطاغوت أن تبرأ من كل ما يعتقد فيه غير الله، من جني أو انسي أو شجر أو حجر أو غير ذلك، وتشهد عليه بالكفر والضلال وتبغضه ولو كان أباك وأخاك، فأما من قال أنا لا أعبد إلا الله، وأنا لا أتعرض السادة والقباب على القبور وأمثال ذلك، فهذا كاذب في قول لا إله إلا الله ولم يؤمن بالله ولم يكفر بالطاغوت"[3].

وفي المقابل إن قرن التكفير بتكفير المسلم بذنب فعله أو بخطأ أخطأ فيه، كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة، أو بمجرّد الهوى وبمحض العصبية دون دليل شرعي فهذا هو وربي المذموم والخطير جدا، ونختم القول هنا بكلام نفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في هذه المسألة ينكر فيه أشد الإنكار على من يكفرون الناس بذنب أو خطأ أو تأويل سائغ، داعيا إلى التزام الجماعة وعدم الشذوذ عنها، حيث يقول: "ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله ولا بخطأ أخطأ فيه، كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة، فإن الله تعالى قال: ((لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا

(١) سورة الأنعام، الآية:١٦٣.

(٢) تاريخ نجد، حسين بن غنام، ت: د. ناصر الدين الأسد، دار الشروق- القاهرة، ط:٤ ١٤١٥هـ-١٩٩٤م (١٦٦).

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، مطبعة المنار - القاهرة، ط:١ ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م ٤ / ٣٣.

وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ))[1]، وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى أجاب هذا الدعاء وغفر للمؤمنين خطأهم..

والخوارج المارقون الذين أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بقتالهم، قاتلهم أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب -رضي الله عنه- أحد الخلفاء الراشدين، واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولم يكفرهم علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقاتلهم علي حتى سفكوا الدم الحرام وأغاروا على أموال المسلمين، فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم لا لأنهم كفار، ولهذا لم يسب حريمهم ولم يغنم أموالهم...

وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يكفروا مع أمر الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- بقتالهم، فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم؟ فلا يحل لإحدى هذه الطوائف أن تكفر الأخرى ولا تستحل دمها ومالها، وإن كانت فيها بدعة محققة، فكيف إذا كانت المكفرة لها مبتدعة أيضاً؟ وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ، والغالب أنهم جميعاً جهّال بحقائق ما يختلفون فيه...

فهكذا السلف قاتل بعضهم بعضاً من أهل الجمل وصفين ونحوهم وكلهم مسلمون مؤمنون كما قال تعالى: ((وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِّ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ))[2]، فقد بين الله تعالى أنهم مع اقتتالهم وبغي بعضهم على بعض أخوة مؤمنون وأمر بالإصلاح بينهم بالعدل، ولهذا كان السلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضاً موالاة الدين لا يعادون كمعاداة الكفار، فيقبل بعضهم شهادة بعض، ويأخذ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٩.

بعضهم العلم من بعض، ويتوارثون ويتناكحون ويتعاملون بمعاملة المسلمين بعضهم مع بعض مع ما كان بينهم من القتال والتلاعن وغير ذلك...

فالواجب على المسلم إذا صار في مدينة من مدائن المسلمين أن يصلي معهم الجمعة والجماعة ويوالي المؤمنين ولا يعاديهم، وإن رأى بعضهم ضالاً أو غاوياً وأمكن أن يهديه ويرشده فعل ذلك، وإلا فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وإذا كان قادراً على أن يولي في إمامة المسلمين الأفضل ولاه، وإن قدر أن يمنع من يظهر البدع والفجور منعه، وإن لم يقدر على ذلك فالصلاة خلف الأعلم بكتاب الله وسنة نبيه الأسبق إلى طاعة الله ورسوله أفضل...

وإن كان في هجره لمظهر البدعة والفجور مصلحة راجحة هجره، كما هجر النبي -صلى الله عليه وسلم- الثلاثة الذين خلفوا حتى تاب الله عليهم، وأما إذا ولي غيره بغير إذنه وليس في ترك الصلاة خلفه مصلحة شرعية كان تفويت هذه الجمعة والجماعة جهلاً وضلالاً وكان قد رد بدعة ببدعة"[(١)]، وبهذا التفصيل يتضح لنا متى يكون التكفير توحيداً فيمدح ويحرض عليه، ومتى يكون غلواً فُيذم ويحذر منه، نسأل الله أن يهدينا صراطه المستقيم وأن يوفقنا لمعرفة الحقّ والثبات عليه ، وأن يلهمنا اتباع هدي الأنبياء والمرسلين ، وأن يجنبنا طريق المغضوب عليهم والضالين ، إن ربنا سميع الدعاء وهو أهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة ١٩٩٥م ٢/ ٢٨٢.

المطلب الثاني:

أثر الفهم الخاطئ في تطبيق مقصد إقامة الحجة على الناس بالبلاغ المبين.

وفيه مسائل:

المسألة الأولى:

مرحلة الاستضعاف.. والبلاغ المبين.

المسألة الثانية:

البلاغ المبين والدعوة بالتي هي أحسن.

المسألة الثالثة:

البيان والوضوح من خصائص البلاغ المبين.

المسألة الرابعة:

مفهوم تجديد الخطاب الإسلامي.

• **توطئة:**

من فضل الله تعالى علينا ونعمته ونعمه لا تعد ولا تحصى أن بعثَ إلينا رسولاً يتلو علينا آياتِه ويُزكِّينا، ويُعلمنا الكتاب والحكمة، وإن كنّا من قبلُ لفي ضلالٍ مبين، أكمل لنا دينَنا، وأتمَّ علينا نعمتَه، ورضيَ لنا الإسلام دينا، وأنزل الكتاب تفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ((مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ))[(١)].

وأخبرَ أنّ الدين عنده الإسلام، فمن يَبتغِ غيرَ الإسلام دينًا فلن يُقبَل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، وجعلَ الكتابَ الذي أنزلَه بيانًا للناس وهُدًى وموعظةً للمتقين، أنزلَه بلسانٍ عربيٍّ مبين، وذكرَ أن آياتِه أُحْكِمَتْ ثُمَّ فُصلَتْ من لدن حكيم خبير، وأخبر سبحانه أن عليه بيانه فقال تعالى: ((ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ))[(٢)]، قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "أي بعد حفظه و تلاوته، نبينه لك، ونوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا و شرعنا"[(٣)].

ثم أمر الله -عز وجل- رسولَه -صلى الله عليه وسلم- ببيانه للناس وتبليغه بالبلاغ المبين كما أُمر رُسُلُ الله -عليهم السلام- من قبله كما قال تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))[(٤)].

فقال تعالى لنبيه الكريم -صلى الله عليه وسلم-: ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ))[(٥)].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١١١.

(٢) سورة القيامة، ، الآية: ١٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ ٨/ ٢٧٨.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

(٥) سورة المائدة، الآية:٦٧ .

بل وأخبرَ أنه ليسَ على الرسول إلاّ البلاغ المبين فقال -عز من قائل حكيم- : ((وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ))[1] .

فأدى الرسول -صلى الله عليه وسلم- الأمانة وبلغ البلاغ المبين وأمرَ أمته بالتبليغ عنه، قال صلى الله عليه وسلم: "بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"[2].

وقال -صلى الله عليه وسلم- لما خطب المسلمين: " ليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع "[3].

وقال -صلى الله عليه وسلم-: " نضر الله امرأً سمع منا حديثاً فبلغه إلى من لم يسمعه، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه "[4].

وفي السنن عن جابر -رضي الله عنه- قال: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعرض نفسه على الناس فيقول: " ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي "[5] ، فأكمل الله تبارك وتعالى الدينَ بمحمدٍ -صلى الله عليه و سلم- خاتم النبيين، "فلا تحتاج أمته إلى أحد بعده يغير شيئا من دينه وإنما تحتاج إلى معرفة دينه الذي بعث به

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية: ١٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل ٣/ ١٢٧٥ رقم (٣٢٧٤) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: قول النبي صلى الله عليه و سلم (رب مبلغ أوعى من سامع) ١/ ٣٧ رقم (٦٧) ، وأخرجه مسلم في كتاب: القسامة والمحاربين والقصاص والديات ، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال٣/ ١٣٠٥ رقم (١٦٧٩) .

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب: العلم، باب: ما جاء في تبليغ السماع ١٠/ ١٦٢ رقم (٢٦٥٦) ، وأخرجه أبو داود في كتاب: العلم ، باب: فضل نشر العلم ٢/ ٣٤٦ رقم (٣٦٦٠) وأخرجه ابن ماجه في المقدمة باب: من بلغ علما ١/ ٨٥ رقم (٢٣٢).

(٥) أخرجه الترمذي في أبواب فضائل القرآن، ١١/ ١٢٥ رقم (٣١٧٥) ، وأخرجه أبو داود في كتاب: العلم ، باب في الْقُرْآنِ ٤٤/ ٣٧٦ رقم (٤٧٣٦) .

فقط..ولا يزال في أمته طائفة قائمة بالحق حتى تقوم الساعة، فإن الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فأظهره بالحجة والبيان وأظهره باليد والسنان ولا يزال في أمته أمة ظاهرة بهذا وهذا حتى تقوم الساعة.."[1] .

فالدعاة إلى الله تعالى هم أحق الناس بتبليغ دين الله تعالى الذي حمّلهم إياه وبلغه لهم إمامهم صلى الله عليه وسلم من دون أن يبدلوا أو يحرفوا أو يلبسوا الحق المبين بالباطل المهين..

قائمين بحق الميثاق الذي أُخذ عليهم وعلى من كان قبلهم قال تعالى: ((وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه.. الآية))[2].

ولا يكونوا مثل علماء اليهود الذين ذمهم الله -عز وجل- في كتابه بقوله: ((فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ))[3].

قال ابن تيمية -رحمه الله-: "وهذا مما ذم الله به علماء اليهود، وهو من صفات الزائغين من المنتسبين إلى العلم من هذه الأمة.."[4].

بل وتوعدهم بالوعيد الشديد والعذاب الأليم، قال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))[5] ، لذلكم فإن من أهم المقاصد الدعوية التي ينبغي أن يعيها الدعاة إلى الله اليوم وعياً كاملاً هو: القيام بمهمة الرسل -عليهم السلام-

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: د.علي حسن ناصر ،د.عبد العزيز إبراهيم العسكر ،د. حمدان محمد، دار العاصمة – الرياض، ط:١ ١٤١٤هـ ١/ ٣٦٢.

(٢) سورة آل عمران ، الآية:١٨٧.

(٣) سورة البقرة ، الآية:٥٩.

(٤) الفتاوى الكبرى، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار الكتب العلمية بيروت ط: ١ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م (٦\٣٣٣).

(٥) سورة القرة ، الآية: ١٧٤.

بتبليغ هذا الدين للناس بلاغا مبيناً وبالجهر بكلمة الحق، والدعوة لهذا الدين بالحكمة والموعظة الحسنة بكل جرأة وشجاعة، وعدم التنازل أمام أي أحد عن شيء من هذا الدين، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

المسألة الأولى:

مرحلة الاستضعاف.. والبلاغ المبين

لا شك أن المرحلة التي يعيشها المسلمون اليوم في ما يسمى بالعالم الإسلامي وفي العالم أجمع، هي مرحلة استضعاف، والتي قد يفتقر فيها المسلم والداعية إلى الله -بوجه الخصوص- "إلى ما يبقيه ويقويه، ويحتاج إلى كل ما يعضد موقفه، ويبقي مهجته لتبقى الدعوة، وعندئذ لا شك أن يعرض له ما لا يقدر على تجاوزه إلا بشيء من التنازلات، التي لا تؤثر في حقيقة الإيمان، وتسمح له بشيء من التقدم في طريق الدعوة، ألم تر إلى القرآن كيف يهدي المؤمن في حال الاستضعاف والإكراه أن يلفظ بكلمة الكفر -بلا حرج- إن لم تقدح في حقيقة إيمانه،فيعفيه من غضب الله وعذابه، فيقول سبحانه وتعالى: ((إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ))(١).

وربما يترخص الدعاة في مرحلة الاستضعاف واشتداد المحن في بعض شعائر الإسلام الظاهرة، وإخفاء بعض السنن والرواتب، والكتمان ببعض العبادات الزائدة عن الممارسات العادية مما لا يلفت الأنظار، ومعلوم كيف كان المسلمون في أول الأمر في مكة يخفون دينهم ويسترون شعائرهم، حتى لا ينالهم العذاب وتنالهم الفتنة !!

وفي صحيح مسلم عن حذيفة -رضي الله عنه- قال: كنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "أحصوا لي كم تلفظ الإسلام"، فقلنا: يا رسول الله ! أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة؟! قال: "إنكم لا تدرون، لعلكم أن تبتلوا"، قال حذيفة: فابتلينا، حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سراً."(٢).

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الإستسرار بالإيمان للخائف، ٢/ ٣٥٦٥ رقم (٢٣٥).

وربما يشتد على نفس البعض جواز الترخص في حالات المحن والاستضعاف، ولكن من المستقرأ المقطوع في الشرع أن الضرورات تبيح المحظورات، حتى المحظورات المتفق عليها..

وفقه مرحلة الاستضعاف، والتفريق بينها وبين حال الاستخلاف للمسلمين، يجعل المرء ينظر فيما تدرج فيه الشرع، فيفرق بين المنسوخ من المراحل وغير المنسوخ منها، بمعنى أن المسلمين ربما تمر بهم حالات تماثل وتطابق الحالات التي تدرج فيها الشرع، فجعلها البعض ناسخا ومنسوخا، فإذا وقع للمسلمين ذات الحالات أو مثلها، تطلب ذلك السير بهم بذات التدرج، وعندئذ يكون من الواجب التفريق بين الذي نسخ والذي لم ينسخ، ويصح بناء الأحكام عليه...

إن فقه مرحلة الاستضعاف، يستدعي النظر في كل ما يقال إنه ناسخ ومنسوخ، فلعل بعضها لم يكن منسوخا بقدر ما هو تدرج على مراحل، يصلح تطبيقه والأخذ به في كل عصر وزمان يتطابق الحال.."[1].

وقد يؤخر الداعية إلى الله من باب السياسة الشرعية – بعد الصدع بعقيدة التوحيد- البيان والبلاغ لأشياء في وقت العجز والاستضعاف إلى وقت التمكن، لعدم إمكان البلاغ الذي تقوم به حجة الله في الوجوب أو التحريم، فإن العجز مُسقط للأمر والنهي وإن كان واجباً في الأصل كما قرر ذلك شخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: "والحجة على العباد إنما تقوم بشيئين:

١- بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله..

٢- والقدرة على العمل به..

---

(١) من بحث (مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق)، عبد الله الزبير عبد الرحمن، مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر موقع: http://www.islamweb.net

فأما العاجز عن العلم كالمجنون أو العاجز عن العمل فلا أمر عليه ولا نهي، وإذا انقطع العلم ببعض الدين أو حصل العجز عن بعضه: كان ذلك في حق العاجز عن العلم أو العمل بقوله كمن انقطع عن العلم بجميع الدين أو عجز عن جميعه كالجنون مثلاً؛ وهذه أوقات الفترات؛ فإذا حصل من يقوم بالدين من العلماء أو الأمراء أو مجموعهما كان بيانه لما جاء به الرسول شيئاً فشيئاً بمنزلة بيان الرسول - صلى الله عليه وسلم - لما بعث به شيئاً فشيئاً؛ ومعلوم أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يبلغ إلا ما أمكن علمه والعمل به، ولم تأت الشريعة جملة، كما يقال: إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع..

فكذلك المجدد لدينه والمحيي لسنته لا يبلغ إلا ما أمكن علمه والعمل به؛ كما أن الداخل في الإسلام لا يمكن حين دخوله أن يُلقّن جميع شرائعه ويؤمر بها كلها، وكذلك التائب من الذنوب، والمتعلم والمسترشد لا يمكن في أول الأمر أن يؤمر بجميع الدين ويذكر له جميع العلم؛ فإنه لا يطيق ذلك وإذا لم يطقه لم يكن واجباً عليه في هذه الحال، وإذا لم يكن واجباً لم يكن للعالم والأمير أن يوجبه جميعه ابتداء، بل يعفو عن الأمر والنهي بما لا يمكن علمه وعمله إلى وقت الإمكان؛ كما عفا الرسول عما عفا عنه إلى وقت بيانه، ولا يكون ذلك من باب إقرار المحرمات وترك الأمر بالواجبات؛ لأن الوجوب والتحريم مشروط بإمكان العلم والعمل وقد فرضنا انتفاء هذا الشرط، فتدبر هذا الأصل فإنه نافع !!

ومن هنا يتبين سقوط كثير من هذه الأشياء وإن كانت واجبة أو محرمة في الأصل، لعدم إمكان البلاغ الذي تقوم به حجة الله في الوجوب أو التحريم؛ فإن العجز مسقط للأمر والنهي وإن كان واجباً في الأصل.. والله أعلم"[1]

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة ١٩٩٥م ٢٠/ ٦٠.

تنبيه مهم:

وهذا إن كان جائزا لبعض أفراد الأمة فهو لا يعني بالضرورة أن تكون الدعوة في هذه المرحلة في كل مراحلها الزمنية وجزئياتها دعوة سرية خالية من البلاغ المبين والصدع بكلمة الحق ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر !!

ومن تأمل سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- في المرحلة المكية عرف أن هناك قدرا كبيرا من الحق والبلاغ المبين لا يمكن كتمه وإخفاءه بحجة ما يسمى اليوم في قاموس الدعوة بـ"فقه المرحلة" أو بـ"فقه الاستضعاف" لأنه يمثل أصل الدعوة الإسلامية وأُسّها، فآية: ((فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ))(١) ، نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في أول بعثته في مكة، بعد ثلاث سنوات من الدعوة وهو في ما يسمى "مرحلة الاستضعاف" فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن امتثل أمر ربه عز وجل !!

قال ابن القيم رحمه الله: " وأقام بعد ذلك ثلاث سنين يدعو إلى الله سبحانه مستخفيا، ثم نزل عليه ((فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)) ؛ فأعلن بالدعوة، وجاهر قومه بالعداوة، واشتد الأذى عليه وعلى المسلمين، حتى أذن الله لهم بالهجرتين "(٢).

وأخرج الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه عن ابن عباس -رضي الله عنهما- : "أن النبي -صلى الله عليه وسلم- خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى: " يا صبحاه " فاجتمعت إليه قريش، فقال: أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم فقال: " فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد " فقام أبو لهب ينفض يديه ويقول: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله ((تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، ت: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط:٣ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨ (١/ ٨٦).

مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ))"[1].

ومرة اجتمع أشراف قريش في الحجر فذكروا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا على أمر هذا الرجل قط، سفه أحلا منا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمرٍ عظيم.. فبينا هم في ذلك إذ طلع الرسول -صلى الله عليه وسلم-، فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفاً بالبيت، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول: فعرف ذلك في وجه الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرف ذلك في وجه الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها !! فوقف ثم قال: "أتسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح" فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا وكأنما على رأسه طائر واقع حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم راشداً، فوالله ما كنت جهولاً...."[2].

فأي صدع بالحق أعظم من هذا؟!!

فقد أمره الله سبحانه بالصدع بالحق على ضعف أصحابه وقلتهم، وتسلط كفار مكة وجبروتهم وشدة أذاهم على المسلمين، وكونهم بين ظهراني الكفار وتحت سلطانهم.

فكيف بمن هم في بلاد المسلمين، و ليسوا في بلاد الكفار، ولا تحت سلطانهم، ولم يصل إليهم من الأذى عشر معشار ما حصل للصحابة من كفار مكة ؟!.

"إن الصدع بحقيقة هذه العقيدة والجهر بكل مقوّماتها وكل مقتضياتها ضرورة في الحركة بهذه الدعوة فالصدع القوي النافذ هو الذي يهز الفطرة الغافية ويوقظ المشاعر المتبلدة

(١) أخرجه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ((تبت يد أبي لهب وتب))، ١/ ٤٧٠ رقم (١٣٣٠) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند في مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن عمرو رضي الله عنه ٢/ ٢١٨ رقم: (٧٠٣٦).

ويقيم الحجة على الناس «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ»[(١)] أما التدسس الناعم بهذه العقيدة وجعلها عضين يعرض الداعية منها جانباً ويكتم جانباً، لأن هذا الجانب يثير الطواغيت أو يصد الجماهير !! فهذا ليس من طبيعة الحركة الصحيحة بهذه العقيدة القوية"[(٢)] ، لقد أصبح كثير من الناس يتصورون أن الحكمة والموعظة الحسنة تعني التربيت على أخطاء الناس وانحرافاتهم، وعدم مواجهتهم بها خشية أن ينفروا من الدعوة ولا يستجيبوا لها!! فمن أين جاءوا بهذا الفهم لهذا التوجيه الرباني الكريم؟ !

هل هناك من هو أكثر فهماً لهذا التوجيه الكريم من الرسل –عليهم السلام- الذين وجه القول إليهم؟ فكيف فهم الرسول –صلى الله عليه وسلم- هذا الأمر المنزل إليه من ربه أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة؟ وكيف فهم موسى وهارون عليهما السلام توجيه الله لهما أن يقولا لفرعون قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى؟ فأما رسول الله –صلى الله عليه وسلم- فقد صدع بما أُمِرَ فقالت عنه قريش: لقد عاب آلهتنا وسفه أحلامنا، وكفر آباءنا وأجدادنا ! !

وأما موسى وهارون –عليهما السلام- فقد بدآ بأن قالا: السلام على من اتبع الهدى، ولم يقولا لفرعون: السلام عليك ! وفي ذلك إشارة ملحوظة إلى أن فرعون غير متبع للهدى، ثم ثنيا بأن قالا: ((إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى))[(٣)]، وفي ذلك تهديد واضح لفرعون وقومه بالعذاب الذي ينتظرهم إن هم كذبوهما، وتولوا عن الحق الذي يعرضانه عليهم، وكان هذا هو القول اللين الذي أُمِرَا بتوجيهه إلى فرعون !!

إن التلطف واجب ولكنه التلطف في إظهار الحق، وليس التلطف في إخفاء الحق فهذا الأخير هو الذي قال عنه تعالى لنبيه –صلى الله عليه وسلم-: ((وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ

---

(١) سورة الأنفال، الآية:٤٢.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق – بيروت، ط:١١ ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م ٤/ ٢١٥٥ .

(٣) سورة طه، الآية: ٤٨.

فَيُدْهِنُونَ))[1]."[2] ، فأرادوا أن يضيعوا مضمون الدعوة ويميعوا الحق، فعرضوا عليه الالتقاء في منتصف الطريق: نعبد إلهك يوماً وتعبد آلهتنا يوماً !! فجاء الحسم من الله في عدم المساومة على الحقائق: ((قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * ولا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ..))[3].

أرادوا أن يحرفوه عن الحق الذي معه، وأن يفتنوه عن الذي أوحاه الله إليه، قال تعالى: ((وإن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَذِي أَوْحَيْنَا إلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وإذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً * ولَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً * إذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وضِعْفَ المَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً))[4]، يقول الإمام الطبري -رحمه الله تعالى- في تفسير هذه الآية: "اختلف أهل التأويل في الفتنة التي كاد المشركون أن يفتنوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بها عن الذي أوحى الله إليه إلى غيره.. والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم، أن المشركين كادوا أن يفتنوه عما أوحاه الله إليه ليعمل بغيره، وذلك هو الافتراء على الله. وجائز أن يكون ذلك كان ما ذكر عنهم من ذكر أنهم دعوه أن يمس آلهتهم، ويلم بها. وجائز أن يكون كان ذلك ما ذكر عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من أمر ثقيف، ومسألتهم إياه ما سألوه مما ذكرنا ؛ وجائز أن يكون غير ذلك، ولا بيان في الكتاب ولا في خبر يقطع العذر أي ذلك كان. والاختلاف فيه موجود على ما ذكرنا، فلا شيء فيه أصوب من الإيمان بظاهره، حتى يأتي خبر يجب التسليم له ببيان ما عني بذلك منه..

وقوله: ((وَإِذاً لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً)) يقول تعالى ذكره: ولو فعلت ما دعوك إليه من الفتنة عن الذي أوحينا إليك لاتخذوك إذا لأنفسهم خليلا، وكنت لهم وكانوا لك أولياء..

---

(١) سورة القلم، الآية: ٩.

(٢) مقدمة كتاب مقومات التصور الإسلامي، لسيد قطب، دار الشروق – القاهرة ط:٥ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ص ١٣.

(٣) سورة الكافرون.

(٤) سورة الإسراء، الآية : ٧٣-٧٥.

((وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً)).

يقول تعالى ذكره: لولا أن ثبتناك يا محمد بعصمتنا إياك عما دعاك إليه هؤلاء المشركون من الفتنة ((لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً)) يقول: لقد كدت تميل إليهم وتطمئن شيئا قليلاً، وذلك ما كان صلى الله عليه وسلم هم به من أن يعمل بعض الذي كانوا سألوه فعله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر حين نزلت هذه الآية، ما حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، عن قتادة، في قوله: ((وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً)) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تكلني إلى نفسي طرفة عين))[1]"أهـ.

إن هذه المحاولات التي عصم الله منها رسوله، هي محاولات أصحاب السلطان مع أصحاب الدعوات دائما "محاولة إغرائهم لينحرفوا- ولو قليلا- عن استقامة الدعوة وصلابتها، ويرضوا بالحلول الوسط التي يغرونهم بها في مقابل مغانم كثيرة، ومن حملة الدعوات من يفتن بهذا عن دعوته لأنه يرى الأمر هينا، فأصحاب السلطان لا يطلبون إليه أن يترك دعوته كلية، إنما هم يطلبون تعديلات طفيفة ليلتقى الطرفان في منتصف الطريق، وقد يدخل الشيطان على حامل الدعوة من هذه الثغرة، فيتصور أن خير الدعوة في كسب أصحاب السلطان إليها ولو بالتنازل عن جانب منها!! ، ولكن الانحراف الطفيف في أول الطريق ينتهي إلى الانحراف الكامل في نهاية الطريق..!! وأصحاب السلطان يستدرجون أصحاب الدعوات، فإذا سلموا في الجزء فقدوا هيبتهم وحصانتهم، وعرف المتسلطون أن استمرار المساومة، وارتفاع السعر ينتهيان إلى تسلم الصفقة كلها.. !!

ومتى دبت الهزيمة في أعماق السريرة، فلن تنقلب الهزيمة نصرا..[2]

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٥هـ ١٥/ ١٣٠ .

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق – بيروت، ط:١١ ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م ٤/ ٢٢٤٥

المسألة الثانية:

البلاغ المبين والدعوة بالتي هي أحسن.

إن أكثر الأخطاء الواقعة في تطبيق المقاصد الدعوية إنما ينتج عن طرفي النقيض، الغالي و الجافي، طرف جاف لا يحمل في دعوته همَ إقامة الحجة على الناس والقيام بالبلاغ المبين كما أمره الله -عز وجل-، وطرف يسعى جاهدا في تطبيق هذا المقصد دون النظر إلى الوسائل والأساليب الشرعية المناسبة والتي يمكن بتوفيق الله –سبحانه- إن أحسن اختيارها أن تحقق مقصدا آخر من مقاصد دعوته وهي هدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور !!

"فمن الدعاة من جعل مقصده مجرّد تبليغ الناس أوامر الله ونواهيه، إعذاراً إلى الله، وأداءً للرسالة، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ولكن في شدّة وغلظة، وحزم وقوة، دون أن يكون من همّه تألّف الناس، والترفّق بهم، تحقيقاً لهدايتهم، وإنقاذهم من الضلالة. فنفر الناس من دعوته، وانفضّ الناس من حوله، وقد خاطب الله تعالى رسوله بقوله: ((وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضّواْ مِنْ حَوْلِكَ))[1]، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتألّف الناس بالمال، والإكرام، ونحوه. فوقع مثل هؤلاء الدعاة في مخالفة التوجيه القرآني، والهدي النبوي في الدعوة إلى الله، وأخلّوا بجانب الاتباع والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته وتبليغه لدين الله."[2].

"إن الصدع بحقيقة هذه الحقيقة لا يعني الغلظة المنفرة، والخشونة وقلة الذوق والجلافة! كما أن الدعوة بالحسنى لا تعني التدسس الناعم، وكتمان جانب من حقائق هذه

---

(١) سورة آل عمران، الآية:١٥٩.

(٢) الدعوة إلى الله في ميادينها الثلاثة الكبرى، محمد حامد الغامدي، دار الطرفين - الطائف، ط:١ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ص: ٥٤.

العقيدة وإبداء جانب، وجعل القرآن عضين..

لا هذه و لا تلك.. إنما هو البيان الكامل لكل حقائق هذه العقيدة في وضوح جلي، وفي حكمة كذلك في الخطاب ولطف ومودة ولين وتيسير.."(١).

ولنا في أنبياء الله ورسله -عليهم الصلاة والسلام- أسوة حسنة ومن تأمل قول الله -عز وجل- لموسى وأخيه هارون -عليهما السلام-: ((اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى))(٢).

عرف أن مقصد إقامة الحجة بالبلاغ المبين مقرونا بمقصد الحرص على هدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور..

إن معظم الناس قد يتأثر بالأسلوب والتعامل المرن والقول اللين في إيصال الحق أكثر من تأثره بالحقيقة التي تمتلك حجة دامغة وواضحة ولكنها تفتقد الحكمة والأسلوب الجيد في إيصالها..

إن الدعوة يجب أن تقترن بالخلق الحسن، ولين الجانب وإذا كان التحلي بالخلق الحسن واجباً على الناس جميعاً فهو على الداعية أوجب وأحرى !!

في بعض المجتمعات لا تكمن الدعوة في قول الحق أو عدمه وإنما تكمن في الطريقة التي تُستخدم لإيصال هذا الحق، لأن الدعوة إلى الحق إذا لم يُتخذ لها الأسلوب الأفضل والأمثل مع مراعاة التوقيت المناسب فإنها قد تصبح مشوهة ومنفرة للآخرين أو على الحد الأدنى لا تؤثر هذه الدعوة ذلك التأثير البالغ والمطلوب، قال تعالى: ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ))(٣).

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق – بيروت، ط:١١ ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م ٤/ ٢١٥٥ .

(٢) سورة طه ، الآيات: ٤٣-٤٤.

(٣) سورة النحل ، الآية: ١٢٥.

فالداعية الناجح - الذي يريد أن يوصل الدعوة إلى قلوب الآخرين، ويوجد عندهم القناعة بها والقبول لها - يعمل باستمرار على تحسين أسلوبه في عرضها وتقديمها، وطريقته في التعامل مع الآخرين، ويستخدم أفضل الأساليب وأجودها وأجملها، ويدعو بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادل بالتي هي أحسن، ويقدم مضمون الدعوة وحقائقها في غاية اللطف والرقة واللين، بحيث يكون أسلوبه سبباً في قبولها، لو كانت مُرَّة شديدة!

والداعية يجدد في الأساليب، ويلون في وجوه البيان، وينوع في طرق الخطاب والأداء، ويضيف إلى ذلك كل نافع وجديد وناجح ومؤثر.. وعلى الداعية أن يراعي آداب الدعوة، وهدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في تبليغ الدعوة للناس، وطريقة الصحابة والعلماء في تقديمها للناس، ويلتزم بهذه الآداب من مثل التواضع والحِلم والأناة واللين والرفق والصبر والسماحة والبشاشة والرقة والمحبة والصدق..

ويتجنب أضداد هذه الأمور، فلا يكون فظاً غليظ القلب، ولا يكون متكبراً متعالياً، ولا قاسياً ولا عنيفاً ولا غَضوباً ولا متهوراً ولا نزقاً ولا نكداً ولا معسراً.. (١)

وخلاصة هذه المسألة أن على الداعية أن يفرق بين الأسلوب والمضمون فيطور في الأول وينوع ويجتهد، أما الثاني فإنه ملتزم فيه بالأصول وَقَّاف عند النصوص.

---

(١) انظر: (الدعوة إلى الله بين الأسلوب والمضمون) لصلاح عبد الفتاح الخالدي مجلة البيان عدد:٤ ص: ٥٤ جمادى الآخر ١٤٠٧هـ.

المسألة الثالثة:

البيان والوضوح من خصائص البلاغ المبين.

إن من شروط ولوازم البلاغ أن يكون مبيناً واضحاً جلياً غير ملتبس بعضه ببعض، مفهوماً مناسباً لكافة طبقات السامعين المدعوين، لذا قال تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ))(١) ، أي: ليبين لقومه ويفهمهم ما أرسل إليهم من أمر ونهي ونحوه، بسهولة ويسر لتقوم عليهم الحجة وينقطع عذرهم، وهذه من نعم الله تعالى على الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون !!

فكانت خاتمة الرسالات بأفصح اللغات وأوضحها وأقدرها على البيان، لغة العرب اللغة العربية، والتي تمتلك من الخصائص والصفات والقدرات التعبيرية، ما لا تمتلكه أية لغة أخرى، أو أي لسان آخر، قال تعالى: ((وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ)) (٢)

وإن من مقتضيات البلاغ المبين في حق الدعاة: بُعد الداعية إلى الله في خطابه وحواره مع الناس عن تكلف البلاغة والتفاصح وجمع الكلام الوحشي، فبعض الدعاة تجده يتكلف البلاغة والتفاصح ويكثر المراوغة واللف والدوران والغموض والتواري خلف العبارات المستحدثة والقوالب الجاهزة التي اعتادها بعض من تأثر بدعاة ما يسمى بـ "الحداثة" ، كذريعة لإخفاء عجزهم تارة، وستر جهلهم بأصول الدين وقواعده تارة أخرى، أو لغرض التهرب من مواجهة حقائق معينة أو الاعتراف بشيء لا بد من الاعتراف به أو لغير ذلك من الأغراض، وقد يكون قصده حسناً، فيتكلف ويتشدق ويتفيهق بالكلام الغريب المعقَّد

---

(١)سورة إبراهيم ، الآية: ٤ .

(٢)سورة النحل ، الآية: ١٠٣ .

الغامض !!، ويطلق الكلام بعيداً عن الوضوح والبيان ومن دون أدلة وبرهان، ومن غير مستند علمي أو حجة منطقية، فيكثر الثرثرة رغبة في الكلام من أجل الكلام دون رؤية واضحة أو هدف محدد !!

وقد جاء في الحديث: "إن الله -عز وجلّ- يبغضُ البليغَ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها"[(١)].

ولقد كان كلام إمامنا وقدوتنا -صلى الله عليه وسلم- بلسانِ قومِه، واضحاً مفهوماً من غير تكلف أو تعقيد كما كان رسلُ الله -عليهم السلام-، وقال تعالى: ((قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ))[(٢)].

وقد وصفت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- خطابه وكلامه بقولها: "ما كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يسرد الحديث كسردكم هذا، يحدث الحديث لو عده العاد لأحصاه"[(٣)].

فما أحوج الدعاة إلى الله اليوم إلى التأسي بإمام الدعاة -صلى الله عليه وسلم- في حديثه وحواره، والأخذ بأصول منهجه -صلوات الله وسلامه عليه- في تبليغ الناس ودعوتهم والتحدث إليهم، بكلامٍ مبينٍ مبسَّطٍ مألوفٍ.. بعيد عن الكلام الغريب المعقَّد المتكلف.

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب:الأدب، باب مَا جَاءَ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ ١١/ ٤ رقم (٣٠٩٠)، وأخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: ما جاء في المتشدق في الكلام ٢/ ٧٢٠ رقم (٥٠٠٥).

(٢) سورة ص، الآية: ٨٦.

(٣) أخرجه البخاري معلقا في كتاب: المناقب، باب: صفة النبي صلى الله عليه و سلم ٣/ ١٣٠٧ رقم (٣٥٦٨)، وأخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه ٤/ ١٩٤٠ رقم (٢٤٩٣).

المسألة الرابعة:

مفهوم تجديد الخطاب الإسلامي.

قال تعالى: ((وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ))(١).

ما أشبه الليلة بالبارحة !!

إن التخلي عن الدين كلية أو تغييره وتحريفه هو مطلب قديم طلبه المشركون من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقالوا له: ((ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ)).

قال ابن جرير الطبري -رحمه الله-: "والتبديل الذي سألوه، فيما ذكر، أن يحوّل آية الوعيد آية وعد، وآية الوعد وعيدًا والحرامَ حلالا والحلال حرامًا، فأمر الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم أن ذلك ليس إليه، وأن ذلك إلى من لا يردّ حكمه، ولا يُتَعَقَّب قضاؤه، وإنما هو رسول مبلّغ ومأمور مُتّبع."(٢) ، أما اليوم فتتعالى النداءات من أعداء الإسلام عن ضرورة أن يراجع المسلمون قيمهم وتصوراتهم ويعدلونها بما يوافق التغيرات العالمية وبما يسمى اليوم بـ "النظام العالمي الجديد" والذي تسيطر عليه الولايات المتحدة الأمريكية، ولقد ظهر هذا جلياً بعد انتهاء ما يسمى بـ "الحرب الباردة" وسقوط الاتحاد السوفييتي، ثم نشطت هذه الدعوة بشدة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، فشُكّلت اللجان كـ "لجنة تطوير الخطاب الديني في الدول العربية والإسلامية" التابعة لوزارة الخارجية الأمريكية..

وأقيمت المؤتمرات تلو المؤتمرات باسم "مؤتمرات حوار الأديان" تارة أو "حوار

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٥.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٥هـ ١٢/ ١٣٦.

الحضارات" تارة أخرى، ومثل هذه الخطط ليست جديدة، بل هي قديمة تتجدد، فقد ذكر محمد محمد حسين -رحمه الله- في كتابه (الإسلام والحضارة الغربية) نقلاً عن (كرومر) البريطاني أنه لاحظ الاختلاف الشديد بين المسلمين في مصر والمستعمر الغربي في العقائد والقيم والعادات واللغة وغيرها، وذكر أن هذه الخلافات أوجدت هوّة واسعة تفصل بين الفريقين، ودعا إلى العمل بمختلف الوسائل على بناء قنطرة فوق هذه الهوة، وقد اتخذت هذه الوسائل طريقين:

أحدهما: تربية جيل من المصريين العصريين الذين ينشّئون تنشئة خاصة تقرّبهم من الأوربيين ومن الإنجليز على وجه الخصوص، فأنشئت (كلية فكتوريا) من أجل ذلك[1]...

أما **الوسيلة الأخرى** التي اتخذها الاستعمار لإيجاد هذا التفاهم المفقود وعمل على تنفيذها فهي أبطأ ثماراً من الوسيلة الأولى، ولكنها أبقى آثاراً، كما لاحظ اللورد لويد، وهي تتلخص في تطوير الإسلام نفسه وإعادة تفسيره بحيث يبدو متفقاً مع الحضارة الغربية، أو قريباً منها وغير متعارض معها على الأقل، بدل أن يبدو عدواً لها أو معارضاً لقيمها وأساليبها"[2].

وهو ما قام به الاحتلال الإنجليزي كذلك في الهند بغية مسخ الإسلام في عقول المسلمين ونفوسهم، وتذويبهم في (حضارة عالمية) !!

ولا شك أن مقصود مروجي هذه الدعوة هو تجديد مضمون الخطاب الديني، أي (تجديد) القيم والتصورات والمبادئ التي يحتويها هذا الخطاب، ولا يخفى على المتأمل ما

---

(١) وهذا الدور هو ما يُخشى أن يقوم به برنامج الابتعاث الخارجي اليوم في بلادنا وللأسف الشديد، فلقد فُتح باب الابتعاث على مصراعيه دون قيد أو شرط حتى وصل عدد المبتعثين إلى بلاد الغرب والشرق الكافر ما يقارب أكثر من سبعين ألف طالب وطالبة على مختلف المراحل العمرية والله المستعان.

(٢) الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، دار الإرشاد – بيروت، ط:١ ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م ص: ٤٦.

تتضمنه كلمة (تجديد) من معانٍ تشمل كون هذه القيم والمبادئ والتصورات أصبحت بالية ولا تصلح لهذا العصر...

ولكن غموض هذا العنوان "تجديد الخطاب الديني" لهذه الدعوة "هدم القيم والثوابت والتصورات الإسلامية واستبدالها" أفادهم ـ فوق التعمية على مقصدهم الحقيقي ـ تورط بعض المنتسبين إلى الدعوة الإسلامية من علماء أو دعاة من أصحاب التوجه العصراني أو التنويري – زعموا– في الترويج لها ظنًا منهم أن المقصود هو تجديد الوسائل والأساليب، وهذا التورط أعطى غطاءً مناسبًا لأصحاب الدعوة الأصليين من متبجحي العلمانيين، حتى وإن همش فيما بعد هؤلاء العلماء والدعاة...

"صحيح أنه لا تزال هناك شخصيات تجديدية تحتفظ برزانتها الشرعية واستقلالها السياسي وينتصب أمامها المرء بإجلال صادق –وهم كثير ولله الحمد– إلا أننا يجب أن نعترف وبكل وضوح أنه قد تطور الأمر بكثير من أقلام الخطاب المدني إلى مآلات مؤلمة تكاد عيون المراقب تبيض من الحزن وهو يشاهد جموحها المتنامي..

كثير من تلك الطاقات.. المفعمة التي بدأت مشوارها بلغة دعوية دافئة أصبحت اليوم – ويا لشديد الأسف– تتبنى مواقف علمانية صريحة ، وتمارس التحييد العملي لدور النص في الحياة العامة ، وانهمكت في مناهضة الفتاوى الدينية والتشغيب عليها ، وانجرت إلى لعب دور كتاب البلاط فأراقت كرامتها ودبجت المديح ، وأصبحت تتبرم باللغة الإيمانية وتستسذجها وتتحاشى البعد الغيبي في تفسير الأحداث ، بل وصل بعضهم إلى التصريح باعتراضات تعكس قلقاً عميقاً حول أسئلة وجودية كبرى ، واستبدلت هذه الشريحة بمرجعية "الدليل" مرجعية "الرخصة" أينما وجدت بغض النظر هل تحقق المراد الإلهي أم لا؟ وتحولت من كونها مهمومة بتنمية الخطاب الإسلامي إلى الوشاية السياسية ضده ، والتعليق خلف كل حدث أمني بلغة تحريضية ضد كل ما هو "إسلامي" ، وغدت مولعة بالربط الجائر بين أحداث العنف والمؤسسات الدعوية ، وبالغت في الاستخفاف بكل منجز تراثي ، وتحتفي بالأدبيات

الفرانكفونية في إعادة التفسير السياسي للتراث وأنه حصيلة صراعات المصالح وتوازنات القوى وليس مدفوعاً بأية دوافع أخلاقية أو دينية، بل ووصل بعضهم إلى اعتياد اللمز في مرويات السنة النبوية وخصوصاً مصادرها ذات الوزن التاريخي واعتبارها مصدر التشوش الاجتماعي المعاصر..

وفي مقابل كل هذا الإجحاف في طرف النص والتراث والمؤسسات الإسلامية تجد اللغةَ الناعمةَ البشوشة في التعامل مع خصوم الحل الإسلامي، وحقهم في الحرية والتعبير ، والتفهمَ الودودَ للدراسات التجديفية والروايات العبثية ، والتصفيقَ المستمرَّ لكل ما هو "غربي" بطريقة لا يفعلها الغربي ذاته ، وعَرْضَ الأعلام الغربية بلغة تفخيمية وقورة ، وإسقاطَ التجارب العلمانية في التاريخ الأوروبي على مجتمعنا بشكل لا يليق بشاب مسلم -كصراع الكنيسة مع العلم والثورة الفرنسية وعصر الأنوار ونحوها- **والتركيز على أخطاء المجاهدين في سبيل الله أكثر من أخطاء العدو المحتل ، والمطالبة المستمرة بمواجهة المشروع العسكري الغربي بورود السلام الغاندية**.. إلى آخر سلسلة التطورات الموجعة..(١)

● **ماذا يريدون برفع شعار "تجديد الخطاب الديني"..؟؟:**

إنهم يريدون صناعة إسلام جديد، إسلام ليبرالي أو كما يطلقون عليه "إسلام معتدل"(٢)!!

---

(١) للاستزادة ننصح بقراءة كتاب "مآلات الخطاب المدني" كاملاً للكاتب إبراهيم السكران مكتبة صيد الفوائد: http://www.saaid.net/book

(٢) تم تداول تعبير "الإسلام المعتدل" و"الإسلام الليبرالي" في مصادر غربية عدة، سواء في مؤلفاتهم أو خطابات رؤساءهم أو قنواتهم الإعلامية .. كما استعملت قناة "بي بي سي" تصنيفين للإسلام: "الليبرالي" و "التقليدي" وتحدث السفير الأمريكي بإندونيسيا "رالف بويس" في أكثر من مناسبة عن دعم تيار "الإسلام الليبرالي" داعيا إلى إرسال المزيد من الطلبة المسلمين إلى الجامعات الأمريكية "لتحييد الإسلام الراديكالي" بتخريج طلبة "إسلاميين ليبراليين".

وذلك من خلال دعم ما يسمونهم بـ "التيار التقليدي المعتدل" ويعنون به "الصوفية" بكل أشكالها في العالم الإسلامي واستخدام الإسلام لمواجهة الإسلاميين والتنقيب في التراث الإسلامي عن ما يمكن أن يستخدم لتبرير تغيير المواقف الإسلامية وذلك بدعم وتشجيع من يسمونهم بـ "الدعاة المعتدلون" أو "الدعاة الجدد" أو ما يسمى بـ "ظاهرة التدين الجديد" لأن مضامينهم التي يدعون إليها هي أقرب للعلمانية(١)، مع ميزة مهمة وهي أنهم يدرسون في المساجد وهي الأماكن التي لا يستطيع العلمانيون دخولها !!

مع اتهام كل الخصوم لسياستهم بأنه **"متطرف"** أو "سلفي" أو "وهابي" بقصد تنفير الناس عنه..

إنهم يريدون التقريب بين الديانات الثلاث اليهودية والنصرانية والإسلام وتهميش الدين في الحياة الاجتماعية للناس ، والتحرر من اعتقاد المسلمين أنهم: خير أمة أخرجت للناس!!

إنهم يريدون أن يعلم الجميع أن العقائد والأديان هي نتاج التنشئة الاجتماعية والأفكار المسبقة، وأن الانتماء للإنسانية(٢) هو الجامع لهم، أما المعتقدات فهم أحرار فيها... **إنهم يريدون**

---

(١) من أمثلة هذا التيار من يسمى بـ الداعية الإسلامي "جمال البنا" لا كثر الله من أمثاله والذي يسعى لتحريف مبادئ الإسلام لتستجيب للمصالح الغربية بالترويج لفتاوى غريبة تهدم الإسلام من أصله كقوله: أنه لا فرق بين الإسلام والعلمانية !! إلى جانب فتاواه التي تخدش الحياء كقوله: أن حجاب المرأة فقط هو بستر السوأتين !! وتجويزه إمامة المرأة بالرجال وهي مدونة في موقعة على الشبكة العنكبوتية وللعلم فهو الأخ الأصغر للشيخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين -رحمه الله- .

(٢) هذه الكلمة (الإنسانية) "يستملح المرءُ نفسه حين يقولها وما يدري المسكين أنها على معنى (ماسونية) وأنها كلمةٌ يلوكها بلسانه وهي حرب عليه لأنها ضدُ الدينِ فهي دعوةٌ إلى أن نواجه المعانيَ الساميةَ بالإنسانيةِ لا بالدين !! وضعها اليهود لمحاربة المسلمين باسم الإنسانية لتبقى اليهودية ويُمحى رسمُ الإسلام قاتلهم الله وخذلهم" (المناهي اللفظية) للعلامة بكر أبو زيد .

تحويل المسجد إلى مؤسسة اجتماعية وخضوع خطبة الجمعة والخطباء تحت رقابتهم اللغير مباشرة، وأن يتم البعد عن تسييس الخطبة، أو تعرضها للجانب الحياتي أو المجتمعي، بمعنى (علمنة الخطبة) !! [1]..

إنهم يريدون أن تنتصر الديمقراطية المزعومة على شرع الله المنزّل، قاتلهم الله أنى يؤفكون..

إنهم يريدون حذف كل ما يعدونه "عقبة" في تحقيق حياة حضارية مستغربة مهما استطاعوا إلى ذلك سبيلا فإن لم فبتحريف وتأويل المصطلحات الشرعية وتفريغها من مضمونها، فالجهاد –مثلا– هو جهاد النفس في البناء والإنتاج فقط ، وشرب الخمر والزنا والربا حرية شخصية!!

ويشككون في شرعية حجاب المرأة وإشاعة أنه عادة لا عبادة!!

أما الولاء والبراء ومصطلح دار الإسلام ودار الكفر فمصطلحات بالية لا يليق تطبيقها في هذا العصر..!!

متبعين في ذلك طريقة أهل الزيغ والضلال في تأويل وتحريف نصوص القرآن والسنة وتكييفها لتتوافق مع روح العصر أو يتوافق بمعنى أكثر صراحة مع "الإسلام الأمريكي"!!

فيسمون المجاهرةَ بالخروج عن شريعة خالق السموات والأرض ديمقراطية !!

ويسمون الدعوةَ إلى الفاحشة والعري فناً وإعلاماً ناجحاً !!

ويسمون إفسادَ المرأة وتحويلها إلى سلعة رخيصة ممتهنة تحريرا !!

سخّروا وسائل الإعلام، وحثالة الزنادقة الذين يطلقون عليهم أهلَ الفكر، لنشر هذه الأغلوطات، وإشاعة هذه التلبيسات، تأزهم أبالسةُ الجنِ والإنس على ذلك أزا، وتلقي

---

(١) للاستزادة يراجع مقال لخالد أبو الفتوح مجلة البيان العدد ١٩٥ ص: ٤٢ ذو القعدة ١٤٢٤هـ – يناير ٢٠٠٤م .

عليهم رجسا ورجزا، كما قال تعالى: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا))[(١)] .

● **المعنى الصحيح لتجديد الخطاب الإسلامي:**

إن التجديد الصحيح للخطاب الإسلامي هو العودة به إلى التمسك بأصول الدين من الكتاب الحكيم والسنة المطهرة بعد أن ابتعد عنها أزماناً متطاولة، وإحياء ما اندرس من العمل بهما والأمر بمقتضاهما، وإماتة ما ظهر من البدع المحدثات، وإزالة كل ما علق بالدين مما ليس منه في أقوال الناس أو أفعالهم أو عقائدهم، وردُّ الأمر إلى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه..

قال -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله يبعث إلى هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"[(٢)]

وبيَّن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن النجاة في اتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين الذين اتبعوه وساروا على سنته، وأمر أن يُعض على ذلك بالنواجذ تمسكاً بها، وعدم الحيد عنها قيد أنملة، وحذر من محدثات الأمور، وبيَّن أن المحدثات في الدين ضلالة، قال -صلى الله عليه وسلم-: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة"[(٣)] .

والتجديد الصحيح للخطاب الإسلامي يكون أيضاً في ما كان مرده للاجتهاد والنظر البشري، فقد يكون ذلك الاجتهاد صواباً في زمن خاطئاً لا يناسب في زمن آخر، فهذا يكون

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب: الملاحم، باب: ما يذكر في قرن المائة ٢/ ٥١٢ رقم: (٤٢٩١).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب: السنة، باب في لزوم السنة ٢/ ٦١٠ رقم (٤٦٠٧) .

التجديد فيه والمراجعة ضرورة شرعية، ولا يقال في هذا أنه تنازل عن المبادئ أو أنه اعتراف بالهزيمة، بل هو عين الحق والصواب وعليه جرى عمل المصطفى صلى الله عليه وسلم وسلفه من بعده رضوان الله عليهم، قال -صلى الله عليه وسلم-: "إني والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير"(١).

بل نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح أميره بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه أن ينزل عدوه إذا حاصرهم على حكم الله، وقال: "فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا، ولكن أنزلهم على حكمك وحكم أصحابك"(٢).

قال ابن القيم -رحمه الله-: "فتأمل كيف فرق بين حكم الله وحكم المجتهد، ونهى أن يسمى حكم المجتهد حكم الله"(٣).

ولأن حكم الله محكم لا يحتمل الخطأ وحكم المجتهد في ما لا نص فيه يحتمل الخطأ والصواب..

ولذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد"(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: قدوم الأشعريين وأهل اليمن ٣/ ١١٤٠ رقم (٢٩٦٤)، وأخرجه مسلم في كتاب: الأيمان، باب: نذر من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه ٣/ ١٢٦٨ رقم (١٦٤٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الجهاد، باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصية إياهم بآداب الغزو وغيرها ٣/ ١٣٥٦رقم (١٧٣١).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ط: ١ ص:٣٢.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ٦/ ٢٦٧٦رقم (٦٩١٩)، وأخرجه مسلم في كتاب: الأقضية، باب: بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ٣/ ١٣٤٢رقم (١٧١٦).

وليُعلَم أن مراجعة الحق والركون إليه خير من التمادي في الاجتهاد الخاطئ والاستمرار فيه بل هذا وربي شأن المنصفين من أتباع السنة الكريمة وأنصار الحق وهم الهداة القادة، وقليل ما هم، فهذا الصحابي الجليل الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرسل رسالة إلى أبى موسى الأشعري رضي الله عنه عندما ولاه قضاء الكوفي ويقول فيها: "ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق فإن الحق قديم لا يبطله شيء، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.."[1]

وأمثلة هذا في حياة السلف الصالح كثيرة جدا منها أيضا على سبيل المثال ما رواه البخاري -رحمه الله- في صحيحه من طريق هُزيل بن شرحبيل -رحمه الله- قال: سئل أبو موسى –رضي الله عنه- عن ابنة وابنة ابن وأخت؟

فقال: للابنة النصف وللأخت النصف وآت ابن مسعود فسيتابعني؛ فسئل ابن مسعود –رضي الله عنه- وأُخبر بقول أبي موسى فقال: لقد ضللت إذًا وما أنا من المهتدين، أقضي فيها بما قضى النبي ؟ للابنة النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللأخت؛ فأتينا أبا موسى فأخبرناه بقول ابن مسعود فقال: لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم!!"[2]

والشاهد هو رجوع أبي موسى عن فتواه لما تبين له أن الدليل مع ابن مسعود -رضي الله عنهما- ..

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع[3]

جعلنا الله ممن يرى الحق حقاً فيتبعه ويرى الباطل باطلاً فيجتنبه إنه سميع مجيب.

---

(١) الاستذكار لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ت: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت ط: ١ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ٧/ ١٠٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الفرائض، باب: ميراث ابنة ابن مع ابنة ٦/ ٢٤٧٧ رقم (٦٣٥٥).

(٣) ينسب هذا البيت للشاعر العربي الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة التميمي.

المطلب الثالث:

أثر الفهم الخاطئ في تطبيق مقصد هداية الناس وإنقاذهم من النار.

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: الحرص على هداية الناس لا تكون إلا عن طريق الوسائل الشرعية.

المسألة الثانية: الحرص على هداية الناس لا يسوغ ترك شعيرة إنكار المنكر بعامة.

● **توطئة:**

ذكرنا في المبحث السابق كيف أن بعض الدعاة إلى الله قد يقع في الخطأ والزلل من حيث لا يشعر، فقد يكون همه الكبير وشغله الشاغل تحقيق أحد مقاصد الدعوة إلى الله مثل مقصد "إقامة الحجة على الناس بالبلاغ المبين" دون مراعاة المقاصد الأخرى للدعوة كمقصد "هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور" فلا يراعي في بلاغه ودعوته للناس الوسائل والأساليب المناسبة والتي تساعد على تحقيق هذا المقصد العظيم من دعوة الناس..

وفي مقابل هذه الطائفة طائفة أخرى من الدعاة إلى الله اليوم جعل همه وشغله الشاغل تحقيق مقصد "هداية الناس وإنقاذهم من النار" ولو كان هذا على حساب المقاصد الأخرى العظيمة !!

"فقصر همّه في دعوته على استدراج الخلق إلى دين الله، وتألّفهم، والتحبّب إليهم، ومجانبة الدعوة إلى كل ما يستثقلونه، أو يكرهونه، ولو كان مما أمر الله به وأوجبه، أو نهى عنه وحرّمه، واسترضائهم بما يحبّون أن يسمعوه من الوعظ، وذكر اليسر في الدين، والسكوت عن المنكرات، والتغاضي عن البدع والخرافات، فأرضى كثيراً من الخلق بدعوته، وإن لم يتّبعه منهم إلاّ القليل، فسمّى ذلك حكمة، ورفقاً، ورحمة، ولم يشعر بأنه قد أخلّ بأعظم مقاصد الدعوة، وهو البيان والتبليغ، والإنذار والتحذير، إبلاغاً للرسالة، وأداءً للأمانة، وقد قال الله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنذِرْ))(1)، وقال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الرَّسولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ))(2).."(3).

---

(1) سورة المدثر، الآية:1-2.

(2) سورة المائدة، الآية:67.

(3) الدعوة إلى الله في ميادينها الثلاثة الكبرى، محمد بن حامد الغامدي، دار الطرفين - الطائف ط1 1420هـ - 1999م ص:64.

بل قد يصل ببعضهم الحال إلى ترك العمل بالنصوص الشرعية مطلقاً بحجة مصلحة هداية الناس ولسان حالهم يقول: الغاية تبرر الوسيلة..

ومن هنا وقع انحراف بعض الجماعات الإسلامية التي ترفع شعار الدعوة إلى الله – تعالى– ممن قل علمهم بالشرع المنزل وضعف اتباعهم بإمام الدعوة الأول نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– وزهدوا بمنهج سلفه الصالح –رضوان الله عليهم أجمعين– ، وفي هذا المطلب نسلط الضوء على بعض مكامن الخطأ، مع تصحيح ما أمكن تصحيحه مساهمة في ترشيد مسيرة الدعوة المباركة والله المستعان .

المسألة الأولى:

الحرص على هداية الناس لا تكون إلا عن طريق الوسائل الشرعية.

إن الحرص على هداية الناس بدعوتهم إلى الخير وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر لهو من أعظم القربات التي يتقرب بها المسلم إلى ربه، قال -صلى الله عليه وسلم-: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئاً.."(١).

فهي من أجل العبادات التي يشترط فيها مع حسن القصد صحة المتابعة لما شرعه الله تعالى لنبيه -صلى الله عليه وسلم- حيث قيد المولى سبحانه دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- الناس بما أمره الله به وبما أذن له فيه فقط وبهذا جاءت الآيات الكثيرة في الحث على التمسك بهذا الأصل العظيم في منهج الدعوة إلى الله تعالى والتحذير من مخالفته، نذكر منها على سبيل المثال:

- قوله تعالى: ((فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ))(٢).
- وقوله: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا))(٣).
- وقوله: ((فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ))(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ٤/ ٢٠٦٠ رقم (٢٦٧٤).

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

(٣) سورة الأحزاب، الآيات: ٤٥-٤٦.

(٤) سورة الشورى، الآية: ١٥.

• وقوله: ((فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ))[١].

وفي هذه الآية يبين العلامة الطاهر بن عاشور -رحمه الله تعالى- معنى هذه الاستقامة على الأمر فيقول: "ترتب عن التسلية التي تضمنها قوله: ((وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ))[٢].

وعن التثبيت المفاد بقوله: ((فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَـؤُلاء))[٣] الحض على الدوام على التمسك بالإسلام على وجه قويم، وعبر عن ذلك بالاستقامة لإفادة الدوام على العمل بتعاليم الإسلام، دواما جماعه الاستقامة عليه والحذر من تغييره..

ولما كان الاختلاف في كتاب موسى -عليه السلام- إنما جاء من أهل الكتاب عطف على أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستقامة على كتابه أمر المؤمنين بتلك الاستقامة أيضا، لأن الاعوجاج من دواعي الاختلاف في الكتاب بنهوض فرق من الأمة إلى تبديله لمجاراة أهوائهم، ولأن مخالف الأمة عمدا إلى أحكام كتابها إن هو إلا ضرب من ضروب الاختلاف فيه، لأنه اختلافها على أحكامه.

وفي الحديث: (فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم)[٤]، فلا جرم أن كانت الاستقامة حائلاً دون ذلك، إذ الاستقامة هي العمل بكمال الشريعة بحيث لا ينحرف عنها قيد شبر، ومتعلقها العمل بالشريعة بعد الإيمان.. "[٥] اهـ.

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٢.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٠.

(٣) سورة هود، الآية: ١٠٩.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: توقيره صلى الله عليه و سلم وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك ٤/ ١٨٢٩ رقم (١٣٣٧).

(٥) التحرير والتنوير لـ محمد الطاهر بن عاشور التونسي مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان ط: ١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م ٦/ ١٧٥.

• ومنها قوله تعالى: ((فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مسْتَقِيمٍ))[1]، يقول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عند هذه الآية: ((فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ)) فعلاً واتصافاً بما يأمر بالاتصاف به ودعوة إليه، وحرصاً على تنفيذه بنفسك وفي غيرك.

((إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)) موصل إلى الله وإلى دار كرامته، وهذا مما يجب عليك زيادة التمسك به والاهتداء، إذا علمت أنه حق، وعدل، وصدق، تكون بانيا على أصل أصيل إذا بنى غيرك على الشرك والأوهام، والظلم والجور"[2] أهـ.

• ومثل قوله تعالى: ((ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ))[3]، ويقول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- في تفسيره لهذه الآية: "أي: ثم شرعنا لك شريعة كاملة، تدعو إلى كل خير، وتنهى عن كل شر، من أمرنا الشرعي ((فَاتَّبِعْهَا)) فإن في اتباعها السعادة الأبدية، والصلاح والفلاح.

((وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ)) أي: الذين تكون أهويتهم، غير تابعة للعلم، ولا ماشية خلفه. وهم كل من خالف شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم هواه وإرادته ؛ فإنه من أهواء الذين لا يعلمون..

((إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً)) أي: لا ينفعونك عند الله، فيحصلوا لك الخير، ويدفعوا عنك الشر، إن اتبعتهم على أهوائهم. ولا يصلح أن توافقهم وتواليهم، فإنك وإياهم متباينون.. ((وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ)) يخرجهم من الظلمات إلى

---

(١) سورة الزخرف، الآية:٤٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة- بيروت ط: ١ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ٤/ ٤٤٨.

(٣) سورة الجاثية، الآية:١٨-١٩.

النور، بسبب تقواهم، وعملهم بطاعته "[1] أهـ.

ويعلق الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- على هذه الآية فيقول: "فالشريعة التي جعله ربه عليها تتضمن ما أمره به ورضيه له، وكل عمل وحب وذوق ووجد وحال لا تشهد له هذه الشريعة التي جعله عليها فباطل وضلال، وهو من أهواء الذين لا يعلمون فليس لأحد أن يتبع ما يحبه فيأمر به، ويتخذه دينا، وينهى عما يبغضه ويذمه إلا بهدى من الله، وهو شريعته التي جعل عليها رسوله، وأمره والمؤمنين باتباعها ولهذا كان السلف يسمون كل من خرج عن الشريعة في شيء في الدين من أهل الأهواء، ويجعلون أهل البدع هم أهل الأهواء يذمونهم بذلك ويحذرون عنهم ولو ظهر عنهم ما ظهر من العلم والعبادة والزهد والفقر والأحوال والخوارق "[2] أ. هـ.

ومن نعمة الله تعالى علينا أن أتم لنا الدين وأكمله فمن ابتدع طريقةً ومنهجاً في دعوته إلى الله مخالفاً لطريقة ومنهج الأنبياء والرسل عليهم السلام فقد اتهم الدين بالنقص لذا فإنه ينبغي للدعاة إلى الله الاتباع الكامل لكل ما ورد من أصول الدعوة ومناهجها في القرآن الكريم، والسنة النبوّية المطهّرة..

"كما ينبغي لهم الوقوف عند ذلك والاقتصار عليه دون اختراع الطرق والأساليب، والأصول والمفاهيم، أو استعارتها من مذاهب فكرية، أو أصول ثقافية، أو أساليب دعائية أو إعلامية، أو مناهج فلسفية، أو أي مصادر أخرى غير الكتاب والسنة، وغير المأثور من منهج سلف هذه الأمة، إذ إن القرآن الكريم، والسنة المطهّرة، قد تضمنا كافّة الأصول الدعوية، وكافّة الوسائل والأساليب التبليغية، وهي إن أقيمت على وجهها، أدت الغاية منها في تبليغ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة- بيروت ط: ١ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ٤/ ٤٧٩.

(٢) بدائع التفسير الجامع لما فسره ابن القيم، جمع: يسري السيد أحمد، دار ابن الجوزي، ط:١ ١٤٢٧هـ ٤/ ١٤٧.

الدين، وإعلاء كلمة الله في الأرض، على التمام والكمال، دون حاجة إلى أصول مصطنعة، أو أساليب متكلّفة"[(١)]، ولا نعني بهذا أساليب ووسائل الدعوة المستجدة والتي لم تكن معروفة في عهد الأنبياء والرسل -عليهم السلام- كـ (وسائل النقل الحديثة، والأجهزة الكهربائية ، ووسائل الإعلام من إذاعة وتلفزة ونحوها) والتي تدخل في دائرة الإباحة ما لم تتعارض مع نص من الكتاب أو السنة أو إجماع، مما يعد وسيلة إيصال الدعوة للآخرين فقط دون أن تتعرض أو تغير في مضمون الدعوة ومنهجها وأساليب عرضها للناس..

فطريقة وصول الداعية -مثلا- إلى مكان المدعوين لا يؤثر في مضمون الدعوة بل قد يكون من الأسباب والواجبات التي يتعين على الداعية الأخذ بها فسواء وصل الداعية إليهم ماشياً على رجليه أو راكبا على حمار أو على بغل ونحوه أو كان ذلك بوسائل النقل الحديثة من سيارة أو طائرة ونحوها مما هو معدود في الوسائل المعينة على وصول الداعية إلى مكان المدعوين، ومثله طريقة بلاغ الدعوة وإيصالها للمدعوين فسواءً كانت عن طريق المراسلة بالكتابة أو المشافهة المباشرة أو كانت عن طريق مكبرات الصوت أو الصحف والمجلات أو عن طريق المذياع أو التلفاز ونحوه فهذا مما ينبغي عدم وقوع الخلاف فيه إذا كان مضمون الرسالة والدعوة صافياً سليما من التبديل أو التحريف أو التلبيس بل قد تكون بعض الوسائل الحديثة من نعم الله علينا مثل شبكة الإنترنت العالمية، فمن كان يصدق أن الداعية إلى الله تعالى يحاضر أو يلقي موعظة أو درساً في مكان ما ويستمع إليه من في مشارق الأرض ومغاربها في نفس الوقت، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء!!

ومع هذا نجد بعض الدعاة يصرّ على أن يتهم الشرع المطهر -بلسان حاله- بعدم التمام، ويسلك في دعوته المسالك المخالفة للشرع ويدعو الناس من طريق الوسائل البدعية التي نص

(١) الدعوة إلى الله في ميادينها الثلاثة الكبرى، محمد بن حامد الغامدي، دار الطرفين - الطائف ط:١ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ص:٧١ .

الشارع الحكيم على تحريمها، ومن سلك هذا المسلك في الغالب أن مضمون دعوته وجوهرها يتعرض للخدش والتحريف والتبديل ليرضي من يرجو فيهم الهداية !!

ويحسن في هذا المقام أن نذكر قصة وقعت في زمن شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه-، عندما برزت في طرق الدعوة إلى الله تعالى بعض الاجتهادات المبنية على مذاهب وأصول مبتدعة، فقد سئل -رحمه الله- عن جماعة يجتمعون على قصد الكبائر: من القتل، وقطع الطريق، والسرقة، وشرب الخمر، وغير ذلك، ثم إن شيخاً من المشائخ المعروفين بالخير واتباع السنة، قصد منع المذكورين من ذلك، فلم يمكنه إلاّ أن يقيم لهم سماعاً يجتمعون فيه بهذه النية، وهو بدفّ بلا صلاصل، وغناء المغني بشعر مباحٍ بغير شبابه، فلما فعل هذا تاب منهم جماعة، وأصبح من لا يصلي، ويسرق، ولا يزكي، يتورع عن الشبهات، ويؤدي المفروضات، ويجتنب المحرمات، فهل يباح فعل هذا السماع لهذا الشيخ على هذا الوجه، لما يترتب عليه من المصالح؟ مع أنه لا يمكنه دعوتهم إلاّ بهذا؟

فأجاب: ...فمعلوم أن ما يهدي الله به الضالّين، ويرشد به الغاوين، ويتوب به على العاصين، لابد أن يكون فيما بعث الله به رسوله من الكتاب والسنة. وإلاّ فإنه لو كان ما بعث الله به الرسول -صلى الله عليه وسلم- لا يكفي في ذلك، لكان دين الرسول ناقصاً، محتاجاً تتمة، وينبغي أن يعلم أن الأعمال الصالحة أمر الله بها أمر إيجاب أو استحباب، والأعمال الفاسدة نهى عنها. والعمل إذا اشتمل على مصلحة ومفسدة، فإن الشارع حكيم ؛ فإن غلبت مصلحته على مفسدته شرعه، وإن غلبت مفسدته على مصلحته لم يشرعه، بل نهى عنه، كما قال تعالى: ((كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرّ لّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ))[1].

وقال تعالى: ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ

(١) سورة البقرة، الآية:٢١٦.

أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا))[1]، ولهذا حرمهما الله تعالى بعد ذلك، وهكذا ما يراه الناس من الأعمال مقرباً إلى الله، ولم يشرعه الله ورسوله، فإنه لابد أن يكون ضرره أعظم من نفعه، وإلاّ فلو كان نفعه أعظم غالباً على ضرره لم يهمله الشارع؛ فإنّه -صلى الله عليه وسلم- حكيم، لا يهمل مصالح الدين، ولا يفوّت المؤمنين ما يقربهم إلى رب العالمين، وإذا تبيّن هذا فنقول للسائل: إن الشيخ المذكور قصد أن يتوّب المجتمعين على الكبائر، فلم يمكنه ذلك إلاّ بما ذكره من الطريق البدعي يدلّ أن الشيخ جاهل بالطرق الشرعية التي بها تتوب العصاة، أو عاجز عنها، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين كانوا يدعون من هو شر من هؤلاء من أهل الكفر والفسوق والعصيان بالطرق الشرعية، التي أغناهم الله بها عن الطرق البدعية..

فلا يجوز أن يقال: إنه ليس في الطرق الشرعية التي بعث الله بها نبيه ما يتوب به العصاة، فإنه قد علم بالاضطرار والنقل المتواتر أنه قد تاب من الكفر والفسوق والعصيان من لا يحصيه إلاّ الله تعالى من الأمم بالطرق الشرعية، التي ليس فيها ما ذكر من الاجتماع البدعي، بل السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان -وهم خير أولياء الله المتّقين من هذه الأمة- تابوا إلى الله تعالى بالطرق الشرعية، لا بهذه الطرق البدعية، وأمصار المسلمين وقراهم قديماً وحديثاً مملوءة ممن تاب إلى الله واتقاه، وفعل ما يحبه الله ويرضاه بالطرق الشرعية، لا بهذه الطرق البدعية، فلا يمكن أن يقال: إن العصاة لا تمكن توبتهم إلاّ بهذه الطرق البدعية، بل قد يقال: إن في الشيوخ من يكون جاهلاً بالطرق الشرعية، عاجزاً عنها، ليس عنده علم بالكتاب والسنة، وما يخاطب به الناس، ويسمعهم إياه، مما يتوب الله به عليهم، فيعدل هذا الشيخ عن الطرق الشرعية إلى الطرق البدعية، إما مع حسن القصد -إن كان له دين-، وإما أن يكون غرضه الترأس عليهم، وأخذ أموالهم بالباطل، كما قال تعالى: ((يَا

(١) سورة البقرة، الآية:٢١٩.

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ))[1] ، فلا يعدل أحد عن الطرق الشرعية إلى البدعية إلاّ لجهل، أو عجز، أو غرض فاسد"[2] أ.هـ

وبعد هذا العرض يتضح لنا جلياً أنه لا يمكن للدعاة إلى الله اليوم أن يصلوا إلى غاياتهم، أو يحققوا شيئاً من أهدافهم الإسلامية ومقاصدهم الدعوية العامة عن طريق الوسائل والطرق المخالفة لشريعة رب السموات والأرض، والتي نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ما يلي: سعي بعض الدعاة إلى الله اليوم إلى التغيير عن طريق ما يسمى بالانتخابات البرلمانية الديمقراطية أو النظام الديمقراطي، أو بمشاركة الأفراد التابعين لهذه الجماعات في الإنتخابات البرلمانية والبعض يجوز التحالف مع الأحزاب الأخرى ولو كانت علمانية ليحصل بذلك على أصوات في المجالس المسماة بالتشريعية ليدعوا إلى تطبيق الشريعة من خلالها وليستغل الفرصة المتاحة بالسماح للمشاركين في الإنتخابات بالدعوة إلى أنفسهم للدعوة إلى الإسلام وإلى شرع الله زعموا !!

كيف وقد أثبتت التجارب السابقة[3] فشل هذه الطريقة البدعية بكل المقاييس، وصدق من قال: إن الديمقراطية مثل صنم العجوة الذي كان يصنعه المشرك فإذا جاع أكله، فأهل السلطة العلمانيون إذا أحسوا بأي خطورة على مواقعهم وأن الإسلاميين على مقربة من الحكم سيسارعون بحلال المجالس النيابية والأحزاب ويكون الجيش مستعداً دائماً وفوراً ويُعلن عن حالة الطوارئ، وتنزل الدبابات إلى الشوارع، ويُزج بالآلاف من المسلمين في السجون، ليحافظوا – كما زعموا – على سلامة الديمقراطية التي اخترعوها من خطر الإرهابيين..!!

---

(١) سورة التوبة ، الآية:٣٤.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة ١٩٩٥م ١١/ ٦٢٥ .

(٣) كتجربة الإسلاميين في مصر و الجزائر وتركيا .

ويجوزون لأنفسهم – باسم الديمقراطية – ما تحرمه عليهم الديمقراطية ذاتها، وعلى مرأى ومسمع من أرباب الديمقراطية في العالم !! وما أجمل ما سطره وشهد به مَن عاصر مثل هذه التجارب وهو عضو سابق في جماعة الإخوان المسلمين في مصر. والتي لا تزال تخوض وتسلك هذا الطريق الشائك المظلم -باجتهاد منهم نحسبهم كذلك- وهو الأستاذ سيد قطب -رحمه الله- حيث قال: "أذكر أن الأخ علي العشماوي أخبرني أن في مصر أخاً سودانياً زائراً وهو مندوب عن الإخوان هناك، وقد يزورني، ولكن لم يُحدَد موعد ولم تتم الزيارة، غير أني علمت من الأخ علي أنه قابله مرة أو مرتين في الغالب، وأنه وصف له حوادث السودان ودور الإخوان الأساسي فيها، مما أدى إلى إنهاء الحكم العسكري هناك على ما هو معروف، كما أبدى له تفاؤله الكبير بقرب قيام حكم إسلامي في السودان نتيجة للانتخابات التي كانت لم تجر بعد، وأذكر أنني علقت وقتها مع هذا كله أن قيام حكم إسلامي في أي بلد لن يجيء عن مثل هذه الطرق وأنه لن يكون إلا بمنهج بطيء وطويل المدى، يستهدف القاعدة لا القمة، ويبدأ من غرس العقيدة من جديد والتربية الإسلامية الأخلاقية، وأن هذا الطريق الذي يبدو بطيئاً وطويلاً جداً هو أقرب الطرق وأسرعها.. وقلت له كذلك: إنهم لم يمروا بعد بالتجارب التي مررنا بها في مصر، ولذلك لا بد أن يتركوا ليجربوا إذْ أنني أظن أنهم لن يقبلوا منا توجيهاً في فورة الحماسة والتفاؤل"[1]

نعم فإن التمكين والاستخلاف في الأرض للمؤمنين مرهون بتوحيدهم لله -عز وجل-، واجتناب الشرك ومظانه وكل ما يؤدي إليه، كما قال تعالى: ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ

(١) لماذا أعدموني، سيد قطب ص:٦٦ نسخة إلكترونية – مكتبة الجامع الكبير الإسلامية الكبرى: http://3lsooot.com/book/view-1922.html

بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ))[1] ، الاستخلاف في الأرض، والتمكين، والأمن بعد خوف، كل هذا العطاء والخير مقابل تحقيق التوحيد واجتناب الشرك، بينما الديمقراطية هي فكرة شركية، تقوم على الشرك وعلى تأليه المخلوق في صورة جعله مصدر الحكم والتشريع، والتحليل والتحريم، وما كان كذلك كيف يُنشد نصر الله تعالى عن طريقه، ففاعل ذلك كمن يتخذ الشرك والكفر وسيلة لنصرة الإسلام والتوحيد، وهذا لن يكون !!

وصدق الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- عندما قال: "سن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وولاة الأمر بعده سنناً، الأخذ بها تصديق لكتاب الله عز وجل، واستكمال لطاعته، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها، ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها، فمن اقتدى بما سنوا اهتدى، ومن استبصر به أبصر، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله عز وجل ما تولاه وأصلاه جهنم وساءت مصيراً"[2]..

يقول الإمام الشاطبي -رحمه الله تعالى- معلقاً على هذا الأثر: "وهذا من نفيس كلامه الذي عني به ويحفظه العلماء وكان يُعْجِب مالكاً جداً...فإنه كلام مختصر جمع أصولا حسنة من السنة: منها ما نحن فيه لأن قوله: " ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها" قطع لمادة الابتداع جملة، وقوله: "من عمل بها مهتد...!"، مدح لمتبع السنة وذم لمن خالفها بالدليل الدال على ذلك، وهو قول الله سبحانه وتعالى: ((وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً))[3]"[4]، فاللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ولا تجعله ملتبسا علينا فنضل.

---

(١) سورة النور ، الآية:٥٥.

(٢) الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، ت: الوليد بن محمد بن نبيه، مؤسسة قرطبة – القاهرة، ط:١ ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م ١/ ٤٨.

(٣) سورة النساء ، الآية:١١٥

(٤) الاعتصام، للشاطبي ت: سليم الهلالي، دار ابن عفان – الخبر، ط:٤ ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م ١/ ١١٧

المسألة الثانية:

الحرص على هداية الناس لا يسوغ ترك شعيرة إنكار المنكر بعامة.

مما هو معلوم ومتقرر في علم الدعوة وطرقها الشرعية أن الداعية إلى الله إذا أمّل هداية المدعو فإن له أن يؤجّل المنكر الأقل ويبدأ بالمنكر الأكبر فيسعى لإنكاره، لغرض شرعي صحيح كخشية وقوع ما هو أنكر منه وقد نسميه في علم الدعوة "التدرّج في التبليغ ومراعاة الأوليّات والبدء بالأهمّ فالمهمّ"، طبقًا لقاعدة المصالح والمفاسد والتي لا تعارض أصل الدين، وهذا أصل شرعيّ يدلّ عليه قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كما في حديث معاذ رضي الله عنه: "إنك تأتي أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم "(١) فأمره بأن يبدأ بالأصول، ثم الفروع والمبادئ العامّة قبل التفصيلات نظراً لحالهم، ومنه يستفاد التدرّج ومراعاة الأوليّات عند تعليم الناس، فيؤمرون بالفروض أوّلاً، ثمّ يحثّون على فعل النوافل، وهكذا، بحسب الحال والحاجة..

ولكن لشديد الأسف نجد اليوم الخلل في فهم وتطبيق هذه المبادئ الدعوية الشرعية من بعض طوائف المنتسبين(٢) للدعوة إلى الله اليوم والذين يسعون في تطبيق هذا المقصد العظيم،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه و سلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ٦/ ٢٦٨٥ رقم (٦٩٣٧)، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه والسؤال عنه ١/ ٤٦ رقم (١٧).

(٢) كما هو حال ما يعرف اليوم بـ "جماعة الدعوة والتبليغ" والتي نحّت عن منهج دعوتها أصولا من دعوة الأنبياء والرسل =

أعني به مقصد الحرص على هداية الناس فنجدهم يلغون من قاموس دعوتهم إنكار المنكر جملة وتفصيلا، بحجة أن إنكار المنكر يوغر الصدور ويصد المدعو عن الهداية زعموا!!

وليت شعري هل كانت دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام ورسالتهم التي بعثهم الله بها إلى الناس إلا أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، أم أن هؤلاء القوم يدعون ويهدون الناس بغير هدي وسنة الأنبياء المرسلين -عليهم السلام-؟!

ألم يقرءوا كتاب الله عز وجل ويتدبروه؟!

أم لم يعرفوا ما كان عليه أنبياء الله ورسله -عليهم السلام- وحالهم مع أقوامهم؟!

أم لم ينظروا في سيرة إمام الدعوة الأول نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-؟!

قال الله تعالى في صفة أسوة الدعاة والمصلحين محمد -عليه أفضل الصلاة والتسليم-: ((الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ))[1] ، ولن يشرف الداعية إلى الله تعالى ولا أي طائفة من طوائف المنتسبين للدعوة إلى الله بالدخول في زمرة الذين قال الله تعالى في حقهم: ((أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحونَ)) إلا أن يكون متبعا للنور الذي جاء به نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، وسائراً على نفس الطريق الذي سار عليه -صلى الله عليه وسلم- ((يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ))..فتأمل !!

وقال في مجادلة قوم نبي الله صالح -عليه السلام- له: ((قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا

= عليهم السلام منها: عدم التدخل في السياسة وهذا يعني قيام إسلام علماني !! وكذلك نحّت من دعوتها الجهاد في سبيل الله، وعدم إنكار المنكرات الظاهرة بحجة أنها لا تخدم مقصد هداية الناس زعموا، نسال الله أن يوفقهم للهداية إلى طريقه المستقيم .

(١) سورة الأعراف ، الآية:١٥٧.

مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ))[(١)].

وقال في طريقة دعوة نبي الله شعيب -عليه السلام- لقومه: ((قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا **أَنْهَاكُمْ عَنْهُ** إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ))[(٢)].

ثم يأمر الله عز وجل نبيه -صلى الله عليه وسلم- بعد ذكر قصص رسل الله -عليهم السلام- في نفس السورة -سورة هود- وما جرى لهم مع أقوامهم بأن يستقيم كما أمره الله حيث قال تعالى: ((فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ))[(٣)].

ثم يختم الله تعالى السورة نفسها -سورة هود- بتقرير سننه الكونية والشرعية بأن النهي عن المنكر والفساد في الأرض هو سبب لرضى الرب سبحانه وسبب لنجاة الأمم من الهلاك العام وهذه الآية وربي لهي كافية للرد على من نحّى شعيرة النهي عن المنكرات والفساد في الأرض وعزلها جملة وتفصيلا عن حقل الدعوة إلى الله تعالى بحجة تحقيق مقصد هداية الناس، حيث قال تعالى: ((فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ))[(٤)].

ولست هنا بصدد تقرير مشروعية شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكتاب الله عز وجل وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم طافحة ببيان مشروعيتها وفرضيتها على الأمة عامة وعلى الدعاة إلى الله تعالى خاصة، ولكن المقصود هنا التدليل بارتباط الأمر بالمعروف

---

(١) سورة هود، الآية:٦٢.

(٢) سورة هود، الآية:٨٨.

(٣) سورة هود، الآية:١١٢.

(٤) سورة هود، الآيات:١١٦-١١٧.

والنهي عن المنكر بالدعوة إلى الله وعدم انفكاكها منها البتة، فالدعوة إلى الله تعالى ترتكز وتقوم على أصلين عظيمين متلازمين هما: الأمر والنهي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما نص على ذلك رب العزة والجلال في محكم التنزيل بقوله: ((وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))[1].

فالدعوة هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل هو شرط خيرية هذه الأمة المباركة كما قال تعالى: ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ))[2]، وذكر ابن جرير الطبري –رحمه الله– في تفسيره عن قتادة –رحمه الله– قوله: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب–رضي الله عنه– قال في حجة حجها ورأى من الناس رعة سيئة[3]، فقرأ هذه: ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.. الآية))، ثم قال: " يا أيها الناس من سره أن يكون من تلك الأمة، فليؤد شرط الله منها "[4]، ولذلك يكون نصيب الداعية إلى الله من هذه الخيرية على قدر نصيبه من الأخذ بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ بهما قوام الدين كله "فالدين هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا قوام لأحدهما إلا بصاحبه، فلا ينهى عن منكر إلا ويأمر بمعروف يغني عنه كما يأمر بعبادة الله سبحانه، وينهى عن عبادة ما سواه، إذ رأس الأمر شهادة أن لا إله إلا الله"[5] ، وتأخير إنكار المنكر للمصلحة أمر، وترك الإنكار بالكلية أمر آخر.. فتنبه !!

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٣) أي: هيئة غير حسنة.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٥هـ ٥/ ٦٧٢.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت: د. ناصر العقل، مكتبة الرشد – الرياض، ط:٥ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ٢/ ٦١٧.

المطلب الرابع:

أثر الفهم الخاطئ في تطبيق مقصد إظهار الدين وإعلاء كلمة الله في الأرض.

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: مشروعية الجهاد في سبيل الله لتحقيق مقصد إعلاء كلمة الله في الأرض.

المسألة الثانية: خوف أعداء الإسلام من عودة الروح الجهادية عند المسلمين.

المسألة الثالثة: هل انتشر الإسلام بالسيف؟!.

المسألة الرابعة: رد شبهة: أن الجهاد في سبيل الله للدفاع فقط.

المسألة الخامسة: السعي لتحقيق مقصد إعلاء كلمة الله في الأرض لا يعني إهمال بقية المقاصد الدعوية.

المسألة الأولى:

مشروعية الجهاد في سبيل الله لتحقيق مقصد إعلاء كلمة الله في الأرض.

من أجل مقصد إظهار الدين وقيام الناس بالقسط قال الله -عز وجل-: ((كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ))(1).

وقال: ((وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ))(2).

فأمر الله تعالى الأمة المسلمة أن تستفرغ حدود الطاقة إلى أقصاها وأن لا تفرط بالأخذ بأي سبب من أسباب القوة الممكنة، والتي تتمثل في كل شيء يغيظ الكفار ويزرع الرعب في قلوبهم ويضمن قيام وتمكين الإسلام في الأرض، ولقد أخاف أعداءَ الله أن تتمكن إرادةُ القتال من نفوس المسلمين، فذهبوا يتخذون كل الوسائل الممكنة للحوْل بين المسلمين وبين هذا التمكن، وأخذوا يحذر بعضهم بعضاً، ويتناصحون بما يمكن أن يبعد المسلمين عن مجال إرادة القتال، التي هي أساس الجهاد.. القائم على إعلاء كلمة الله في الأرض ومن تأمل التحذيرات والنصائح التي وجهها أحد المسئولين في وزارة الخارجية الفرنسية في منتصف هذا القرن بقوله: "ليست الشيوعية خطراً على أوروبا فيما يبدو لي، فهي حلقة لاحقة لحلقات سابقة، وإذا كان هناك خطر فهو خطر سياسي عسكري فقط، ولكنه ليس خطراً حضارياً تتعرض معه مقومات وجودنا الفكري والإنساني للزوال والفناء، إن الخطر الحقيقي الذي

---

(1) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

(2) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

يهددنا تهديداً مباشراً عنيفاً هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالَمٌ مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، فهم جديرون أن يقيموا بها قواعد عالم جديد، دون حاجة إلى الاستغراب، أي دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية بصورة خاصة في الشخصية الحضارية الغربية فرصتهم في تحقيق أحلامهم، هي في اكتساب التقدم الصناعي الذي أحرزه الغرب، فإذا أصبح لهم علمهم، وإذا تهيأت لهم أسباب الإنتاج الصناعي في نطاقه الواسع، انطلقوا في العالم يحملون تراثهم الحضاري الغني، وانتشروا في الأرض يزيلون منها قواعد الروح الغربية، ويقذفون رسالتها إلى متاحف التاريخ، وقد حاولنا خلال حكمنا الطويل في الجزائر، أن نتغلب على الشخصية التاريخية لشعب هذا البلد، فلم نألوا جهداً في صوغ شخصية غربية له، فكان الإخفاق الكامل نتاج مجهودنا الضخم الكبير، إن العالم الإسلامي يقعد اليوم فوق ثروة خيالية من الذهب الأسود والمواد الأولية الضرورية للصناعة الحديثة، ولكنه في حاجة إلى الاستقلال في استغلال هذه الإمكانيات الضخمة الكامنة في بطون سهوله وجباله وصحاريه، إنه في عين التاريخ عملاق مقيد، عملاق لم يكتشف نفسه بعد اكتشافاً تاماً، فهو حائر، وهو قلق كاره لماضيه في عصر الانحطاط، راغب رغبة يخالطها شيء من الكسل أو بعبارة أخرى من الفوضى في مستقبل أحسن وحرية أوفر، فلنعط هذا العالم ما يشاء، ولنقو في نفسه عدم الرغبة في الإنتاج الصناعي والفني، فإذا عجزنا عن تحقيق هذه الخطة وتحرر العملاق من قيود جهله وعقدة الشعور بعجزه عن مجاراة الغرب في الإنتاج، فقد بؤنا بالإخفاق الذريع، وأصبح خطر العالم العربي وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة، خطراً داهما يتعرض به التراث الحضاري الغربي لكارثة تاريخية ينتهي بها الغرب وتنتهي معه وظيفته القيادية..".

ويعلق الدكتور عبد الله بن أحمد القادري –سدده الله– على هذا الكلام وينبه بعدة تنبيهات مهمة منها: "التنبيه الأول: أن الخطر الذي يخيف الغرب هو الإسلام والمسلمون، وأن كل خطر غير الإسلام هين، ومعنى هذا أن المسلم عندما يترك إسلامه ويتحول إلى دين آخر،

أو مذهب غير مذهب الإسلام، لا خطر منه يخافه الأعداء مهما كانت قوته المادية.

التنبيه الثاني: أن الخطر الحقيقي على الغرب، إنما هو من المسلمين الملتزمين بإسلامهم المستقلين عن الأمم الأخرى، أما المدعون للإسلام الذين تذوب شخصيتهم في غيرهم، فإنهم غير خطرين على الغرب وحضارته.

التنبيه الثالث: أن سبب خطر الإسلام والمسلمين على الغرب، ما يملكه المسلمون من عقيدة إسلامية صادقة وحضارة تاريخية أصيلة، ليست تقليدية للغرب أو غيره.

التنبيه الرابع: أن المسلمين الذين يخافهم الغرب، هم المسلمون الأقوياء في إيمانهم وأخلاقهم، وفي اقتصادهم وصناعاتهم، وليسوا الخاملين الكسالى الذين كدسوا وسائل الترف في بلدانهم وأخلدوا إلى الأرض.

التنبيه الخامس: أن المسلم الذي لم تنحرف فطرته عن الصراط السوي، يصعب على العدو إذابة شخصيته، على الرغم من المحاولات الكافرة الجادة في ذلك، لا سيما المسلم الذي يقف وجهاً لوجه في حرب سافرة مع ذلك العدو الماكر. وبهذا يظهر وجوب سعي المسلمين للحصول على السلاح الكافي، من صنع أنفسهم، وأنهم آثمون إذا لم يسعوا في تحقيق ذلك أو قصروا في السعي، فإن لم يقدروا على إنشاء المصانع الكافية، كان عليهم أن يسعوا إلى حصول ما يكفي عن طريق الغنيمة من جهاد العدو أو الشراء، وأن يستغلوا كل إمكاناتهم في الحصول على أجود أنواع الأسلحة، وأن يبقى سعيهم متواصلاً لإقامة المصانع التي تغنيهم عن أعدائهم الذين لا يؤمن مكرهم وكيدهم، ولا يجوز الركون إليهم."[1].

لذا وجب على الأمة أن تتمسك بمعقد عزها وتتشبث بأمر ربها -عز وجل- في إحياء شعيرة الجهاد في سبيل الله بين أفرادها لتكون كلمة الله -عز وجل- هي العليا وكلمة الذين

(١) راجع كتاب الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته د. عبد الله بن أحمد القادري دار المنارة جدة ط: ٢ ١٤١٣هـ-١٩٩٢م ١/ ٥٣٠.

كفروا السفلى، ولتحل العزة مكان الذلة والصغار وتحل المهابة مكان الخور والهوان، وتقذف الرهبة في قلوب أعداء الإسلام، بعدما تسربلت الأمة بثياب الهوان والذل أزمنة عديدة، وسكرت بكأس الغفلة والترف عن مخططات أعداءها وما يكيده أعداء الإسلام ضد الإسلام وأهله، لا سبيل لها إلا هو، بعدما جُرّبت جميع المذاهب والمناهج الأرضية فلم يفلح شيء منه في تحقيق إنجاز يذكر !!

وصدق الرسول الكريم -صلوات الله وسلامه عليه- الذي لا ينطق عن الهوى حينما قال: "إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينك"[1].

فأخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن هذه الأمة عزّها ومجدها وسؤددها في الجهاد في سبيل الله، متى ما رفعت راية الجهاد كانت عاقبتها النصر والعزة والتمكين، ومتى ما استكانت ورضيت بالقعود وتركت الجهاد ضربت بالذلة والهوان، وتسلط عليها أعداؤها، نسأل الله أن يرفع راية الجهاد وأن يقمع أهل الكفر والزيغ والفساد إنه سميع قريب جواد .

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: البيوع ، باب النهي عن العينة ٢/ ٢٩٦ رقم (٣٤٦٢) .

المسألة الثانية:

خوف أعداء الإسلام من عودة الروح الجهادية عند المسلمين.

جاء في مجلة العالم الإسلامي الانجليزية:

" إن شيئا من الخوف يجب إن يسيطر على العالم الغربي ولهذا الخوف أسباب منها أن الإسلام منذ ظهر في مكة لم يضعف عدديا بل دائما في ازدياد واتساع ، ثم إن الإسلام ليس دينا فحسب بل إن من أركانه الجهاد".

وقال روبرت بين: " إن المسلمين قد غزوا الدنيا كلها من قبل وقد يفعلونها مرة ثانية" .

ويقول ولفرد كانتول سميث: " إن أوروبا لا تستطيع أن تنسى ذلك الفزع الذي ظلت تحس به مدة قرون و الإسلام يجتاح الإمبراطورية الرومانية من الشرق و الغرب والجنوب" !!

ويقول لورنس براون: "الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته. انه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي...".

ويقول (لويس التاسع) ملك فرنسا بعدما هزم جيشه في مصر وسجن في سجن المنصورة، في مذكراته بعد طول تأمل يحدد الموقف من العالم الإسلامي: "إنه لا سبيل إلى السيطرة على المسلمين عن طريق الحرب والقوة وذلك بسبب عامل الجهاد في سبيل الله.. وأن المعركة مع المسلمين يجب أن تبدأ أولاً من تزييف عقيدتهم الراسخة التي تحمل طابع الجهاد والمقاومة.. ولا بد من التفريق بين العقيدة والشريعة"(١) !!!!!

ومن ثم ألف المستشرق توماس أرنولد كتابه (الدعوة إلى الإسلام) يهدف منه إلى إماتة الروح الجهادية عند المسلمين، وبرهن بزعمه على أن الإسلام لم ينتشر بالسيف، وإنما انتشر

---

(١) راجع كتاب المستشرقون والإسلام، د. محمد قطب، مكتبة وهبة - القاهرة ص: ٣٢.

بالدعوة السلمية المتبرئة من كل قوة !!

ولقد صدق وهو كذوب وقال كلمة حق يُراد بها باطلا، فالناس عندما دخلوا في دين الله أفواجا لم يكن دخولهم عن إكراه أو قسر أو عن طريق السيف والحديد وإنما كان عن رغبة وحب في هذا الدين العظيم وكانت وظيفة السيف والقوة هي وظيفة الخادم والحامي والمتكفل بحماية إيصال هذه الدعوة إلى الناس سليمة نقية كما أنزلت من رب العالمين -عز وجل- وترك الخيار لهم في الدخول في الإسلام، والوقوف أمام أي قوة تريد صد الناس عن دين الله تعالى وتحطيمها بالسيف، وهذا بخلاف ما زعمه توماس أرنولد حيث أراد أن يبرهن للناس وللمسلمين من طريق غير مباشر أن الجهاد ليس له أي دور في انتشار دعوة الإسلام، مما جعل كثير من الدعاة إلى الله يَزهد ويُزهّد غيره في الجهاد في سبيل الله ويكتفي بسلوك ما يسميها بـ "الدعوة السلمية" دون النظر أصلاً في إمكانية القيام بالجهاد الشرعي والإعداد له أو عدم إمكانيته بحكم ظروف مرحلة الاستضعاف التي تمر بها الأمة الإسلامية جمعاء..

● **مكمن الخطأ:**

لقد وقع بعض الدعاة إلى الله بل كثير منهم في الفخ الذي نُصِبَ لهم، فإذا سمعوا من يتهجم على الإسلام بأنه انتشر بالسيف من المستشرقين، قالوا: أخطأتم واسمعوا الرد عليكم من بني جلدتكم، فهذا توماس أرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) يقول كذا وكذا !!

وخرج الإنهزاميون من المسلمين يدافعون عن الإسلام، وأرادوا تبرئة الإسلام من هذه الفرية على حد زعمهم، فنفوا أن يكون الإسلام انتشر بالسيف، ونفوا معه مشروعية الجهاد في الإسلام إلا على سبيل الدفاع فقط، وأما جهاد الطلب فلا وجود له عندهم، وهذا خلاف ما قرره أئمة الهدى علماء المسلمين، فضلا عن مخالفته للقرآن والسنة، وفي ما يأتي تبيان وكشف لمثل هذه الدعاوى الزائفة نسأل الله الإعانة والتسديد .

المسألة الثالثة:

هل انتشر الإسلام بالسيف؟!

إن هذه المسألة من المسائل البسيطة التي يمكن للناظر في التاريخ وللواقع المعاصر ولو نظرة يسيرة من فهمها فهماً صحيحا دون الوقوع في أي لبس أو تخليط، إن إشاعة مثل هذه الشبهة من الغرب الكافر إنما يريدون من وراءها التشغيب والتشويه لدعوة الإسلام القويم ليبرهنوا أن الناس لما دخلوا في دين الله أفوجاً إنما كان ذلك عن طريق القوة وليس عن طريق الاقتناع التام والرغبة في هذا الدين القويم، فلعمري هذه دول الكفر تحكم وتتحكم بكثير من أراضي المسلمين اليوم فضلا عن العالم ودينها في اضمحلال ودين الإسلام ينتشر انتشار العطر الفواح في الهواء الطلق ولله الحمد والمنة، حتى في دولهم لا تكاد تجد ولاية ولا قرية إلا واسم الله يرفع فيها.. الله أكبر الله أكبر !! واسم حبيبنا -صلى الله عليه وسلم- يرفع كذلك.. أشهد أن محمدا رسول الله !! فأنجز الله وعده ورفع ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم فهل يا ترى هذا الانتشار العظيم للإسلام في أمريكا وأوروبا بالسيف!!!

لن نجيب بل ندع الجواب لقساوستهم ولبباواتهم..!!

يقول صاحب كتاب "حقائق الإسلام وأباطيل خصومه":

وقد فطِن لسخف هذا الادعاء كاتب غربي كبير، هو (توماس كارْلَيل) صاحب كتاب (الأبطال وعبادة البطولة) فإنه اتخذ محمدا -صلى الله عليه وسلم- مثلا لبطولة النبوة، وقال ما معناه:

(إن اتهامه بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم. إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس، أو يستجيبوا لدعوته! فإذا آمن به مَن يقدرون على حرب خصومه، فقد آمنوا به طائعين مصدِّقين، وتعرضوا للحرب من أعدائهم قبل أن يقدروا عليها).

ألا يقرؤون القرآن ((لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ))[1].

وما جاء من قوله تعالى بصيغة الاستفهام الإنكاري: ((أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ))[2]

وقوله تعالى على لسان نوح: ((أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ))[3].

إن المسلمين حينما فتحوا البلاد، لم يتدخلوا قط في شؤون دينها، ولم يُرغموا أحدا قط على تغيير عقيدته، ولم يثبت التاريخ واقعة واحدة أكره فيها فرد غير مسلم، أو أسرة غير مسلمة، أو بلدة غير مسلمة، أو شعب غير مسلم، على الدخول في الإسلام..

كما أثبت التاريخ أن كثيرا من البلاد الإسلامية التي نعرفها اليوم: لم يدخلها جيش مسلم، ولكنها دخلت في الإسلام بتأثير التجار وغيرهم من الناس الذين لم يكونوا علماء ولا دعاة محترفين، وإنما أحبهم الناس لما رأوا فيهم من صدق الإيمان، وحسن الخلق، وحب الخير للناس، فكانوا أسوة حسنة، فأحب الناس دينهم بحبهم، ودخلوا فيه أفرادا وجماعات. هكذا دخل الإسلام في ماليزيا وإندونيسيا والفلبين وغيرها: بوساطة تجار حضرموت وأمثالهم ممَّن جاءوا من جنوب اليمن، ضاربين في الأرض، مبتغين من فضل الله..

ولقد اتخذ المبشرون والمستشرقون من الفتوح الإسلامية: دليلا على أن الإسلام إنما انتشر بهذه القوة والسرعة، نتيجة لأنه قهر الناس بالسيف، فدخل الناس تحت بريقه مذعنين طائعين..، ونقول لأصحاب دعوى انتشار الإسلام بالسيف: إن السيف يمكنه أن يفتح أرضا، ويحتل بلدا، ولكن لا يمكنه أن يفتح قلبا. ففتح القلوب وإزالة أقفالها: تحتاج إلى عمل آخر، من إقناع العقل، واستمالة العواطف، والتأثير النفسي في الإنسان..

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٥٦.

(٢) سورة يونس ٩٩.

(٣) سورة هود ٢٨.

بل أستطيع أن أقول: إن السيف المسلط على رقبة الإنسان، كثيرا ما يكون عقبة تحول بينه وبين قبول دعوة صاحب السيف. فالإنسان مجبول على النفور ممَّن يقهره ويُذلُّه[1].

ومَن ينظر بعمق في تاريخ الإسلام ودعوته وانتشاره: يجد أن البلاد التي فتحها المسلمون، لم ينتشر فيها الإسلام إلا بعد مدة من الزمن، حين زالت الحواجز بين الناس والدعوة، واستمعوا إلى المسلمين في جو هادئ مسالم، بعيدا عن صليل السيوف، وقعقعة الرماح، ورأوا من أخلاق المسلمين في تعاملهم مع ربهم، وتعاملهم مع أنفسهم، وتعاملهم مع غيرهم: ما يحببهم إلى الناس، ويقربهم من دينهم، الذي رباهم على هذه المكارم والفضائل.

وانظر إلى بلد كمصر، وقد فُتحت في عهد أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب، ولكن ظلَّ الناس على دينهم النصراني عشرات السنين، لا يدخل فيه إلا الواحد بعد الواحد. حتى إن الرجل القبطي الذي أنصفه عمر، واقتص لابنه من ابن والي مصر: عمرو بن العاص، لم يدخل في الإسلام، رغم أنه شاهد من عدالته ما يُبهر الأبصار..

وعلى كل حال فقد كان تشريع الجهاد في سبيل الله وغايته هي "ضمان ألا يفتن الناس عن دين الله وألا يصرفوا عنه بالقوة أو ما يشبهها كقوة الوضع الذي يعيشون فيه بوجه عام وتسلط عليهم فيه المغريات والمضللات والمفسدات وذلك بأن يعز دين الله ويقوى جانبه ويهابه أعداؤه فلا يجرؤوا على التعرض للناس بالأذى والفتنة ولا يخشى أحد يريد الإيمان أن تصده عنه قوة أو أن تلحق به الأذى والفتنة والأمة المسلمة مكلفة إذن أن تظل تقاتل حتى تقضي على هذه القوى المعتدية الظالمة؛ وحتى تصبح الغلبة لدين الله والمنعة..، وإذا كان النص عند نزوله يواجه قوة المشركين في شبه الجزيرة وهي التي كانت تفتن الناس وتمنع أن يكون الدين لله فإن النص عام الدلالة مستمر التوجيه والجهاد ماض إلى يوم القيامة ففي كل يوم

---

(١) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية–بيروت ١٩٥٧م ص:٢١٩.

تقوم قوة ظالمة تصد الناس عن الدين وتحول بينهم وبين سماع الدعوة إلى الله والاستجابة لها عند الاقتناع والاحتفاظ بها في أمان والأمة المسلمة مكلفة في كل حين أن تحطم هذه القوة الظالمة؛ وتطلق الناس أحرارا من قهرها يستمعون ويختارون ويهتدون إلى الله..

وكان من واجب الأمة المسلمة أن تدفع عنهم بالقوة من يتعرض لهم بالأذى والفتنة ضمانا لحرية العقيدة وكفالة لأمن الذين هداهم الله وإقرارا لمنهج الله في الحياة وحماية للبشرية من الحرمان من ذلك الخير العام وينشأ عن تلك الحقوق الثلاثة واجب آخر على الجماعة المسلمة؛ وهو أن تحطم كل قوة تعترض طريق الدعوة وإبلاغها للناس في حرية أو تهدد حرية اعتناق العقيدة وتفتن الناس عنها وأن تظل تجاهد حتى تصبح الفتنة للمؤمنين بالله غير ممكنة لقوة في الأرض ويكون الدين لله لا بمعنى إكراه الناس على الإيمان ولكن بمعنى استعلاء دين الله في الأرض بحيث لا يخشى أن يدخل فيه من يريد الدخول ؛ ولا يخاف قوة في الأرض تصده عن دين الله أن يبلغه وأن يستجيب له وأن يبقى عليه وبحيث لا يكون في الأرض وضع أو نظام يحجب نور الله وهداه عن أهله ويضلهم عن سبيل الله بأية وسيلة وبأية أداة وفي حدود هذه المبادئ العامة كان الجهاد في الإسلام وكان لهذه الأهداف العليا وحدها غير متلبسة بأي هدف آخر ولا بأي شارة أخرى إنه الجهاد للعقيدة لحمايتها من الحصار ؛ وحمايتها من الفتنة ؛ وحماية منهجها وشريعتها في الحياة ؛ وإقرار رايتها في الأرض بحيث يرهبها من يهم بالاعتداء عليها قبل الاعتداء ؛ وبحيث يلجأ إليها كل راغب فيها لا يخشى قوة أخرى في الأرض تتعرض له أو تمنعه أو تفتنه وهذا هو الجهاد الوحيد الذي يأمر به الإسلام ويقره ويثيب عليه ؛ ويعتبر الذين يقتلون فيه: شهداء ؛ والذين يحتملون أعباءه: أولياء.."[1] .

وهكذا يتضح لنا جلياً قول شاعر الإسلام حسان بن ثابت -رضي الله عنه- :

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق - بيروت، ط:١١ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م ١/ ١٩٠ .

دعا المصطفى دهرا بمكة لم يجب وقد لان منه جانب وخطاب

فلما دعا والسيف صلت بكفه له أسلموا واستسلموا وأنابوا

ومن تأمل قول الله تعالى: ((وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ))[1] .

وقوله: ((وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتْ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ))[2]

تبين له جلياً أن السيف كان من أهم الأسباب التي أدت وساعدت على انتشار الإسلام في أنحاء الأرض، ولو كان الإسلام لا ينتشر إلا بالدعوة السلمية فقط، فمم يخاف الكفارُ؟! ومن يرعبهم ويرهبهم كما أمر الله عز وجل؟!

ومن يكف شرهم وفتنتهم المتسلطة على رقاب الناس؟!

ومن يكفل ويضمن بقاء الناس على دينهم من غير فتنة وصد عن سبيل الله؟!

ومن سيحطم الحواجز التي تقف دون نشر هذا الدين في ربوع العالمين؟!

هذا وربي مما يُمدح عليه الإسلام ولا يذم، فعلى الانهزاميين أن يتقوا الله في مسخ هذا الدين، وإصابته بالهزال بحجة أنه دين السلم والسلام. نعم، إنه دين السلم والسلام، ولكن على أساس إنقاذ البشرية كلها من عبادة غير الله، وإخضاع البشرية كافة لحكم الله، إنه منهج الله وليس منهج عبد من العبيد ولا مذهب مفكر من البشر حتى يخجل الداعون إليه من إعلان أن هدفهم الأخير هو أن يكون الدين كله لله. إنه حين تكون المذاهب التي يتبعها الناس مذاهب بشرية من صنع العبيد وحين تكون الأنظمة والشرائع التي تصرف حياتهم من وضع العبيد أيضاً فإنه في هذه الحالة يصبح لكل مذهب ولكل نظام الحق في أن يعيش داخل حدوده

(١) سورة الحج، الآية: ٤٠ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

آمنا ما دام أنه لا يعتدي على حدود الآخرين ويصبح من حق هذه المذاهب والأنظمة والأوضاع المختلفة أن تتعايش وألا يحاول أحدها إزالة الآخر. فأما حين يكون هناك منهج إلهي وشريعة ربانية وإلى جانبه مناهج ومذاهب من صنع البشر فإن الأمر يختلف من أساسه، ويصبح من حق المنهج الإلهي أن يجتاز الحواجز البشرية ويحرر البشر من العبودية للعباد[1]...

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق – بيروت، ط:١١ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م ٣/ ١٥٨٣

المسألة الرابعة:

رد شبهة: أن الجهاد في سبيل الله للدفاع فقط

لقد وقع كثير من الفضلاء ممن تصدى للدفاع عن الإسلام ورد شبهات المستشرقين ممن لم يفهم ولم يتدبر الكتاب والسنة وسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم حق التدبر فوقعوا في خطأ فادح، وهذا للأسف الشديد مما يروج له وينشره تلاميذ الاستشراق والاستعمار[١] من: أن الجهاد في الإسلام هو للدفاع فقط ولا يجوز للمسلمين غزو الكفار لأجل إخضاعهم لسلطان الإسلام وحكمه وإعلاء كلمة الله على كلمتهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ويكون الدين كله لله إلا إذا سبق الكفارُ بالاعتداء على المسلمين وعلى أرضهم ولم يعلم هؤلاء أنهم أحدثوا في الإسلام بدعة منكرة تخالف الكتاب العزيز والسنة الصحيحة وإجماع سلف الأمة..

وهذا كما يقول الأستاذ الأديب محمد محمد حسين -رحمه الله-: "نتاج الوسائل الأخرى التي اتخذها الاستعمار لإيجاد التفاهم المفقود بين المسلمين والمستعمرين وعمل على تنفيذها فهي أبطأ ثماراً، ولكنها أبقى آثاراً وهي تتلخص في: تطوير الإسلام نفسه، وإعادة تفسيره؛ بحيث يبدو متفقاً مع الحضارة الغربية، أو قريباً منها، وغير متعارض معها على الأقل، بدل أن يبدو عدواً لها، أو معارضاً لقيمها وأساليبها."[٢].

وقد توارث تلاميذ في ما يعرف بالمدرسة العقلانية هذه البدعة المنكرة فألغوا من التشريع الإسلامي جهاد الطلب الذي يعتبرونه كالغرب تدخل في شؤون الآخرين !!

---

(١) وكان من أشهر مبتدعي هذا القول والناشرين له جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وتلامذتهم والمعجبون بهم إلى يومنا هذا كما هو مقرر في كتبهم ومؤلفاتهم.

(٢) الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، دار الإرشاد – بيروت، ط:١ ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م ص: ٤٧.

وأثبتوا جهاد الدفع فقط وزعموا أن جهاد الطلب يتعارض مع الدعوة إلى الله والجدال بالتي هي أحسن، فهم لم يفقهوا أن الدعوة إلى الله، والجدال بالتي هي أحسن باقيتان، ولكن أضيف إليهما القتال لمن يأبى من المدعوين الدخول في الإسلام أو دفعه للجزية...

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "فإذا وجب علينا جهاد الكفار بالسيف ابتداءً ودفعاً فلأن يجب علينا بيان الإسلام وإعلامه ابتداءً ودفعاً لمن يطعن فيه بطريق الأولى والأحرى، فإن وجوب هذا قبل وجوب ذاك ومنفعته قبل منفعته ومعلوم أنه يحتاج كل وقت إلى السيف، فكذلك هو محتاج إلى العلم والبيان وإظهاره بالعلم والبيان من جنس إظهاره بالسيف وهو ظهور مجمل علا به على كل دين"[1].

وقال أيضاً -رحمه الله-: "فإن من الناس من يقول آيات المجادلة والمحاجة للكفار منسوخة بآية السيف لاعتقاد أن الأمر بالقتال المشروع ينافي المجادلة المشروعة، وهذا غلط، فإن النسخ إنما يكون إذا كان الحكم الناسخ مناقضاً للحكم المنسوخ كمناقضة الأمر باستقبال المسجد الحرام في الصلاة للأمر باستقبال بيت المقدس.. ومناقضة قوله لهم ((كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ)) عن القتال لقوله: (قَاتِلُوهُمْ)، كما قال تعالى: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً))[2]، فأمره لهم بالقتال ناسخ لأمره لهم بكف أيديهم عنهم، فأما قوله تعالى: ((ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ))[3]، وقوله: ((وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ))[4]، فهذا لا يناقض الأمر بجهاد من أمر بجهاده منهم، ولكن

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: د.علي حسن ناصر ،د.عبد العزيز إبراهيم العسكر ،د. حمدان محمد، دار العاصمة – الرياض، ط:١ ١٤١٤هـ ١/ ٢٣٩.

(٢) سورة النساء ، الآية: ٧٧.

(٣) سورة النحل ، الآية: ١٢٧.

(٤) سورة العنكبوت ، الآية: ٤٧.

الأمر بالقتال يناقض النهي عنه والاقتصار على المجادلة"[1].

وقال -رحمه الله-: "فكان النبي صلى الله عليه وسلم في أول الأمر مأموراً أن يجاهد الكفار بلسانه لا بيده؛ فيدعوهم ويعظهم ويجادلهم بالتي هي أحسن ويجاهدهم بالقرآن جهاداً كبيراً، قال تعالى في سورة الفرقان - وهي مكية - ((فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا))[2]، وكان مأموراً بالكف عن قتالهم لعجزه وعجز المسلمين عن ذلك، ثم لما هاجر إلى المدينة وصار له بها أعوان أذن له في الجهاد، ثم لما قووا كتب عليهم القتال ولم يكتب عليهم قتال من سالمهم؛ لأنهم لم يكونوا يطيقون قتال جميع الكفار، فلما فتح الله مكة وانقطع قتال قريش ووفدت إليه وفود العرب بالإسلام أمره الله تعالى بقتال الكفار كلهم إلا من كان له عهد مؤقت وأمره بنبذ العهود المطلقة فكان الذي رفعه ونسخه ترك القتال وأما مجاهدة الكفار باللسان فما زال مشروعاً من أول الأمر إلى آخره"[3].

وأكبر ما يستدل به هؤلاء هو بعض الآيات الواردة في مراحل تشريع الجهاد مثل قول الله تعالى: ((فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ))[4].

وكقوله تعالى: ((وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ))[5]، وكما هو معروف لدى كل بصير بالشرع ومتدبر لكتاب الله وللسنة المطهرة أن

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: د.علي حسن ناصر ،د.عبد العزيز إبراهيم العسكر ،د. حمدان محمد، دار العاصمة – الرياض، ط:١ ١٤١٤هـ ١/ ٢١٩.

(٢) سورة الفرقان ، الآية:٥٢.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: د.علي حسن ناصر ،د.عبد العزيز إبراهيم العسكر ،د. حمدان محمد، دار العاصمة – الرياض، ط:١ ١٤١٤هـ ١/ ٢٣٧.

(٤) سورة البقرة ، الآية: ١٩٤.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٩٠.

الجهاد في سبيل الله في بادئ الأمر كان:

• **محرما** كما قال تعالى: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً))[1].

وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- مأموراً طيلة العصر المكي بالعفو والصفح وكف اليد عن المشركين، كما قال تعالى: ((فاعْفُوا واصْفَحُوا حَتَّى يأتِيَ الله بأمْرِهِ))[2].

وقال: ((قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللَّهِ...))[3].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما-: (أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فقالوا: يا رسول الله إنا كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة فقال: إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا...)[4].

• **ثم أذن الله للمسلمين في الجهاد دون أن يفرضه عليهم**، وذلك بقوله -عز وجل-: ((أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ))[5]، وهي أول آية نزلت في القتال كما قال ابن عباس -رضي الله عنهما-[6].

• **ثم فرض الله عليهم قتال من قاتلهم دون من لم يقاتلهم**، وذلك في المرحلة التي قال الله

(١) سورة النساء، الآية: ٧٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٦.

(٣) سورة الجاثية، الآية: ١٤.

(٤) أخرجه النسائي في كتاب: الجهاد، باب: وُجُوبِ الْجِهَادِ ١٠/ ١٩٣ رقم (٣٠٩٩).

(٥) سورة الحج، الآية: ٣٩.

(٦) أخرجه النسائي في كتاب: الجهاد، باب: وُجُوبِ الْجِهَادِ ١٠/ ١٢٧رقم (٣٠٣٥).

فيها: ((فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً)) إلى قوله تعالى: ((فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوَاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا))[1].

• **وكانت خاتمة المراحل مرحلة قتال المشركين كافة**: من قاتَلَنا منهم ومن كف عنا، وغزوهم في بلادهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، وهذه المرحلة هي التي استقر عندها حكم الجهاد، ومات عليها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وفي هذه المرحلة نزلت آية السيف وهي قوله تعالى: ((فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ...))[2]، وقال تعالى: ((قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ))[3] .

وفي الصحيح قوله -صلى الله عليه وسلم-: "اغزوا باسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلُّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً..."[4].

وقد لخص الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- تلك المراحل في قوله: "وكان محرماً ثم مأذوناً به ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ثم مأموراً به لجميع المشركين..."[5].

---

(١) سورة النساء، الآيات: ٩٠ – ٩١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٥.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٩.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب: الجهاد والسير ، باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصية إياهم بآداب الغزو وغيرها ٣/ ١٣٥٦ رقم (١٧٣١) .

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، ت: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط:٣ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨ (٢/ ٥٨).

قال العلامة أبو بكر الجصاص[1] -رحمه الله-:

"ولا نعلم أحدا من الفقهاء يحظر قتال من اعتزل قتالنا من المشركين وإنما الخلاف في جواز ترك قتالهم لا في حظره فقد حصل الاتفاق من الجميع على نسخ حظر القتال لمن كان وصفه ما ذكرنا والله الموفق للصواب.."[2].

وقال الشوكاني -رحمه الله-: "أما غزو الكفار ومناجزة أهل الكفر وحملهم على الإسلام أو تسليم الجزية أو القتل فهو معلوم من الضرورة الدينية... وما ورد في موادعتهم أو في تركهم إذا تركوا المقاتلة فذلك منسوخ باتفاق المسلمين بما ورد من إيجاب المقاتلة لهم على كل حال مع ظهور القدرة عليهم والتمكن من حربهم وقصدهم إلى ديارهم"[3].

وقال الإمام الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- موضحاً المقصود وراداً على شبهة العقلانيين المنهزمين فيقول: "أما قول من قال بأن القتال للدفاع فقط ، فهذا القول ما علمته لأحد من العلماء القدامى، أن الجهاد شرع في الإسلام بعد آية السيف للدفاع فقط ، وأن الكفار لا يبدءون بالقتال وإنما يشرع للدفاع فقط !!

والجهاد: جهادان: جهاد طلب ، وجهاد دفاع ، والمقصود منهما جميعا هو تبليغ دين الله ودعوة الناس إليه وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وإعلاء دين الله في أرضه ، وأن يكون الدين كله لله وحده ، كما قال عز وجل في كتابه الكريم في سورة البقرة: ((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا

---

(١) أحمد بن علي الرازي، أبو بكر الجصاص (٣٠٥ - ٣٧٠ هـ = ٩١٧ - ٩٨٠م): عالم فاضل من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها، انتهت إليه رئاسة الحنفية وخوطب في أن يلي القضاء فامتنع، وألف كتاب (أحكام القرآن) وكتابا في (أصول الفقه).. (الأعلام للزركلي ١/ ١٧١).

(٢) أحكام القرآن، أحمد بن علي الجصاص الحنفي، ت: محمد الصادق قمحاوى، دار إحياء التراث العربي-بيروت ١٤٠٥هـ ٣/ ١٩١.

(٣) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي الشوكاني، ت: محمود زايد، دار الكتب العلمية – بيروت ط:١ (٥١٨/٤) .

تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ))[1] .

وقال في سورة الأنفال: ((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ))[2] .

وقال عز وجل في سورة التوبة: ((فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ))[3] والآيات في هذا المعنى كثيرة...

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عز وجل" متفق على صحته من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله" .

وفي صحيح مسلم عنه أيضا -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به".

وفي صحيح مسلم أيضا عن طارق الأشجعي -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل" ، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، وفي هذه الآيات الكريمات الدلالة الظاهرة على وجوب جهاد الكفار والمشركين وقتالهم بعد البلاغ والدعوة إلى الإسلام ، وإصرارهم على الكفر ، حتى يعبدوا الله وحده ويؤمنوا برسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - ويتبعوا ما

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٥.

جاء به ، وأنه لا تحرم دماؤهم وأموالهم إلا بذلك وهي تعم جهاد الطلب ، وجهاد الدفاع ، ولا يستثنى من ذلك إلا من التزم بالجزية بشروطها إذا كان من أهلها ، عملا بقول الله عز وجل: ((قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ))(1).

وثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه أخذ الجزية من مجوس هجر ، فهؤلاء الأصناف الثلاثة من الكفار وهم اليهود والنصارى والمجوس ثبت بالنص أخذ الجزية منهم فالواجب أن يجاهدوا ويقاتلوا مع القدرة حتى يدخلوا في الإسلام أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، أما غيرهم فالواجب قتالهم حتى يسلموا في أصح قولي العلماء؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم – قاتل العرب حتى دخلوا في دين الله أفواجا ، ولم يطلب منهم الجزية ، ولو كان أخذها منهم جائزا تحقن به دماؤهم وأموالهم لبينه لهم ، ولو وقع ذلك لنقل..

وذهب بعض أهل العلم إلى جواز أخذها من جميع الكفار لحديث بريدة المشهور في ذلك المخرج في صحيح مسلم(2) ، والكلام في هذه المسألة وتحرير الخلاف فيها وبيان الأدلة مبسوط في كتب أهل العلم من أراده وجده ، ويستثنى من الكفار في القتال النساء والصبيان والشيخ الهرم ونحوهم ممن ليس من أهل القتال ما لم يشاركوا فيه ، فإن شاركوا فيه وساعدوا عليه بالرأي والمكيدة قوتلوا كما هو معلوم من الأدلة الشرعية...

وبهذا يعلم كل من له أدنى بصيرة أن قول من قال من كتاب العصر وغيرهم: أن الجهاد شرع للدفاع فقط قول باطل غير صحيح والأدلة التي ذكرنا وغيرها تخالفه ، وإنما الصواب هو ما ذكرنا من التفصيل كما قرر ذلك أهل العلم والتحقيق ، ومن تأمل سيرة النبي –صلى الله

---

(1) سورة التوبة، الآية: ٢٩.

(2) لعل الشيخ يقصد حديث بريدة رضي اله عنه: "أن النبي كان إذا بعث أميرا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيرا، ثم قال : امض باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله" فعلق الحكم بالكفر مطلقاً..

عليه وسلم- وسيرة أصحابه -رضي الله عنهم- في جهاد المشركين اتضح له ما ذكرنا وعرف مطابقة ذلك لما أسلفنا من الآيات والأحاديث ، والله ولي التوفيق"(١).

فجهاد الطلب إذا توفرت فيه شروط القدرة عليه صار مرحلة حتمية من مراحل الدعوة إلى الله، وهو الذي ينشرها ويوسع قطرها ويكثر أتباعها ويعز شأنها، وسيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- في العهد المدني أكبر دليل على ذلك، يقول صاحب الظلال -رحمه الله- في معرض رده على من سماهم بـ "المهزومين": "ورؤية الموقف من خلال ملابسات الواقع ، لا تدع مجالاً للقول بأن "الدفاع" بمفهومه الضيق كان هو قاعدة الحركة الإسلامية كما يقول المهزومون أمام الواقع الحاضر ، وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر ..!!

إن الذين يلجأون إلى تلمس أسباب دفاعية بحتة لحركة المد الإسلامي ، إنما يؤخذون بحركة الهجوم الاستشراقية ، في وقت لم تعد للمسلمين شوكة، فيبحثون عن مبررات أدبية للجهاد في الإسلام !!، والمد الإسلامي ليس في حاجة إلى مبررات أدبية له أكثر من المبررات التي حملتها النصوص القرآنية: ((فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا * وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا * الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا))(٢) ، ((قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينِ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز ابن باز، جمع: د. محمد الشويعر، دار القاسم – الرياض ط:١ ١٤٢٠هـ ٢ / ٤٣٧ – ٣/ ١٩٦.

(٢) سورة النساء، الآيات: ٧٤ – ٧٦.

بَصِيرٌ * وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَوْلاَكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ))[1].

((قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ))[2] .

إنها مبررات تقرير ألوهية الله في الأرض ؛ وتحقيق منهجه في حياة الناس، ومطاردة الشياطين ومناهج الشياطين، وتحطيم سلطان البشر الذي يتعبد الناس ، والناس عبيد الله وحده يجوز أن يحكمهم أحد من عباده بسلطان من عند نفسه وبشريعة من هواه ورأيه !! وهذا يكفي.. مع تقرير مبدأ: ((لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)).. أي لا إكراه على اعتناق العقيدة ، بعد الخروج من سلطان العبيد، والإقرار بمبدأ أن السلطان كله لله..

يجب ألا تخدعنا أو تفزعنا حملات المستشرقين على مبدأ "الجهاد" ، وألا يثقل على عاتقنا ضغط الواقع وثقله في ميزان القوى العالمية ، فنروح نبحث للجهاد الإسلامي عن مبررات أدبية خارجة عن طبيعة هذا الدين ، في ملابسات دفاعية وقتية ، كان الجهاد سينطلق في طريقه سواء وجدت هذه الملابسات أم لم توجد !

ويجب ونحن نستعرض الواقع التاريخي ألا نغفل عن الاعتبارات الذاتية في طبيعة هذا الدين وإعلانه العام ومنهجه الواقعي.. وألا نخلط بينها وبين المقتضيات الدفاعية الوقتية..

إن المعسكرات المعادية للإسلام قد يجيء عليها زمان تؤثر فيه ألا تهاجم الإسلام ، إذا تركها الإسلام تزاول عبودية البشر للبشر داخل حدودها الإقليمية ؛ ورضي أن يدعها وشأنها ولم يمد إليها دعوته وإعلانه التحريري العام !.. ولكن الإسلام لا يهادنها ، إلا أن تعلن استسلامها لسلطانه في صورة أداء الجزية ، ضماناً لفتح أبوابها لدعوته بلا عوائق مادية من السلطات القائمة فيها..

---

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٣٨ – ٤٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٩ .

هذه طبيعة هذا الدين ، وهذه وظيفته بحكم أنه إعلان عام لربوبية الله للعالمين وتحرير الإنسان من كل عبودية لغير الله في الناس أجمعين !

وفرق بين تصور الإسلام على هذه الطبيعة ، وتصوره قابعا داخل حدود إقليمية أو عنصرية ، لا يحركه إلا خوف الاعتداء !

والإسلام ليس مجرد عقيدة، حتى يقنع بإبلاغ عقيدته للناس بوسيلة البيان. إنما هو منهج يتمثل في تجمع تنظيمي حركي يزحف لتحرير كل الناس. والتجمعات الأخرى لا تمكنه من تنظيم حياة رعاياها وفق منهجه هو. ومن ثم يتحتم على الإسلام أن يزيل هذه الأنظمة بوصفها معوقات للتحرر العام، وهذا معنى أن يكون الدين كله لله، فلا تكون هناك دينونة ولا طاعة لعبد من العباد لذاته ، كما هو الشأن في سائر الأنظمة التي تقوم على عبودية العباد للعباد !

إن الباحثين الإسلاميين المعاصرين المهزومين تحت ضغط الواقع الحاضر ، وتحت الهجوم الاستشراقي الماكر ، يتحرجون من تقرير تلك الحقيقة. لأن المستشرقين صوروا الإسلام حركة قهر بالسيف للإكراه على العقيدة. والمستشرقون الخبثاء يعرفون جيداً أن هذه ليست هي الحقيقة. ولكنهم يشوهون بواعث الجهاد الإسلامي بهذه الطريقة.. ومن ثم يقوم المنافحون - المهزومون - عن سمعة الإسلام ، بنفي هذا الاتهام !

فيلجأون إلى تلمس المبررات الدفاعية ! ويغفلون عن طبيعة الإسلام ووظيفته ، وحقه في "تحرير الإنسان" ابتداء، وقد غشى على أفكار الباحثين العصريين - المهزومين - ذلك التصور الغربي لطبيعة "الدين".. وأنه مجرد "عقيدة" في الضمير ؛ لا شأن لها بالأنظمة الواقعية للحياة.. ومن ثم يكون الجهاد للدين ، جهاداً لفرض العقيدة على الضمير !

ولكن الأمر ليس كذلك في الإسلام. فالإسلام منهج الله للحياة البشرية. وهو منهج يقوم على إفراد الله وحده بالألوهية - متمثلة في الحاكمية - وينظم الحياة الواقعية بكل تفصيلاتها اليومية ! فالجهاد له جهاد لتقرير المنهج وإقامة النظام. أما العقيدة فأمرها موكول

إلى حرية الاقتناع ، في ظل النظام العام ، بعد رفع جميع المؤثرات.. ومن ثم يختلف الأمر من أساسه ، وتصبح له صورة جديدة كاملة.. فإذا كف الله أيدي الجماعة المسلمة فترة عن الجهاد ، فهذه مسألة خطة لا مسألة مبدأ. مسألة مقتضيات حركة لا مسألة مقررات عقيدة. وعلى هذا الأساس الواضح يمكن أن نفهم النصوص القرآنية المتعددة ، في المراحل التاريخية المتجددة. ولا نخلط بين دلالاتها المرحلية ، والدلالة العامة لخط الحركة الإسلامية الثابت الطويل.."[(١)]

إذن فالجهاد الإسلامي مراحل يسلم بعضها إلى بعض،أولها الكف والصفح وثانيها الأذن دون الفرض وثالثها قتال المعتدي، وآخرها قتال الكفار كافة حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ويخضعوا لحكم الإسلام .

(١) أنظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق – بيروت، ط:١١ ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م، ٣/ ١٤٣٩-١٤٥١.

المسألة الخامسة:

السعي لتحقيق مقصد إعلاء كلمة الله في الأرض

لا يعني: إهمال بقية المقاصد الدعوية

إن المعلوم المتفق عليه بين علماء المسلمين أن هدف الجهاد في سبيل الله الأعلى هو: السعي لتعبيد الناس لله وحده لا شريك له، وإخراجهم وتحريرهم من العبودية للعباد، وإزالة الطواغيت -الذين يحولون بين الناس وبين الإسلام ويعبدونهم لغير الله عز وجل- كلها بجميع أشكالها وألوانها من الأرض، وحماية المسلمين من أن يفتنوا في دينهم أو تستباح حرماتهم، ولتطهير العالم أجمع من الفساد في الأرض كما قال تعالى: ((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ))[1]، قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: " ثم أمر تعالى بقتال الكفَّار: ((حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ)) أي: شرك، قاله ابن عباس، وأبو العالية، ومجاهد، والحسن، وقتادة، والربيع، ومقاتل بن حيان، والسُّدي، وزيد بن أسلم، ((وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ)) أي: يكونَ دينُ الله هو الظاهر على سائر الأديان، كما ثبت في الصحيحين: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سُئِل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يُقاتل شجاعة، ويقاتل حَمِيَّة، ويقاتل رياء، أيّ ذلك في سبيل الله؟ فقال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"[2]. وفي الصحيحين: "أمرْتُ أنْ أقاتلَ الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم

---

(١) سورة البقرة، الآية:١٩٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من سأل وهو قائم عالما جالسا ١/ ٥٨ رقم (١٢٣)، وأخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ١٣/ ١٥١٢ رقم (١٩٠٤).

على الله"[1] "[2] .

والجهاد في سبيل الله ماض في هذه الأمة إلى يوم القيامة كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة"[3].

قال الإمام النووي رحمه الله معلقاً: "وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة؛فإن هذا الوصف مازال بحمد الله تعالى من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى الآن، ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث"[4]

وقال صلى الله عليه وسلم: " الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة "[5].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح هذا الحديث: "وفيه أيضاً بشرى ببقاء الإسلام وأهله إلى يوم القيامة لأن من لازم بقاء الجهاد بقاء المجاهدين وهم المسلمون وهو مثل الحديث الآخر: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق..)"[6].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان ، باب : ((فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم)) ١/ ١٧ رقم (٢٥)، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ١/ ٥١ رقم (١٩) .

(٢) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الفكر – بيروت، ١٤٠١هـ ١/ ٥٢٥ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة ، باب قوله صلى الله عليه و سلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم) ٣/ ١٥٢٤رقم (١٩٢٤) .

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط: ٢، ١٣٩٢هـ ١٣/ ٦٧.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد والسير ، باب : الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ٣/ ١٠٤٧ رقم (٢٦٩٥) ، وأخرجه مسلم في كتاب: الإمارة ، باب : الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ١/ ١٤٩٣ رقم (١٨٧٣) .

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة-بيروت، ١٣٧٩هـ (٦/ ٥٦).

والإعداد للجهاد والأخذ بأسباب القدرة والقوة واجب على الأمة بحسب الاستطاعة، كما قال تعالى: ((وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ))(١) .

وينطبق على الإعداد لجهاد الكفار ما ينطبق على الجهاد نفسه من شروط القدرة ومراعاة المصلحة المعتبر شرعاً..

مع بقاء وجوب تحديث النفس بالجهاد في سبيل الله والحزن على فواته في حالة عدم الاستطاعة كما قال تعالى: ((وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ وَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ))(٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم: "من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق"(٣).

ومع هذا كله نرى لزاماً علينا التنبيه على خطأ بعض الجماعات الإسلامية والتي أخذت على عاتقها ونذرت نفسها لله، في سبيل تحقيق مقصد إظهار الدين وإعلاء كلمة الله في الأرض بل وقصرت جهدها على تحقيق هذا المقصد فحسب، ولكنها أهملت باقي المقاصد والأهداف الدعوية لدعوة البشير النذير نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، من إقامة الحجة على الناس بالبلاغ المبين ودعوة الناس بالوسائل والأساليب الشرعية المناسبة لإخراج الناس من الظلمات إلى النور وهدايتهم إلى صراط الله المستقيم، فأهملوا دعوة الناس وتعليمهم أمور دينهم ولم يرفعوا بذلك رأساً، وقصروا في القيام بمهمة الدعوة إلى الله تعالى والتي هي وظيفة الرسل -

---

(١) سورة التوبة، الآية:٦٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٩٢.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ٣/ ١٥١٧ رقم (١٩١٠).

عليهم السلام-، وبالخصوص في بعض الأماكن والبلاد التي يكون المسلمون فيها في أشد درجات الضعف والهوان والتي لا يمكن للناس فيها القيام بشعيرة الجهاد لعدم توفر أسبابه وعدم القدرة حتى على الإعداد له في وقت الاستضعاف وهيمنة دول الكفر العالمية على بلاد المسلمين -إما بالاستعمار المباشر أو الغير مباشر- والتي قد لا يتأتى لبعض المسلمين القيام بشعيرة الجهاد في سبيل الله لموانع شرعية معتبرة والتي يمكن للمسلم فيها العمل حسب حاله بإحدى مراحل تشريع الجهاد في سبيل الله الأربع التي ذكرنا سابقاً كما قرر ذلك علماء الأمة المشهود لهم بالدعوة والجهاد في سبيل الله، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- حيث يقول: " فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح والعفو عمن يؤذى الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الذين وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون "[1].أهـ، ولقد كان المسلمون يحرصون كل الحرص على دعوة الناس وهدايتهم قبل قتالهم، أي أنهم حتى في أشد الأحوال وفي ساحات قتال الكافرين ما كانوا يغفلون دعوة الناس ، كما جاء في وصية وإرشاد نبي الرحمة -صلى الله عليه وسلم- لقادة جيوشه عند قتالهم أعداء الإسلام، كما قال -صلى الله عليه وسلم- للصحابي الجليل علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- لما بعثه يوم خيبر إلى اليهود، حيث قال له: " انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام، واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم"[2]

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول، شيخ الإسلام ابن تيمية، ت: محمد الحلواني ومحمد كبير شودري، رمادي للنشر- الدمام ط:١ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ٢/ ٤١٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد والسير ، باب دعاء النبي صلى الله عليه و سلم إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله ٣/ ١٠٧٧ رقم (٢٧٨٣) ، وأخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى =

فأخبر -صلى الله عليه وسلم- أن دعوة الكفار والمشركين وهدايتهم للإسلام خير من قتالهم وقتلهم وموتهم كفاراً، فإذا كان من مقاصد وأهداف تشريع الجهاد العظيمة هي: رحمة الناس ودعوتهم إلى الإسلام وإخراجهم من ظلمات الكفر والشرك بالله والعبودية لغيره إلى عبادته وحده، فإن هذه المقاصد قد يحصلها حتى من لم يتمكن من الجهاد والقتال في سبيل الله لعذر شرعي، فالمقصود دعوة الناس وتبليغهم دين الله وإقامة الحجة عليهم على قدر الاستطاعة وفي حادثة الحديبية المشهورة والتي سماها الله عز وجل فتحاً مبيناً بقوله: ((إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا))[1]، والتي يقول عنها الإمام محمد بن شهاب الزهري -رحمه الله- : "فما فُتِحَ في الإسلام فتح قبله كان أعظم من فتح الحديبية، إنما كان القتال حيث التقى الناس، ولما كانت الهدنة، ووضعت الحرب أوزارها، وأمن الناس كلّم بعضهم بعضاً، والتقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة، ولم يُكلّم أحد بالإسلام يعقل شيئاً في تلك المدة إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر"[2].

فكان دخول الناس في الإسلام أفواجً سبباً في تسميته فتحاً مبيناً، فقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية في ألف وأربعمائة، ثم خرج بعد سنتين إلى فتح مكة في عشرة آلاف لأجل الأمن الذي وقع بينهم فاختلط بعضهم ببعض من غير خوف أو نكير، فدعا المسلمون المشركين إلى الإسلام، وأسمعوهم القرآن، وناظروهم على الإسلام، جهرة آمنين، وكانوا قبل ذلك لا يتكلمون عندهم بذلك إلا خفية، فالواجب على الدعاة أن يستغلوا كل فرصة تسنح لهم للدعوة إلى الله تعالى لتحقيق أي مقصد من مقاصد الدعوة الممكنة ويكون لهم الأسوة الحسنة في إمامهم صلى الله عليه وسلم عندما قال في ذلك الصلح أعني صلح

= عنهم، باب من فضائل علي رضي الله عنه ٤/ ١٨٧٠ رقم (٢٤٠٤).

(١) سورة الفتح، الآية:١.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة-بيروت، ١٣٧٩هـ ٧/ ٥٥٠.

الحديبية مبيناً منهجه في الدعوة إلى هذا الدين والعمل الدؤوب لتحقيق جميع المقاصد الدعوية المتاحة ما أمكنه إلى ذلك سبيلا حيث قال: " إنا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم، فإن شاؤوا ماددناهم مدة ويخلّوا بيني وبين الناس، فإن أظهرْ فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جمّوا، وإن هم أبوا فوالذي نفسي- بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره"[1] ، وبخاصة إذا كان المسلمون مستضعفين تحت سلطان وحكم أعداء الله، والأيام دول، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الشروط ، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ٢/ ٩٧٤رقم (٢٥٨١)

المبحث الثالث:

سبل تجاوز الفهم الخاطئ وأثره

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: ضرورة الإعتصام بالكتاب والسنة علماً وعملاً وفهماً وتطبيقاً.

المطلب الثاني: أهمية العمل بمقتضى مقاصد الدعوة مع الإخلاص لله.

المطلب الثالث: العناية بالتجارب الدعوية السابقة والاستفادة منها.

المطلب الرابع: دراسة سير الأنبياء - عليهم السلام- واستلهام المنهج الحق منها.

المطلب الأول:

ضرورة الإعتصام بالكتاب والسنة علماً وعملاً وفهماً وتطبيقاً.

إن أصل النجاة في الدنيا والآخرة وأساسه هو: الاعتصام بالكتاب والسنة، علماً وعملاً وفهماً وتطبيقاً، ولا سبيل للدعاة إلى الله في هذا الزمان وفي كل زمان من تجاوز ما يعرض لهم من عقبات ومصاعب وفتن إلا بالأخذ بوافر الحظ والنصيب من التمسك بكتاب الله -عز وجل- وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- ، لأن من تمسك بهما أنجاه الله ومن دعا إليهما هُدِيَ إلى صراط مستقيم، يقول الله تعالى: ((وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ))(١)

ومن اعتصم بالقرآن الكريم فقد اعتصم بالله، قال الله -جل وعلا-: ((وَمَن يَعْتَصِم بِالله فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)) (٢)

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- في حجة الوداع: "تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله"(٣)

وقد أمر الله -عز وجل- بالأخذ بالكتاب العزيز والسنة المطهرة، وردّ كل ما يحتاجه الناس وكل ما تنازعوا فيه إليهما، فقال تعالى: ((فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى الله وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠١.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الحج ، باب: حجة النبي -صلى الله عليه وسلم- ٢/ ٩٧٤رقم (١٢١٨)

تُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)) (١)

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله –: "قال مجاهد وغير واحد من السلف: أي إلى كتاب الله وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم– ،وهذا أمر من الله –عز وجل– بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة.."(٢)

وقد أَمَرَ الله –عز وجل– بالأخذ بكل ما جاء به الرسول–صلى الله عليه وسلم– والانتهاء عن كل ما نهى عنه، قال الله تعالى: ((وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ))(٣)

وقال تعالى: ((قُلْ أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاّ الْبَلاغُ الْـمُبِينُ))(٤)

وقال تعالى: ((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَالله غَفُورٌ رَّحِيمٌ))(٥)

وجاءت الأحاديث الصحيحة الكثيرة التي تدل على أن من استمسك بما كان عليه النبي– صلى الله عليه وسلم– كان من الناجين، ومن ذلك حديث العرباض بن سارية –رضي الله عنه– : قال: صلى بنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: "أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشيّاً، فإنه من يعشْ منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار الفكر – بيروت ١٤٠١هـ ٢/ ٣٣٨.

(٣) سورة الحشر ، الآية: ٧.

(٤) سورة النور، الآية: ٥٤.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

الراشدين المهديين، تمسّكوا بها، وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل مُحدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة"[1] .

ولذ كان الأخذ بالكتاب والسنة من أهم الواجبات وأعظم المنجيات، لأن الأخذ بالأراء والاجتهادات العقلية المجرّدة عن الدليل الشرعي من الكتاب والسنة يُوصل إلى المعاطب والمهالك، ولهذا قال الصحابي الجليل سهل بن حنيف -رضي الله عنه- : "اتهموا رأيكم، فلقد رأيتني يوم أبي جندل لو أستطيع أن أردّ على رسول الله أمره لرددته، والله ورسوله أعلم"[2]

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله -: "أي لا تعملوا في أمر الدين بالرأي المجرد الذي لا يستند إلى أصل من الدين"[3] .

وهذا يؤكّد أن الرأي لا يُعتمد عليه، وإنما المعتمد على الكتاب والسنة، وبخاصة عند تعدد الآراء وتنوع وجهات النظر والاختلاف كما قال تعالى: ((وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى الله ذَلِكُمُ الله رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ))[4]

والحاصل أنه لا يجوز الاعتماد على الرأي، بل يُرجع إلى الكتاب والسنة، أو إلى أحدهما، فإن لم يجد فيرجع إلى الإجماع، فإذا لم يجد الأمور الثلاثة رجع إلى أقوال الصحابة -رضي الله عنهم- ، فإن وجد قولاً لأحدهم ولم يخالفه أحد من الصحابة، ولا عُرِفَ نص يخالفه، واشتهر هذا القول في زمانهم أخذ به، لأنه حجة عند جماهير العلماء، فإذا لم يجد قولاً يحتجّ به من أقوال الصحابة، واحتاج إلى القياس رجع إليه بدون تكلّف، بل يستعمله على أوضاعه، ولا يتعسّف

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، برقم (٤٦٠٧)، والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، برقم (٢٦٧٦) .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب: حدثنا عبدان، برقم (٣١٨١)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، برقم (١٧٨٥) .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ ١٣/ ٢٨٨.

(٤) سورة الشورى، الآية: ١٠.

في إثبات العلة الجامعة التي هي من أركان القياس، بل إذا لم تكن العلّة الجامعة واضحة، فليتمسّك بالبراءة الأصلية..[1]

وخلاصة القول أنه يجب على الدعاة إلى الله تعالى أن يكونوا من أطوع الناس لله تعالى، وأسرعهم مبادرة إلى تطبيق أحكامه -عز وجل- ، ومن أراد منهم اليوم التوفيق إلى الهدى والسداد في الرأي والهدف فليلزم عتبة العبودية الحقة في جميع شؤونه عامة وفي دعوته خاصة، بالتزام هدي الكتاب الكريم والسنة المطهرة والعض عليهما بالنواجذ والرضا بهما والرد إليهما عند التنازع والاختلاف كما أخبر العزيز الحكيم بقوله: ((فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا))[2]

وكما هو حال أولياء الله المتقين والدعاة الصادقين الصالحين الذين أخبر عنهم رب العزة والجلال وذكر وصفهم في محكم التنزيل بقوله: ((إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ))[3]

وقال في شأن الطرف الآخر المكابرين المتمنعين المنافقين -وأعيذ كل داعية إلى الله بالله العظيم من أن يتصف بوصفهم- : ((وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن

(١) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: ابن قاسم مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة ١٩٩٥م ٢٠/ ١٤ و ١٩/ ١٧٦ .

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٣) سورة النور، الآيات: ٥١-٥٢.

يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ))[1]

والآيات في هذا الشأن كثيرة نسأل الله بمنه وكرمه أن يعيننا على ذكره وشكره وعبادته وحسن الدعوة إليه والاعتصام بكتابه وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- آمين .

---

(١) سورة النور، الآية: ٤٧-٥٠.

المطلب الثاني:

أهمية العمل بمقتضى مقاصد الدعوة مع الإخلاص لله .

يقول الحافظ أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة[1] -رحمه الله-: وددت أنه لو كان من الفقهاء من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم ويقعد إلى التدريس في أعمال النيات ليس إلا... فإنه ما أتى على كثير من الناس إلا من تضييع النيات..[2].

إن الدعوة إلى الله تعالى والدلالة إلى سبيله من أكبر ما يغيظ الشيطان الذي هو أس البلايا ومنبع الشرك والرياء ويوغر صدره، فهو واقف بالمرصاد لكل من سلك هذا الطريق، فيتسلط عليه بشتى الوسائل ليفسد عليه نيته، ويثني عزمه، ويثبط همته قال تعالى حكاية عن إبليس اللعين: ((قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ))[3].

ولا سبيل لمقاومة كيده وصد عدوانه والأمن منه إلا بالإخلاص لله تعالى والتجرد له سبحانه!!

قال تعالى: ((إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ))[4].

وقال عز من قائل: ((إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا

---

(١) عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي، أبو محمد (٠٠٠ - ٦٩٥ هـ = ٠٠٠ - ١٢٩٦م): من العلماء بالحديث، مالكي، أصله من الأندلس ووفاته بمصر، من كتبه "جمع النهاية" اختصر به صحيح البخاري، ويعرف بمختصر ابن أبي جمرة، و "بهجة النفوس" في شرح جمع النهاية، و "المرائي الحسان" في الحديث والرؤيا .(الأعلام للزركلي ٤/ ٨٩).

(٢) المدخل، لابن الحاج، دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ١/ ٣.

(٣) سورة الأعراف، الآيات: ١٦-١٧.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ))[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "فقد تبين أن إخلاص الدين لله يمنع من تسلط الشيطان و من ولاية الشيطان التي توجب العذاب كما قال تعالى: ((كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ))[2].

فإذا أخلص العبد لربه الدين كان هذا مانعا له من فعل ضد ذلك و من إيقاع الشيطان له في ضد ذلك و إذا لم يخلص لربه الدين و لم يفعل ما خلق له و فطر عليه عوقب على ذلك و كان من عقابه تسلط الشيطان عليه حتى يزين له فعل السيئات وكان إلهامه لفجوره عقوبة له على كونه لم يتق الله"[3] .

وقد تكفل الله -سبحانه- لمن اتقاه حق التقوى واتبع هداه أنه لا يضله ولا يشقيه بل يسعده ويهديه، ولا يتأتى هذا -بالنسبة للداعية إلى الله- إلا بالعمل بما أمر الله -تعالى- به وإخلاص الدين له -سبحانه- كما قال تعالى: ((فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ))[4].

ومثلها جاءت في سورة طه: ((فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى))[5].

فالسعيد المهتدي من أخذ بالحظ الوافر من الإخلاص والعمل بمقتضى ما أمر الله -تعالى- به عباده المؤمنين .

---

(١) سورة النحل، الآيات: ٩٩-١٠٠.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٤.

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة ١٩٩٥م ١٤/ ٣٣٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٨.

(٥) سورة طه، الآية: ١٢٣.

المطلب الثالث:

العناية بالتجارب الدعوية السابقة والاستفادة منها.

جاء في الحديث الصحيح من حديث أبي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ) وترجم -رحمه الله- في كتاب الأَدب: بَاب (لا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ) وقال معاوية -ابن أبي سفيان -رضي الله عنه- : لا حَكِيمَ إِلا ذُو تَجْرِبَةٍ)[1].

قَالَ الإمام الْخَطَّابِيُّ[2] -رحمه الله- معلقاً على هذا الحديث:

"أَيْ ليكن الْمُؤْمن حازمًا حذرًا لا يُؤْتَى من ناحِيَة الغفلة فَيُخْدَع مَرَّة بَعْد أُخْرَى، وقد يكون ذَلِك فِي أَمْر الدِّين كما يكون فِي أَمْر الدُّنْيَا وهو أَوْلاهُمَا بِالْحَذَرِ"[3] .

وقال ابن حجر -رحمه الله-: "فِيه تَحْذِير مِنْ التَّغْفِيل، وإِشارة إِلَى اِسْتِعْمَال الْفِطْنَة. وَمَال أَبُو عُبَيْد إلى أَنَّ معناه: لا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ إِذَا نكب من وجه أَنْ يَعُود إِليه...

وقد رواه الذهبي[4]. -رحمه الله- في سير أعلام النبلاء فقال:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ٥/ ٢٢٧١.

(٢) حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي، أبو سليمان (٣١٩ - ٣٨٨ هـ = ٩٣١ - ٩٩٨م): فقيه محدث، من أهل بست (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب (أخي عمر بن الخطاب) له: (معالم السنن) مجلدان، في شرح سنن أبي داود، و (بيان إعجاز القرآن) و (غريب الحديث) ... (الأعلام للزركلي ٢/ ٢٧٢).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة-بيروت، ١٣٧٩هـ ١٧/ ٣٢١.

(٤) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ = ١٢٧٤ - ١٣٤٨م): حافظ، مؤرخ، علامة محقق. تركماني الأصل، من أهل ميافارقين، مولده ووفاته في دمشق، رحل إلى القاهرة وطاف كثيرا من البلدان، وكف بصره سنة ٧٤١ هـ تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المائة، منها "تاريخ الإسلام الكبير" ٣٦ مجلدا، و "سير النبلاء" و "الكاشف" و"الكبائر" و "تهذيب تهذيب الكمال" في رجال الحديث، و "ميزان الاعتدال في نقد الرجال" (الأعلام للزركلي ٥/ ٣٢٦).

"قال سعيد بن عبد العزيز -رحمه الله-: قضى هشام عن الزهري سبعة آلاف دينار، وقال: لا تعد لمثلها تدان، فقال: يا أمير المؤمنين، حدثني سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)"[1].

وقِيلَ: الْمُرَاد بِالْمُؤْمِنِ فِي هَذَا الْحَدِيث: الْكَامِل الَّذِي قَدْ أَوْقَفَتْهُ مَعْرِفَتُه عَلَى غَوَامِض الْأُمُور؛ حَتَّى صَارَ يَحْذَر مِمَّا سَيَقَعُ. وَأَمَّا الْمُؤْمِن الْمُغَفَّل فَقَدْ يُلْدَغ مِرَارًا"[2].

وقال النووي -رحمه الله-:

"مَعْنَاهُ: الْمُؤْمِن الْمَمْدُوحُ هُوَ الْكَيِّسُ الْحَازِم الَّذِي لَا يُسْتَغْفَل؛ فَيُخْدَع مَرَّة بَعْد أُخْرَى وَلا يَفْطِن لِذَلِكَ... وَفِيهِ: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ نَالَهُ الضَّرَرُ مِنْ جِهَة أَنْ يَتَجَنَّبهَا لِئَلاَّ يَقَع فِيهَا ثَانِيَة"[3].

وإن مما تعانيه الدعوة إلى الله تعالى في واقعنا المعاصر اليوم عدمُ عنايةِ كثيرٍ من الدُّعاة إلى الله بتقييم تجربتِهم الدعوية، لتصحيح الأخطاء واجتنابِ الوقوع فيها والنظر إلى الإيجابيات فتعزَّز، وإلى السلبيات والأخطاء فتتلافى..

فتكرار حدوث الأخطاء في طريق الدعوة، وقلة الاستفادة من التجارب السابقة وأخذ العبرة منها، من أهم مشكلات الدعوة، لأن وجود الأخطاء أمر طبيعي نظراً إلى الضعف البشري، ولكن المستنكر تكرار الخطأ وعدم الاستفادة من التجارب السابقة، وفي الحديث: (كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون)[4].

وإن أولى العلماء بالاستفادة من وقائعهم وتصرفاتهم فيها:

---

(١) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: ٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ٥/ ٣٤٠.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة-بيروت، ١٣٧٩هـ ١٧/ ٣٢١.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيي بن شرف النووي، دار الخير - بيروت ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ٩/ ٣٨١

(٤) أخرجه الترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٩/ ٤٠١ رقم (٢٦٨٧).

الصحابةُ الكرام -رضوان الله عليهم-، لأنهم أعلم الناس بالمنهج الرباني، والأسلوب الحكيم، وذلك لصحبتهم لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ومعايشتهم لسيرته الدعوية، مما جعلهم خيرَ الناس، وجَعلَ لهم منزلة خاصة عند علماء الأمة...

ثم يأتي بعدّهم التابعون لهم بإحسانٍ من علماء القرون الأولى، الذين أخذوا عن الصحابة واهتدوا بهديهم...

ثم يأتي مِنْ بعدهم علماء الأمة ودعاتها على مختلف العصور، الذين لا تخلوا الأمة من أمثالهم، جزاهم الله جميعاً عن المسلمين خير الجزاء..

وإن كتب التراجم والسير حافلة بمثل هذه الوقائع والتجارب المفيدة..

ومع الاعتراف بأولوية وأهمية وقائع علماء السلف ودعاتهم، فإنه لا ينبغي للدعاة أن يزهدوا بوقائع علماء عَصرْ-هم، وتجارب الدعاة المعاصرين، فقد يكون فيها من الوقائع والأحداث ما يشابه وقائع العصر الذي يعيشون فيه، وما هو أكثر مطابقة لها، فكلما تقاربت العصور تشابهت الوقائع والأحداث فيها، والعلماءُ الموثَّقون في كل عصر-، هم أدرى الناس باحتياجات عصرهم، وبالأساليب النافعة فيه، فلا يغني شيء عن شيء.[1].

* * *

(١) للاستزادة أنظر: المدخل إلى علم الدعوة، محمد البيانوني، مؤسسة الرسالة- بيروت ط:٢ ١٩٩٣م ص: ١٥٠.

المطلب الرابع:

دراسة سير الأنبياء - عليهم السلام- واستلهام المنهج الحق منها.

الدعوة إلى الله وظيفة رسل الله جميعاً، وبها بعثهم الله تعالى إلى الناس، فكلهم بلا استثناء دعوا أقوامهم إلى الإيمان بالله وإفراده بالعبودية على النحو الذي شرعه لهم، قال تعالى عن نوح -عليه السلام-: ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ))(١).

وقال تعالى عن هود عليه السلام: ((وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ))(٢).

وعن صالح قال تعالى: ((وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ))(٣).

وعن شعيب عليه السلام قال تعالى: ((وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ...))(٤).

فجميع رسل الله تعالى دعوا إلى الله، وإلى عبادته وحده، والتبرؤ من عبادة ما سواه، قال تعالى: ((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ))(٥).

فرسل الله وأنبياءه -عليهم السلام- هم الدعاة إلى الله، وقد اختارهم الله لحمل دعوته وتبليغها إلى الناس، فينبغي للداعية أن يسير على دربهم وأن يحتذي خطاهم في طريقة تبليغ الرسالة والصبر على الأذى والاستهزاء حتى تؤتي دعوته ثمرتها وتحقق مقصدها..

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

(٢) سورة هود، الآية: ٥٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٧٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٨٥.

(٥) سورة النحل، الآية: ٣٦.

ولا يتم ذلك إلا بتأمل سيرهم -عليهم الصلاة والسلام- وتربية النفس عليها والتخلق بأخلاقهم في أنفسهم وفي تعاملهم مع أقوامهم..

وإن أعظم سيرة على مر التاريخ يجدر بالدعاة إلى الله الوقوف عندها كثيرا والنهل من معينها الصافي وتربية النفس بأصولها وقواعدها سيرة البشير النذير نبي الرحمة ونبي الملحمة والداعية إلى الله بإذنه والسراج المنير عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأتم التسليم، والتي هي بمثابة التطبيق العملي لمبادئ الإسلام العظيمة، تلك المبادئ الحيّة التي تجلّت فيها المُثُل العليا للحياة السامية، والتي تتوازن فيها دواعي المادة والروح، والدين والدنيا توازنا لا يجور فيه جانب على جانب، وقد شهد له ربه -تبارك وتعالى- بذلك وزكّاه حيث قال: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهَّ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَّ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَّ كَثِيرًا))(١).

وقال: ((وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ))(٢).

ثم قال في حق من اتبعه وجعله -صلى الله عليه وسلم- أسوة وقدوة له: ((وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآَيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آَمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ))(٣)، ولقد ذكر الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره أثراً عن وهب بن منبه -رحمه الله- يبين ما كان عليه نبينا -صلى الله عليه وسلم- من صفات عظيمة هو ومن تبعه من الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم أجمعين- قال فيه:

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦ -١٥٧.

"إِن الله تعالى أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له شعياء:

أن قم في قومك بني إسرائيل فإني منطق لسانك بوحي وأبعث أمياً من الأميين أبعثه..

ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق..

لو يمر إلى جنب سراج لم يطفئه من سكينته..

ولو يمشي على القصب لم يسمع من تحت قدميه..

أبعثه مبشراً ونذيراً لا يقول الخنا، أفتح به أعيناً كمهاً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً..

أسدده لكل أمر جميل وأهب له كل خلق كريم..

وأجعل السكينة لباسه..

والبر شعاره..

والتقوى ضميره..

والحكمة منطقه..

والصدق والوفاء طبيعته..

والعفو والمعروف خلقه..

والحق شريعته..

والعدل سيرته والهدى إمامه..

والإسلام ملته..

وأحمد اسمه..

أهدي به بعد الضلال..

وأعلم به بعد الجهالة..

وأرفع به بعد الخمالة، وأعرف به بعد النكرة..

وأكثر به بعد القلة..

وأغني به بعد العيلة..

وأجمع به بعد الفرقة..

وأؤلف به بين أمم متفرقة وقلوب مختلفة، وأهواء متشتتة..

وأستنقذ به فئاماً من الناس عظيمة من الهلكة..

وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، موحدين مؤمنين مخلصين مصدقين لما جاءت به رسلي..

ألهمهم التسبيح والتحميد، والثناء والتكبير والتوحيد، في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومثواهم..

يصلون لي قياماً وقعوداً ويقاتلون في سبيل الله صفوفاً وزحوفاً..

ويخرجون من ديارهم ابتغاء مرضاتي ألوفاً..

يطهرون الوجوه والأطراف..

ويشدون الثياب في الأنصاف..

قربانهم دماؤهم..

وأناجيلهم في صدورهم..

رهبان بالليل..

ليوث بالنهار...

وأجعل في أهل بيته، وذريته السابقين والصديقين والشهداء والصالحين..

أمته من بعده يهدون بالحق وبه يعدلون...

وأعز من نصرهم...

وأؤيد من دعا لهم...

وأجعل دائرة السوء على من خالفهم أو بغى عليهم أو أراد أن ينتزع شيئاً مما في أيديهم..

أجعلهم ورثة لنبيهم، والدعاة إلى ربهم..

يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر..

ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة..

ويوفون بعهدهم.. أختم بهم الخير الذي بدأته بأولهم.. ذلك فضلي أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم..

هكذا رواه ابن أبي حاتم[(١)] -رحمه الله- عن وهب بن منبه اليماني[(٢)] -رحمه الله- ."[(٣)]

إن مثل هذه الآثار التي تصف بدقة حال الرسول -صلى الله عليه وسلم- وما كان عليه هو وصحابته الكرام -رضوان الله عليهم- من المثل العليا والمنهج التربوي السامي ليساعد الداعية إلى الله لتصور كثير من مفردات ذلك المنهج التربوي الذي كان ينتهجه الدعاة الأُوُل ليقتفي آثارهم ويسير على دربهم ويتصف بصفاتهم ومن هنا كان لدراسة السيرة النبوية واستحضار أحداثها من قبل الدعاة فوائد عدة تعود عليهم بالتوفيق والسداد في إعدادهم التربوي، نذكر من تلك الفوائد على سبيل المثال:

١- إنها تملأ صدورهم بالأمل الواسع عندما يلاقون المصاعب والمتاعب والعقبات، وتنأى بهم عن اليأس، وتدفعهم إلى العمل، وذلك عندما يتذكرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واجه الدنيا التي كانت تموج بالشرك والظلم والعدوان، واجهها بعمل وصبر ورفق وحزم وأمل واسع... فدانت له الدنيا، وخضع لسلطانه الوجود، ولم يمض على وفاته صلى الله عليه وسلم مائة عام حتى كانت دعوته قد عمت الكون المعمور، وأصبحت كلمة التوحيد

---

(١) عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد (٢٤٠ - ٣٢٧ هـ = ٨٥٤ - ٩٣٨م): حافظ للحديث، من كبارهم. كان منزله في درب حنظلة بالري، وإليها نسبته. له تصانيف، منها (الجرح والتعديل) و (التفسير)، و (علل الحديث).. (الأعلام للزركلي ٣/ ٣٢٤).

(٢) وهب بن منبه الإبناوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله (٣٤ - ١١٤ هـ = ٦٥٤ - ٧٣٢م): مؤرخ، كثير الإخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات. يعد في التابعين. أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، ولد ومات بصنعاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها..(الأعلام للزركلي ٨/ ١٢٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ ٦/ ٤٣٨ .

والتكبير تعلو المآذن من حدود فرنسا إلى حدود الصين: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، أشهد أن محمدًا رسول الله.

٢- إنها تبين لهم المراحل التي ينبغي أن يسلكوها في الدعوة متأسين بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، فلقد أخذت دعوته صلى الله عليه وسلم في المدينة منحى يختلف عن المنحى الذي كانت عليه الدعوة في مكة.

٣- إنها توضح الأوليات ومراتب الواجبات والمحرمات، وتحدد لهم الأمور التي يبدؤون بها، وهي الأمور المتصلة بالعقيدة، فلقد ظل معظم اهتمام الرسول -صلى الله عليه وسلم- في مكة بالتوحيد ونبذ الشرك.

٤- إنها تبين للدعاة الصفات الأساسية المهمة التي ينبغي أن يتصفوا بها وترغبهم بذلك ومن أهم هذه الصفات:

١- العلم.

٢- التخطيط.

٣- التدرج.

٤- التلطف.

٥- الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

٦- الحلم.

٧- الشعور بالمسؤولية.

٨- الصبر والثبات.

٩- الالتزام بما يدعو الناس إليه.

١٠- الزهد والقناعة.

١١- الجرأة في قول الحق..

وغير ذلك من الصفات...[1]

من هنا فلا بد للداعية إلى الله تعالى أن يكون ملماً بشيء من فقه الدعوة المستقى من السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم من التعرف على المدعوين وتفقد أحوالهم، وإنزال الناس منازلهم ومراعاة أحوال الناس وتأليف الداخلين في الإسلام وتقدير مآلات الأمور وعواقبها واستخدام اللين في موضعه والشدة في موضعها وإقالة العثرات والتغافل عن يسير الهفوات والزلات ومراعاة المشاعر وتطييب الخواطر واكتشاف المواهب والخبرات

وتسخيرها في مجالاتها والتشجيع والثناء على صفات الخير والتربية على مكارم الأخلاق ومعالي الأمور وحسن التعليم والإبداع في الأسلوب، وبذل الجهد وتحمل الأذى والصبر عليه، وغيرها من التعاملات النبوية مع الناس عموماً، وبسير الداعية على خطى المصطفى صلى الله عليه وسلم يكون قد امتثل قول الله تعالى:

((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا))[2].

وتعد السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام المصدر العلمي والعملي الثالث بعد الكتاب والسنة، وبين السيرة والسنة عموم وخصوص "فالسيرة في حقيقتها ترجع إلى الكتاب والسنة، لأنها تطبيق عملي لهما.. فكانت سيرته أوسع مصدر عملي للدعاة، وكان الكتاب والسنة أوسع المصادر النظرية لهم...

فلابد للدعاة من دراسة السيرة النبوية وتفهمها والاستفادة منها في ضوء العقل والنقل لأنها أعمال وأحوال لابد لفهمها فهما صحيحا من ملاحظة الأعمال والأحوال المرافقة لها..

إن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم صالحةٌ للتطبيق في كل عصر وكل مكان، وفي كل

---

(١) انظر: الجانب الدعوي في السيرة النبوية، محمد لطفي الصباغ موقع: http://islamtoday.net/

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

جانب من جوانب الحياة، لأنها سيرة بعيدة عن الخيالات والمثاليات، فمن أراد الاقتداء به صلى الله عليه وسلم رجلا وزوجا وجد في سيرته خير مثال لخير رجل وزوج !!"[1]

ومن أراد الاقتداء به داعية ومعلماً وجد في سيرته سيرة خير الدعاة وقدوة المعلمين، جعلنا الله تعالى ممن يقتفي أثره ويتبع سنته وينتهج منهجه في دعوته إلى صراط ربه العزيز الرحيم إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

* * *

(١) المدخل إلى علم الدعوة، محمد البيانوني، مؤسسة الرسالة - بيروت ط:٢ ١٩٩٣م ص: ١٤٠.

الخــاتــمــة:

وتشتمل على:

أ- أهم النتائج.

ب- التوصيات.

أ- أهم النتائج:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله والشكر له كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى...

فبفضل من الله تعالى ومنّةٍ تمت كتابة هذا البحث المتواضع الذي أسأل الله -عز وجل- أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، صواباً من الخطأ والزلل، سليماً من النقص والتقصير...

وبعد أن وصلنا إلى نهاية المطاف أجد من المناسب أن أختم بحثي هذا بجملة من النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث والتي من أهمها ما يلي:

- أن المنهج الدعوي الواضح المعالم هو: منهج الأنبياء والرسل -عليهم السلام- في الدعوة: من البدء بالعقيدة، وتحقيق العبودية لله تعالى، وتجريد القصد والمتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم، والعض على ذلك بالنواجذ .
- إن ما نشاهد في الواقع الدعوي من الأخطاء والتجاوزات راجع إلى النقص في الالتزام بالكتاب والسنة .
- إن فقه مقاصد الدعوة يُعنى بتحديد الأهداف الدعوية بدقة مما يعين على التخطيط السليم للدعوة إلى الله ويضمن بإذن الله استمرارية الداعية على طريق الدعوة وعدم انقطاعه عن العمل .
- إن من مقتضيات البصيرة في الدعوة إلى الله تعالى البصيرة بمقاصد وأهداف وغايات هذه الدعوة التي ندعوا إليها.
- إن من أهم الفوائد التي يجنيها الداعية إلى الله من دراسة فقه مقاصد الدعوة إلى الله هو: القدرة على ترتيب سلم الأوليات في الدعوة إلى الله تعالى، فيقدم الضروريات على الحاجيات والتحسينات، ويقدم الأصل على الفرع التابع ويقدم ما فيه مصلحة عامة على ما فيه مصلحة خاصة وهكذا.
- الغلو في اعتبار المقاصد الدعوية يؤدي إلى تعطيل النصوص والأحكام الشرعية

الثابتة بالأدلة الصحيحة، ويفتح باباً للعلمانيين والعصرانيين لتعطيل أحكام الشريعة الغراء، بل الواجب سلوك المنهج الوسط العدل المتمثل في العمل بالنصوص الشرعية وتعظيمها مع اعتبار مدلولاتها ومآلاتها ومقصد الشارع الحكيم منها.

● إن من أهم المقاصد وأعظم الغايات الدعوية التي من أجلها يدعو الداعي إلى الله – عز وجل– ويبذل من أجلها الغالي والنفيس: تحقيق التوحيد وتجريده وهو إخلاص الدين لله بعبادته وحده لا شريك له ، والنهي عن الشرك والبراءة منه وأهله.

● من أهم أسباب انحطاط وتخلف الأمة الإسلامية في واقعنا المعاصر: ضعف تركيز الدعاة إلى الله على التوحيد في الدعوة والتربية وتقليل بعضهم من شأنه.

● من الأسباب التي كان لها الأثر البالغ في فتح باب الشرك في بلاد المسلمين هو: عدم فهم بعض الدعاة الفهم الصحيح لمدلول ومعنى كلمة: " الإله " والتي تعني: المعبود، والتي عليها ينبني تفسير كلمة التوحيد: "لا إله إلا الله" وتعني: لا معبود بحق إلا الله.

● التكفير حكم شرعي، حَكَمَ به الله ورسوله على من يستحقه، بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام القولية أو الاعتقادية أو الفعلية، ومواجهة الغلو في التكفير لا يكون بالغلو في التحذير منه، فالغلو لا يرد بغلو آخر .

● لا تعارض بين الحكم بتكفير من كفره الله ورسوله وبين دعوته بالتي هي أحسن، كما دل على ذلك فعل أنبياء الله ورسله –عليهم السلام– مع أقوامهم المشركين .

● من مقاصد الدعوة التي بعث الله تعالى بها رسله –عليهم السلام– إقامة الحجة على الناس بالبلاغ المبين.

● مقصد إقامة الحجة على الناس بالبلاغ المبين يكون مقروناً بمقصد الحرص على هدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور .

● قد يؤخر الداعية إلى الله من باب السياسة الشرعية – بعد الصدع بعقيدة التوحيد– البيان والبلاغ لأشياء في وقت العجز والاستضعاف إلى وقت التمكن.

● الصدع بالحق لا يعني الغلظة المنفرة، والخشونة وقلة الذوق، كما أن الدعوة بالتي هي أحسن لا تعني إبداء جانب من الحق وكتمان جانب، وجعل القرآن عضين .

● من لوازم البلاغ المبين بُعد الداعية إلى الله في خطابه وحواره مع الناس عن تكلف البلاغة والتفاصح وجمع الكلام الوحشي .

● من الشعارات البراقة التي ترفع اليوم والتي هي من الحق الذي قد يراد به باطلا شعار "تجديد الخطاب الديني" الذي قد يعني عند القوم هدم القيم والثوابت والتصورات الإسلامية واستبدالها بقيم تتماشى مع التصورات الغربية لكنها بثوب إسلامي معاصر لصناعة إسلام جديد، إسلام ليبرالي أو كما يطلقون عليه "إسلام معتدل".

● التجديد الصحيح للخطاب الإسلامي هو: العودة به إلى التمسك بأصول الدين من الكتاب الحكيم والسنة المطهرة، وإحياء ما اندرس من العمل بهما والأمر بمقتضاهما، وإماتة ما ظهر من البدع المحدثات، وإزالة كل ما علق بالدين مما ليس منه في أقوال الناس أو أفعالهم أو عقائدهم، وردُّ الأمر إلى ما كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه .

● من مقاصد الدعوة إلى الله العظيمة: مقصد هداية الناس وإنقاذهم من النار بإخراجهم من الظلمات إلى النور.

● تحقيق مقصد الحرص على هداية الناس لا تكون إلا عن طريق الوسائل الشرعية المباحة.

● ترتكز الدعوة إلى الله تعالى وتقوم على أصلين عظيمين متلازمين هما: الأمر والنهي، الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

● إظهار الدين، وإعلاء كلمة الله في الأرض، وإرغام الباطل وأهله، وإخضاعهم صاغرين ذليلين لحكم الله تعالى وشرعه المنزل لهو من المقاصد التي يسعى الدعاة إلى الله لتحقيقها، ولهذه الغاية العظيمة شرع الله تعالى الجهاد في سبيله وسيلةً لتحقيق هذا المقصد العظيم.

● لا سبيل لتحقيق مقصد إظهار الدين وإعلاء كلمة الله تعالى في الأرض والسعي

لهيمنة القرآن الكريم على جميع الكتب السماوية الأخرى إلا باتحاد الكتاب الهادي (القرآن الكريم) مع السيف الحامي (الجهاد في سبيل الله) والذي لا قيام للدين إلا به، والله متم نوره ولو كره المشركون.

- الجهاد في سبيل الله جهادان: جهاد دفع، وجهاد طلب، بإجماع علماء المسلمين، وأما قول من قال من كتاب العصر وغيرهم: أن الجهاد شرع للدفاع فقط فهو قول باطل غير صحيح مخالف لما دلت عليه النصوص الصحيحة الصريحة ومخالف لما أجمع عليه المسلمون.

- السعي لتحقيق مقصد إعلاء كلمة الله باستفراغ الجهد في الجهاد في سبيل الله والإعداد له لا يعني إهمال بقية المقاصد الدعوية الأخرى، بل الواجب دعوة الناس وهدايتهم إلى الإسلام وإخراجهم من ظلمات الكفر والشرك والعبودية لغير الله إلى عبادته وحده، فإن هذه المقاصد قد يحصلها كذلك من لم يتمكن من الجهاد والقتال في سبيل الله لعذر شرعي.

- لا يتم للداعية الذي يسعى في دعوته لتحقيق مقاصد دعوة الإسلام التي أرادها الله تعالى إلا إذا أُعد إعدادا علمياً وتربوياً وخلقياً وعملياً، وإذا أهمل هذا الجانب فإن الداعية قد يقوم بأعمال تناقض الدعوة ومقاصدها، ومن هنا تتوجب العناية بتكوين الدعاة، وإعدادهم الإعداد المتكامل.

- إن مما تعانيه الدعوة إلى الله تعالى في واقعنا المعاصر اليوم عدمُ عنايةِ كثيرٍ من الدُّعاة إلى الله بتقيِيم تجربتِهم الدعوية، لتصحيح الأخطاء واجتنابِ الوقوع فيها والنظر إلى الإيجابيات فتعزَّز، وإلى السلبيات والأخطاء فتتلافى، فالمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين.

- استبانة سبيل المجرمين ومعرفة أهدافهم ومخططاتهم هو من صميم نجاح الداعية إلى الله في دعوته وهو ما يعرف اليوم بـ "فقه الواقع" والذي هو كأي علم ينفع الأمة الإسلامية ويساعدها للعودة إلى عزها ومجدها وسؤددها.

- الداعية إلى الله مأمور بالإعداد العلمي قبل أي إعداد، وكل دعوة لا تقوم على أساس العلم دعوة ناقصة، تُفِسدُ أكثر ممّا تُصلِح.

● على الداعية المسلم أن يدرك أهمية ودور العبادة في إعداد الداعية إلى الله تربوياً وضرورة وعظم أثر الأخذ بوافر الحظ والنصيب من التعبد والتأله والتقرب إلى الله تعالى بشتى أنواع العبادات الظاهرة والباطنة في تزكية وصلاح نفسه.

● كثير من المدعوين ينتفعون بسيرة الداعية إلى الله العطرة وأخلاقه الحسنة وأعماله الصالحة أكثر من انتفاعهم بأقواله المجردة، فالتأسي بالأفعال سرٌّ مبثوث في طباع البشر، لا يقدرون عن الانفكاك عنه بوجه ولا بحال.

● أهمية التربية الأخلاقية للداعية إلى الله وأثرها الكبير –إيجابا أو سلبا– في صياغة شخصية الداعية نفسه، ودورها في إنجاح دعوته –بإذن الله تعالى–، فإن كثيراً من الناس لا ينظرون ابتداء إلى مضمون دعوة الداعي وما يحمله من معتقدات ومبادئ وإنما ينظرون إلى خلقه أولاً، فإذا أعجبهم أخذوا عنه، وإذا لم يعجبهم تركوه ودعوته.

● تعتبر مرحلة الإعداد العملي –والتي هي بمثابة التدريب على الممارسة الفعلية لوظيفة الدعوة إلى الله– مرحلة هامة وضرورية من مراحل إعداد الدعاة إلى الله، فهي المرحلة التي تمثل مختبراً عملياً، وتساعد في تهيئة الداعية وإعداده نفسياً وعملياً للقيام بمهمة الدعوة إلى الله على أكمل وجه.

● التأكيد على الدعاة لاستغلال وسائل التأثير المعاصرة في توجيه الرأي العام لتحقيق المقاصد الدعوية والاستفادة من وسائل التقنيات الحديثة المختلفة، مالم تُعارَض بنهي شرعي.

● إن مما يميز الداعية الصادق ويعرف به عن غيره عدم جعله الدعوة إلى الله حرفة تكسب الأموال، لأنه عرف أن ما يقوم به هو أعلى وأنبل من أن يقوّم بالدراهم والدنانير، أو بالمناصب والمقامات الدنيوية .

● لا تعارض بين الشمولية في الدعوة والعمل وبين التخصص والتميز في مجال ما، ومن باب التوازن الحق فلا مانع من أن يتخصص الداعية في مجال دعوي يجيده ويتقنه على حسب طاقته وبقدر إمكانياته مع التأكيد على عدم إهماله لبقية المجالات الدعويةٍ المتعددةٍ

والمتنوعة ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

- إن من أهم سمات الداعية أن يكون واقعيا في فكره وعمله، أي: لا يعيش في أوهام ولا أحلام بعيدة عن الواقع، بل يكون فكره واقعيا يبنيه على أسس شرعية، مستمدة من الكتاب والسنة، ويوازن دائما وأبدا بين المثالية المطلوبة والواقعية الممكنة فلا يهمل الواقع ولا يقصر عن المثالية الحقة.

- من الثمار الإيجابية الكبيرة التي يجنيها الداعية من فقهه لمقاصد الدعوة: تفاعله وتكامله وتعاونه المستمر مع إخوانه الدعاة لتحقيق جميع مقاصد الدعوة المباركة، ليكتمل بناء هذه الدعوة ويتماسك في قوة وثبات، فالدعاة على مختلف تخصصاتهم المتنوعة كالبنيان الواحد وكالصف المرصوص الذي يشد بعضه بعضا ويكمل بعضه بعضا.

ب- التوصيات. :

فمن أهم التوصيات التي يمكن ذكرها ما يلي:

- ضرورة الاعتناء بالتأصيل الشرعي لمسائل الدعوة إلى الله، القائم على فهم الكتاب والسنة ومحاولة استنباط الفوائد والقواعد الدعوية على ضوءيهما.
- أوصي بالسعي لتكوين وإيجاد مرجعية ومنهجية دعوية يحتكم إليها المختلفون لمعرفة الحق والصواب.
- بعد تأصيل علم فقه مقاصد الدعوة إلى الله على ضوء الكتاب والسنة أقترح أن يقرر كمادة دراسية تدرس في الجامعات والمعاهد الإسلامية.
- كما أقترح بزيادة الاهتمام بموضوع التدريب والإعداد وذلك بإنشاء معاهد خاصة لإعداد الدعاة والداعيات إلى الله علمياً وعملياً لرفع كفاءتهم وتنمية مهاراتهم الدعوية.
- أوصي بالتركيز على إيجاد الحلول المناسبة لمواجهة أساليب أعداء الإسلام الجديدة لتحجيم مضمون الإسلام وإقصاءه من الحياة العامة وإعاقة تحقيق مقاصده الدعوة.

وختاماً فهذا غاية جهدي أقدمه للقارئ الكريم، له صفوه، ولمؤلفه كدَرُه، فما كان فيه من صواب فمن الله وهو المحمود على توفيقه، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، وأستعذر إلى الله من الزلل والخطأ ثم إلى عباده المؤمنين..

فيا أيها القارئ..

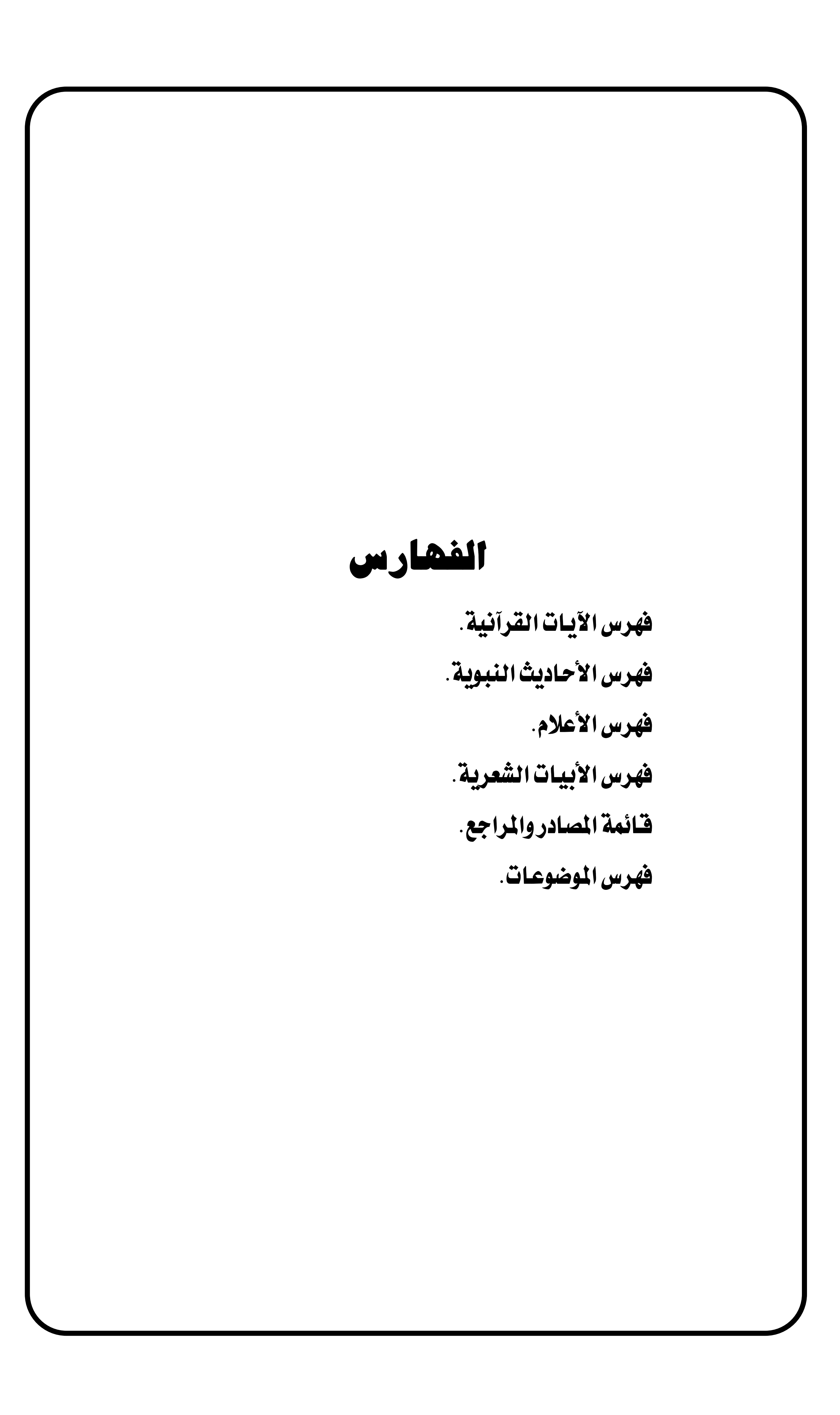
إن تجد عيبا فسد الخللا   فجل من لا عيب فيه و علا[1]...

---

(١) ينسب البيت للعالم النحوي الحريري في آخر منظومته النحوية "ملحة الإعراب".

وأسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن ينفعني بهذا البحث حياً وميتاً، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين إنه سميع مجيب قريب، ولا حول ولا قوة إلا بالله وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

تمت الرسالة بحمد الله وعونه تعالى في يوم الجمعة: ١٠/ شهر الله المحرم/ ١٤٣٢هـ الرياض.



الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)		
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)	١٨٣	٩٧
(..يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ..)	١٨٥	١٦٣
(لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَل	١٨٦	٢٥٠
(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)	١٩١	٣١٢
(والفتنة أشد من القتل)	١٩١	٢١٢
(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ)	١٩٣	٣٢، ٦٨، ٣١٦، ٣٢٢
(فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)	١٩٤	٣١٢
(الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ)	١٩٧	٩٧
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ	٢٠٨، ٢٠٩	١٤٨

الآية	رقمها	الصفحة
الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَّ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾		
﴿فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾	٢١٣	١٩٤
﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ...﴾	٢١٣	٤٥
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾	٢١٦	٢٩٨،٢٨٨
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾	٢١٩	٢٨٩
﴿أُوْلَـئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	٢٢١	١٢
﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللهَّ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتْ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَّ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾	٢٥١	٣٠٨
﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِّ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللهُّ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	٢٥٦	٣٠٥،٢٤٩
﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ..﴾	٢٥٧	٥٧

الآية	رقمها	الصفحة
(لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)	٢٦٥	٢٨
(لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَل	٢٨٦	١٦١
سورة آل عمران		
(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ..)	٧	١٩١، ١٩٢
(فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)	٢٠	٤٧
(إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)	٢١	٧٦
(إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)	٥٩	١٩٢
(يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون)	٧٠	٢٤١، ٢٤٢
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)	١٠٢	١
(وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ	١٠٣	١٧٤

الآية	رقمها	الصفحة
إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ))		
(وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)	١٠٤	٢٩٦،١٥٩
(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ)	١١٠	٢٩٦
(لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذَّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ)	١٢٨	٥٤
(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)	١٥٩	٢٦٦،٦٢
(وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه..)	١٨٧	٢٥٦
(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)	١٩١	٩٨
(وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)	١٣٣ – ١٣٦	١٦٦

الآية	رقمها	الصفحة
سورة النساء		
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)	١	١
(ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ عَلِيمًا)	٧	١٤٦
(إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا)	٤٨	٣٧، ٢١٣
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ)	٥٩	١٨٤
(فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا * وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ)	٧٤- ٧٦	٣١٨
(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً)	٧٧	٣١١، ٣١٣
(وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء)	٨٩	١٥٢
(فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً)	٩١	٣١٤

الآية	رقمها	الصفحة
(وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)	٩٣	٨٣
(وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا)	١١٣	١٠٨
(لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ومَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً)	١١٤	١٢٦
(وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً)	١١٥	٢٩٢
(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً)	١٣٧	٢٤٤
(رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسلِ)	١٦٥	٤٢
(رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)	١٦٥	٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٥٢، ٥٣
سورة المائدة		
(وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ)	٢	١٧٢، ١٧٨
(..مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ	٦	١٦٣

الآية	رقمها	الصفحة
غَيْرُهُ)		
(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ...)	٨٥	٣٣٩
(فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ)	٩٣	٤٧
(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)	٩٦	٢٢٥
(وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ ومَا كانُوا يَعْرِشُون)	١٣٧	٧٧
(قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً)	١٨٨	٢٣٣
(خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)	١٩٩	١٠٣
(وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاة)	١٥٦، ١٥٧	٢٩٤، ٣٤٠
(واَسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً	١٦٣ – ١٦٥	٥١

الآية	رقمها	الصفحة
إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ)		
(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إ	١٧٥، ١٧٦	١٣٥
سورة الأنفال		
(وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى)	١٧	٢٣٣
(قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينِ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُ بصير)	٣٨- ٤٠	٣١، ٦٩، ٣١٦، ٣١٨
(لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ)	٤٢	٢٦٣
(وَأَطِيعواْ اللّهَ وَرَسولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)	٤٦	١٧٤
(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ)	٦٠	٢٩٨
سورة التوبة		
(فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد...)	٥	٣١٤، ٣١٦

الآية	رقمها	الصفحة
(فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ)	٥	٢٩
(قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)	٢٩ - ٣٢	٣٩، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٣١٤، ٣١٧، ٣١٩
(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)	٣٣	٦٨
(لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ)	٤٢	١١
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ)	٤٣	٢٩٠
(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ)	٦٠	٣٢٤
(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ، لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)	٦٥، ٦٦	٢٩، ٢٤٤

الآية	رقمها	الصفحة
(وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ)	٧٤	٢٤٤
(وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ وَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ)	٩٢	٣٢٤
(خذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)	١٠٣	٩٧
(وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)	١٢٢	١٠، ١٥٩، ١٧٥
سورة يونس		
(هوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ)	٥	٧٥
(وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيّ)	١٥	٢٧١
(وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)	٢٥	١٣
(قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ)	٣١	٢١٩
(أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)	٩٩	٣٠٥
(وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون)	١٢١	١٩٦

الآية	رقمها	الصفحة
سورة هود		
(الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ*أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ)	١، ٢	٢١٥
(أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ)	٢٨	٣٠٥
(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ)	٥٣	٣٣٩
(فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ)	٥٧	٤٧
(قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ)	٦٢	٢٩٥
(قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيهِ توكتُ وإليه أنيب)	٨٨	٩٩، ٢٩٥
(فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَـؤُلاء)	١٠٩	٢٨٤
(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ)	١١٠	٢٨٤
(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)	١١٢	٢٩٥
(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)	١١٢	٢٨٤

الآية	رقمها	الصفحة
(فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)	١١٦، ١١٧	٢٩٥
سورة يوسف		
(كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)	٢٤	٣٣٥
(قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ)	٣٣	١٣
(وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)	٧٦	١٨٦
(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ)	١٠٦	٢٢٠، ٢٢٢
(قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)	١٠٨	١٢، ١٦، ٩٣، ١٠٩، ١٣١، ١٤٩، ١٩١
(مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)	١١١	٢٥٤
سورة الرعد		
(لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ)	١٤	١٣
(اللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ)	٢٦	٢٠٤
(وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ)	٤٠	٥٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾	٥٣، ٥٤	١٤٦، ٢٢٢
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾	٨٩	١٤٨
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾	٩٧	٣٦
﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾	٩٩، ١٠٠	٣٣٥
﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	١٠٦	٢٥٨
﴿وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾	١١٢	٢٢٥
﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الْدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾	١٢٠ - ١٢٣	٢٠٣
﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾	١٢٥	١٢٠، ٢٦٧، ٣١١

الآية	رقمها	الصفحة
لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى * فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى * إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى)		
(فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى)	١٢٣	٣٣٥
(وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى)	١٣٤	٤١، ٥٣
سورة الأنبياء		
(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)	٢٥	٣١، ٣٤، ٢٢٤
(وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ)	٥١، ٥٢	٢٠٣
(فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلاًّ ءاتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً)	٧٩	١٨٩
(وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)	٨٧	٢٠٤
(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)	١٠٧	٦٢
سورة الحج		
(أذن للذين يُقاتَلُون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير)	٣٩	٣١٣
(وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ	٤٠	٣٠٨

الآية	رقمها	الصفحة
يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾		
﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾	٤١	٧٦
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾	٦٢	٢١٧
﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾	٦٧	٩٣
﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَ	٨٧	١٦٣
سورة المؤمنون		
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾	٢٣	٢١٥
﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾	٣٢	٣١
﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾	٨٤، ٨٥	٢٢٠
﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾	٨٦	٢١٩
﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾	٨٨، ٨٩	٢١٩
﴿ما اتَّخذ اللهُ من وَلَدٍ وما كان معه من إلَهٍ إذاً لَذَهَبَ كُلُّ إلَهٍ بما خَلَقَ﴾	٩١	٢١٤

الآية	رقمها	الصفحة
(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَّ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)	٦٩	١٤١
سورة لقمان		
(إن الشرك لظلم عظيم)	١٣	٢١٢
سورة الأحزاب		
(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهَّ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَّ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَّ كَثِيرًا)	٢١	٩٩، ٣٤٠، ٣٤٥
(الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهَّ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَّ وَكَفَى بِاللهَّ حَسِيبًا)	٣٩	٤٦
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَّ ذِكْرًا كَثِيرًا)	٤١	٩٨
(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللهَّ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)	٤٥، ٤٦	٢٨٣
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)	٧٠، ٧١	١
سورة سبأ		
(قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إنْ أَجْرِيَ إلاَّ عَلَى الله وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)	٤٧	١٤٠
سورة يس		
(قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ)	١٦	٤٥، ٤٧
(وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً)	٢٠، ٢١	٦٣، ١٣٩

الصفحة	رقمها	الآية
		أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا)
		سورة فصلت
١٦، ٣١، ١٢٠، ١٢٦	٣٣	(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)
		سورة الشورى
٣٨	٧	(وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ)
٣٤	١٣	(شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)
٢٠٠، ٢٨٣	١٥	(فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ **كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ** وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)
٤٧	٤٨	(فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ)
		سورة الزخرف
٢٨٥	٤٣	(فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)
٣٤	٤٥	(وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ)
٦٥	٥٢	(أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ)
١٩٢	٥٩	(إِنْ هُوَ إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ)
٢١٩	٨٧	(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الحجرات		
(وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ)	٩	٢٥١
سورة الذاريات		
(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)	٥٦	٢٩، ٣٨، ٥٤، ٩٥
سورة الطور		
(أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ)	٤٠	١٤٠
سورة النجم		
(إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى)	٢٣	١٣٦، ١٩٣
سورة الرحمن		
(وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ)	٧ – ٩	٧٤
سورة الحديد		
(هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)	٩	٥٨
(لقد أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ)	٢٨	٦٨، ٧٠، ٧٤
(وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ)	٥٢	٧٤

الآية	رقمها	الصفحة
سورة التين		
(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)	٤	١٦١
سورة العلق		
(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)	١ – ٥	١٠٨
سورة البينة		
(لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ)	١	٢٤١، ٢٤٣
(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)	٥	٣٩، ٩٢، ١٢٦
سورة الكافرون		
(قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)	١ – ٦	٢٦٤، ٢٤٧
سورة المسد		
(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ)	١ – ٥	٢٦٢

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة
إنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا ، ولكن أنزلهم على حكمك وحكم أصحابك	٢٧٨
إنكم لا تدرون، لعلكم أن تبتلوا	٢٥٨
إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى	٩٣، ١٢٧
إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق	١٠٣
إنما مَثَلِي وَمَثَلُ الناس كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا	٥٨
إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي نَحْوَ مَا أَسْمَعُ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلاَ يَأْخُذْهُ	١٦٥
إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا	٣١٣
إني والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير	٢٧٨
أول الناس يقضى فيه يوم القيامة رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها	١٣٧
بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له	٦٩
بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار	٢٥٥
تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مَسَكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه	١٨
تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك	٤٨
حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا	٢٢٤
الحمد لله الذي أنقذه بي من النار	٥٩

فهرس الأعلام

فهرس الأبيات الشعرية

البيت			القائل	الصفحة
أول واجـــب عـــلى العبيـــد		معرفـــة الــــرحمن بالتوحيـــد	حافظ الحكمي	٢٧
وإذا أصـيب القـوم في أخلاقهـم		فـــأقم علـــيهم مأتمـــاً وعـــويلاً	أحمد شوقي	١٠٥
أحسن إلى الناس تستعبد قلـوبهم		فطالمـا اسـتعبد الإنسـان إحسـانُ	أبو الفتح علي بـن محمد البستي	١٠٥
يجود بالنفس أن ضن البخيل بهـا		والجود بالنفس أقصى غاية الجـود	صريع الغواني	١٤٦
رأي الجماعة لا تشـقى الـبلاد بـه		رغم الخلاف، ورأي الفرد يشقيها	حافظ إبراهيم	١٧٣
واعلـــم بأنـــك إن طلبـــت مـــن الـــذي مـــا ســـاء قـــط		مهـــــذباً رمـــــت الشـــــطط ومـــن لـــه الحســـنى فقـــط	القاسـم بـن عـلي الحريري	١٨١
ولهم نصوصٌ قصرـوا في فهمهـا		فـأُتوا مـن التقصـير في العرفـان	ابن قيم الجوزية	١٩٨
لله درُّ الغانيـــــــات المـــــــدَّهِ		سـبَّحن واسـترجعن مـن تـألهي	رؤبة بـن العجـاج التميمي	٢١٥
وَشَاعَ في ذا البَابِ إسْـقَاطُ الخَـبَرَ		إذا المـــرادُ مَـــعْ سُـــقوطِهِ ظَهَـــر	محمـد بـن عبـدالله الأندلسي	٢١٦
وكـل خـير في اتبـاع مـن سـلف		وكل شر في ابتداع من خلف	برهـــان الـــدين	٢٣٣

			المالكي	
أولئـك آبـائي فجئنـي بمـثلهم		إذا جمعتنا يا جرير المجامع	الفرزدق	٢٧٩
دعا المصطفى دهراً بمكة لم يجب فلما دعـا والسيف صلت بكفـه		وقـد لان منـه جانـب وخطـاب لـه أسـلموا واستسـلموا وأنـابوا	حسان بن ثابت	٣٠٨
إن تجـد عيبـاً فسـد الخلــلا		فجـل مـن لا عيـب فيـه وعــلا	الحريري	٣٥٤

فهرس المصادر والمراجع.

١ - القرآن الكريم.

٢- الآداب الشرعية، ابن مفلح المقدسي، ت: شعيب الأرنؤوط – عمر القيام، مؤسسة الرسالة - بيروت ط:٢ ١٤٢٧هـ - ١٩٩٦م .

٣- الآحاد والمثاني، أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني، ت: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية –الرياض، ط:١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

٤ - أحكام القرآن، أحمد بن علي الجصاص الحنفي، ت: محمد الصادق قمحاوى، دار إحياء التراث العربي–بيروت ١٤٠٥هـ .

٥ - الإخلاص، د. عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن – عمان ط:٤ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

٦ - الاستذكار، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ت: سالم محمد عطا، محمد علي معوض ، دار الكتب العلمية – بيروت ط: ١ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

٧- أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، د حمد العمار، دار اشبيليا – الرياض، ١٩٩٦م

٨- الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، دار الإرشاد – بيروت، ط:١ ١٣٨هـ- ١٩٦٩م .

٩ - الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت ط:١ ١٣٩٣هـ .

١٠ - أصول الدعوة،لعبد الكريم زيدان،مؤسسة الرسالة، ط: ٣ بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

١١ - أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

١٢ - الاعتصام، للشاطبي ت: سليم الهلالي، دار ابن عفان – الخبر، ط:٤ ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

١٣- الأعـمال الكاملـة لمصـطفى لطفـي المنفلـوطي "النظـرات" دار الهـلال – بـيروت ط:١ ٢٠٠١م .

١٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم ت: طه عبد الـرؤوف، دار الجيـل - بـيروت ١٩٧٣م .

١٥- الأعلام لخير الدين الزركلي دار العلم للملايين بيروت – لبنان ط: ١٥ ٢٠٠٢م .

١٦- الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، لشرف الدين موسى بـن أحمـد الحجـاوي، ت: عبـد اللطيف محمد موسى السبكي، دار المعرفة - بيروت .

١٧- الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين، عبد الله بـن عبـد الـرحمن بن عبد العزيز أبا بطين، ت: الوليد بن عبد الرحمن الفريان، دار طيبة للنشر والتوزيـع – الرياض ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

١٨- بدائع التفسير الجامع لما فسره ابن القيم، جمع: يسري السيد أحمد، دار ابن الجـوزي، ط:١ ١٤٢٧هـ .

١٩- البيان لأخطاء بعض الكتاب، صالح الفوزان، دار ابن الجوزي – الدمام ط:٢ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

٢٠- تاريخ نجد، حسين بن غنام، ت: د. ناصر الـدين الأسـد، دار الشروق– القـاهرة، ط:٤ ١٤١٥هـ-١٩٩٤م .

٢١- التبيان في آداب حملة القرآن، لأبي زكريا يحيى بن شرف النـووي، ت: محمـد الحجـار، دار ابن حزم –بيروت ط:٤ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

٢٢- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسـة التـاريخ العـربي – بـيروت ط: ١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

٢٣- التعريفـات، للجرجـاني، ت: إبـراهيم الإبيـاري، دار الكتـاب العـربي – بـيروت، ط:٢ ١٤٢٣هـ .

٢٤- تفسـير القـرآن العظـيم، لأبي الفـداء إسـماعيل بـن عمـر بـن كثـير، دار الفكـر - بـيروت ١٤٠١هـ .

٢٥- تفسير أبي السعود (إرشـاد العقـل السـليم إلى مزايـا الكتـاب الكـريم)، لأبي السعود بـن محمد الحنفي، ت: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض .

٢٦- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بـن عبـد الله آل الشـيخ، ت: أسـامة العتيبي، دار الصميعي - الرياض ط:١ ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

٢٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسـير كـلام المنـان، عبـد الـرحمن بـن نـاصر السـعدي، مؤسسـة الرسالة - بيروت ط:١ ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م .

٢٨- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ .

٢٩- جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسـة الرسـالة - بـيروت ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.

٣٠- جـامع الرسـائل، لشـيخ الإسـلام ابـن تيميـة تحقيـق: د. محمـد رشـاد سـالم دار العطـاء - الرياض ط:١ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣١- الجـامع لأحكـام القـرآن، لأبي عبـد الله محمـد بـن أحمـد بـن أبي بكـر القرطبـي، ت: أحمـد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط:٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٣٢- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: د.عـلي حسـن نـاصر ،د.عبد العزيز إبراهيم العسكر ،د. حمدان محمد، دار العاصمة - الرياض، ط:١ ١٤١٤هـ .

٣٣- الجواب الكافي، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة - بيروت، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

٣٤- الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته، د. عبد الله بن أحمد القـادري، دار المنـارة - جـدة ط: ٢ ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .

٣٥- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمـود العقـاد، منشـورات المكتبـة العصريـة- بيروت ١٩٥٧م .

٣٦- خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه، انظر: خطبة الحاجة، محمد ناصر الدين الألباني، ط:٣ المكتب الإسلامي - بيروت ١٣٩٧هـ.

٣٧- درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية - الرياض، ١٣٩١هـ .

٣٨- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، دار القاسم - الرياض ط:٦ ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .

٣٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر - بيروت ١٩٩٣م .

٤٠- الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل، محمد بن سيدي بن الحبيب، دار الوفاء للنشر والتوزيع - جدة، ط:١ ١٩٨٥م .

٤١- الدعوة إلى الله في ميادينها الثلاثة الكبرى، محمد حامد الغامدي،، دار الطرفين – الطائف، ط:١ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

٤٢- الدعوة إلى الله (الرسالة –الوسيلة-الهدف)، د. توفيق الواعي، مكتبة الفلاح - الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ .

٤٣- الرخصة في تقبيل اليد، محمد بن إبراهيم بن المقري أبو بكر، ت: محمود محمد الحداد، دار العاصمة-الرياض، ط:١، ١٤٠٨هـ .

٤٤- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، ت: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ط:١٤ مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م .

٤٥- سنن أبي داود، الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني، دار إحياء التراث –بيروت.

٤٦- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م.

٤٧- سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار الكتب العلمية –

بيروت، ط:١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م .

٤٨- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: ٣، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م .

٤٩- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي الشوكاني، ت: محمود زايد، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٠- شرح الأصفهانية، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية – ت: محمد بن عودة السعوي، مكتبة دار المنهاج- الرياض ط:١ ١٤٣٠هـ .

٥١- الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، ت: الوليد بن محمد بن نبيه، مؤسسة قرطبة – القاهرة، ط:١ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

٥٢- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، ت: علي البجّاوي، دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٥٣- الصارم المسلول على شاتم الرسول، شيخ الإسلام ابن تيمية، ت: محمد الحلواني ومحمد كبير شودري، رمادي للنشر – الدمام ط:١ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

٥٤- الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري ت: أحمد عطار دار العلم للملايين ط:١ ١٤٠٤هـ .

٥٥- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: د. مصطفى ديب البغا دار ابن كثير، اليمامة – بيروت ط:٣، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٥٦- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥٧- طلب العلم وطبقات المتعلمين، للشوكاني، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:١ ١٩٨٢م.

٥٨- عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، دار الكتب المصرية– القاهرة، ط:٢ ١٩٩٦م.

٥٩- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع: أحمد الدويش، مؤسسة الأميرة العنود بن مساعد بن جلوي – الرياض، ط:٤ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٦٠- فتاوى الأئمة النجدية، جمع: مدحت آل فراج، مكتبة الرشد – الرياض، ط:٢ ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م .

٦١- الفتاوى الكبرى، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار الكتب العلمية – بيروت ط: ١ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

٦٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ .

٦٣- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، دار البيان – بيروت ط:١ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٦٤- الفروسية، ابن القيم الجوزية، ت: مشهور بن حسن بن سلمان، دار الأندلس – السعودية – حائل ط:١، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م .

٦٥- الفوائد، ابن القيم، دار الكتب العلمية – بيروت ط: ٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

٦٦- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق – بيروت ط: ١١ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٦٧- قواطع الأدلة في الأصول، لأبي المظفر، منصور بن محمد السمعاني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط:١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٩م .

٦٨- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لأبي محمد عز الدين بن عبد السلام، الملقب بسلطان العلماء، ت: محمود بن التلاميد الشنقيطي، دار المعارف - بيروت .

٦٩- القول المفيد شرح كتاب التوحيد، لابن عثيمين، دار ابن الجوزي - الرياض ط:٢ ١٤٢٤هـ .

٧٠- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، لابن القيم، دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، ط:١ ١٤٢٨هـ .

٧١- الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير الجزري، ت:عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية – بيروت ط:١ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٧٢- لسـان العـرب، محمـد بـن مكـرم بـن منظـور، دار صـادر- بـيروت، ط:١ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٧٣- لماذا أعدموني، سيد قطب ص:٦٦ نسخة إلكترونيـة – مكتبـة الجامع الكبير الإسلامية الكبرى: http://3lsooot.com/book/view-1922.html

٧٤- مـآلات الخطـاب المـدني، إبـراهيم السـكران، مكتبـة صـيد الفوائـد: http://www.saaid.net/book

٧٥- المـدخل المقاصـدي والمنـاورة العلمانيـة د. أحمـد إدريـس الطعـان، مكتبـة الشروق (الإنترنتية): http://www.alshrooq.com

٧٦- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز ابن باز، جمع: د. محمد الشويعر، دار القاسم –الرياض ط:١ ١٤٢٠هـ .

٧٧- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، مطبعة المنار –القاهرة، ط:١ ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م .

٧٨- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: ابن قاسم مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة ١٩٩٥م

٧٩- المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد، لأبي يوسف مدحت آل فراج، مكتبة الرشد – الرياض، ط:٢ ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

٨٠- المدخل إلى علم الدعوة، محمد البيانوني، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط:٢ ١٩٩٣م

٨١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، دار الكتاب دار الكتاب العربي – بيروت، ط:٢، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م .

٨٢- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، لأبي محمد ابن حزم، دار الكتب العلمية–بيروت .

٨٣- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

٨٤- المستشرقون والإسلام، د. محمد قطب، مكتبة وهبة - القاهرة .
٨٥- المستصفى في علم الأصول، لأبي حامد الغزالي ت: محمد الأشقر، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: ١.
٨٦- مسند الإمام أحمد، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، ت: السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب – بيروت، ط:١ ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٨٧- المصباح المنير، لأحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العصرية - بيروت ط ١ ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.
٨٨- مصنف عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي-بيروت، ط:٢، ١٤٠٣هـ .
٨٩- معارج القبول، حافظ حكمي، دار ابن القيم للنشر والتوزيع – الدمام، ط:١ ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م .
٩٠- معالم في الطريق، سيد قطب، دار الشروق – القاهرة، ط:١٥ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٩١- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار مجمع اللغة العربية دار الدعوة .
٩٢- مع الله.. دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي، دار الكتب الإسلامية - القاهرة. ط: ٦ ١٤٠٥هـ .
٩٣- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، دار ابن عفان- الخبر ط:١ ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .
٩٤- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، ت: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس – الأردن، ط:٢ ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
٩٥- مقامات الحريري، لأبي محمد القاسم بن علي الحريري، دار الكتب اللبناني - بيروت ط:١ ١٩٨١م

٩٦- مقاييس اللغة، لابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الجيل- بيروت ط:٢ ١٩٩٩م.

٩٧- مقومات التصور الإسلامي، لسيد قطب، دار الشروق - القاهرة ط:٥ ١٤١٨هـ

٩٨- منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام ابن تيمية، ت: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة- القاهرة ط:١ ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

٩٩- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت ط: ٢، ١٣٩٢هـ .

١٠٠- الموافقات، للشاطبي، ت: عبد الله دراز، دار المعرفة - بيروت ١٤١٠هـ .

١٠١- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٣ الرياض ١٤١٨هـ .

١٠٢- ميزان العمل، لأبي حامد الغزالي، دار المعارف - القاهرة ط:١ ١٩٦٤م .

١٠٣- الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: ١ ١٤٠٥-١٩٨٥ .

١٠٤- الورقات، لإمام الحرمين الجويني، دار الصميعي للنشر والتوزيع - الرياض ط: ١ ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .

المجلات والدوريات

١- مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، بريطانيا - لندن.

٢- مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت، الكويت.

فهرس الموضوعات

والحمد لله رب العالمين..